

العباسيون بن علي عليه السلام

بين الأسطورة والواقع

علي الفرج



منشورات بيت الحكمة الثقافي

العباس بن علي عليه السلام

بين الأسطورة والواقع

العباسيون رضي الله عنهم

بين الأسطورة والواقع

علي الفرج



منشورات بيت الحكمة الثقافي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م



منشورات بيت الحكمة الثقافي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يحتلّ المنبر الحسيني مكانة مهمّة وسامقة في المجتمعات الموالية، وبخاصّة أن جمهوره هم من مختلف فئات وطبقات المجتمع، وغالبًا ما تشكّل الموضوعات والقضايا التي تطرح على المنبر الحسيني جانبًا مهمًّا من الهوية الفكرية والشخصية لأفراد المجتمع. وبالخصوص ما يرتبط بالمسائل العقائدية، وكثير من الأحداث التاريخية.

ونتيجة ما تعودّ عليه أبنائنا من استعراض دائم لما يطرح من تساؤلات وشبهات عقائدية وردّها بالدليل والبرهان على هذه المنابر طوال هذه السنين، فقد كان لذلك تأثيره الإيجابي في تنمية حالة الوعي وربط الفكرة والإيمان بها بما تحمله من دليل وبما تتضمنه من قيم تتفق والفطرة الإنسانية السليمة.

وفي مقابل ذلك، لا يخفى وجود بعض التساؤلات من داخل

المجتمعات الموالية حول العديد من القضايا والأحداث التاريخية التي يعالجها المنبر الحسيني، حيث ترد بعض التساؤلات حول النهضة الحسينية المباركة وما دار فيها من أحداث، إذ قد يراها البعض متعارضة مع المنطق، ومن ذلك: ما قد يطرحه بعض الخطباء بأن العباس ؑ قتل في تلك المعركة من جيش العدو آلاف مؤلفة من الجنود؛ ذلك أن قتل هذا العدد الكبير بحاجة إلى أكثر من يوم ليتحقق، فضلاً عن أن تكفيه سويعات من فترة الظهيرة، وغيرها من التساؤلات المشروعة.

إن طرح هذه التساؤلات والإجابة عنها برحابة صدر له دور مكمل في تنمية حالة الوعي التي يتسم بها أبنائنا.

وقد أحببت مشاركة المؤمنين مجموعة من هذه التساؤلات حول النهضة الحسينية، مخصّصاً ذلك بما ورد ويورده مجموعة من خطباء هذا المنبر المبارك حول شخصية العباس ؑ، راجياً أن يتقبل الله هذه المشاركة وأن يوفّقني فيها لمشاركة إخوتي من الخطباء الكرام فيما يقومون به من دور توعوي واسع وأمانة كبيرة. كما أرجو من الإخوة المؤمنين إبداء ما يرونه من ملاحظات وتصويبات تهدف إلى خدمة هذا الهدف النبيل والمثمر إن شاء الله تعالى.

قصّة الكتاب

تربطنا، نحن أتباع مدرسة أهل البيت ؑ، علاقة وثيقة بمشاهدهم المقدّسة، إذ ينطلق المواليون، في مواسم دينية خاصّة،

ومتى ما أتاحت لهم الفرصة، إلى زيارتها والاحتشاد في ظلال قبائها وبين يدي أجسادهم الطاهرة، يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ ويطلبون شفاعتهم عنده يوم نلقاه، ويرجون إجابة دعواتهم.

لشدة هذه الرابطة، عزمْتُ على تجديد العهد بزيارة الأئمة عليهم السلام في العراق برفقة زوجتي العزيزة، وذلك في أواسط عام ١٤٣٦هـ، إذ كانت زوجتي تعاني، في حينها، من آلام شديدة في الظهر (ما يعرف بآلام الديسك)، فكانت حركتها صعبة وقيامها بأدنى المهام مرهقة. فما كان منها إلَّا أن تتوجَّه إلى زيارة أهل البيت عليهم السلام والتوجَّه إلى الله تعالى في حضرته بطلب الشفاء والعافية.

وعندما وصلنا العراق، كانت زوجتي بحاجة إلى أن تتكى عليّ في كل موقف تقريبًا، لشدة ما كانت تعانيه من آلام. ولكننا بعد أن وصلنا إلى كربلاء المقدَّسة، وتوجَّهنا إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام، توجهنا بالدعاء إليه سبحانه بحق أبي الفضل أن يستجيب دعاءنا، وقد نذرتُ حينها بأنه في حال شفيت زوجتي أن أكتب كتابًا عن العباس عليه السلام.

وبعد أيام، وجدتُ زوجتي تحسَّنًا واضحًا في صحتِّها، أخذًا في التقدُّم، لدرجة أننا لم نغادر العراق إلَّا وباستطاعتها الاعتماد على نفسها بصورة تامَّة، ولم يكن لدى أيِّ منَّا شكٌّ بأن ذلك كان ببركات أبي الفضل، سلام الله عليه.

وعندما وصلنا، بحمد الله، إلى البلد، أخذت في ممارسة مهامها

بصورة طبيعية تقريباً.

وكنت حينها ملزماً بالوفاء بالنذر، بتأليف كتابٍ عن العباس ؑ، وهو الكتاب الذي لم تكن معالمه واضحة لديّ، ولكنّ حضور مجالس المنبر الحسيني غنية بذكر أبي الفضل ؑ، ويبدو أن ذكر بعض مآثره ؑ في بعض تلكم المجالس التي حضرها بعد عودتي دفعني إلى البحث عن سيرة العطرة بصورة أكثر توسّعاً. ورغبةً في تجلية كثير من المواقف، كان البحث يتطلّب تتبّعاً واسعاً وربطاً بين المصادر، وتحليلاً لارتباط بعض الروايات بروايات أخرى، ما دفعني في مجموعة من تلكم المواقف إلى الحديث مفصّلاً عن بعض المصادر، وبخاصّة التي ظهرت في القرن العاشر الهجري وما تلاه، إذ إنّ كثيراً من مصادر ما يُلقَى على المنابر يرجع إلى تلكم الكتب، وهي مصدره الأساس، وهو ما سنتبيّنه أكثر في ثنايا الكتاب.

أرجو منه سبحانه أن يتقبّل هذا الجهد وأن يكون مخلصاً لوجهه الكريم، ومفتاحاً لمزيد من الدراسات التاريخية التحليلية حول واقعة كربلاء المقدّسة ومجمل تاريخنا الإسلامي.

والحمد لله رب العالمين

علي عبد الله الفرج

٢٩ / ١٠ / ١٤٣٨ هـ : ٢٣ / ٧ / ٢٠١٧ م

التمهيد

واقعة كربلاء .. قراءة في مصادرها

- رفض مرويات المصادر الحديثة
- القرن العاشر الهجري وظهور الروايات الحديثة
- من أسباب وجود الروايات الضعيفة في المصدر الحديثة
- إعادة النظر في كتب المجالس والمقاتل

يتناول الكتاب رصدًا تاريخيًا لحياة العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استشهد في واقعة كربلاء يوم عاشوراء، الحادثة التاريخية المهمة والمفصلية في التاريخ الإسلامي، التي وقعت مع تسلّم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مقاليد الحكم، خلقًا لأبيه، بوصية وولاية عهد منه.

ولأنه يعالج حوادث تاريخية تعدّ من الحوادث المبكرة في التاريخ الإسلامي، لا بدّ من تتبّع وتوثيق تلكم الحوادث حادثةً حادثةً. وهو ما يعني الرجوع إلى المصادر التي أرّخت لتكم الحقب الزمنية، من كتب التاريخ، والحديث والأدب والتراجم، وعدم الركون إلى أيّ مصدر كان، ذلك أن تتبّع الكثير من الأحداث التي تروى في التاريخ لشخصية العباس عليه السلام على ألسنة خطباء المنابر وكُتّاب المجالس لا يقود دائمًا إلى مصادر موثوقة عاصرت تلكم الأحداث أو تروي عمّن عاصرها، وإنما روي بعضها عن مجاهيل، تنحصر روايتها في مصادر حديثة في أحيان كثيرة، وبخاصّة ما صدر منها وكتب في القرن العاشر الهجري وما تلاه.

وانحصار رواية بعض الأحداث في مصادر حديثة لا يمكن الركون إليه؛ لأنه مصدر لم يعاصر تلكم الأحداث، ولم يَرَوْ عَمَّن عاصرها، وهو ما يجعل رواية هذه المصادر لتلكم الأحداث غير مقبول من الناحية العلمية والمنهجية. وهو ما يفرض على الباحث رفضها وعدم قبولها، وهو ما التزمه الباحث خلال عناوين الكتاب ومجمل مسأله التفصيلية.

رفض مرويات المصادر الحديثة

ورفض العديد من هذه الروايات يدعو إلى التأمل والتردّد في بعض الحالات، كما أنه يثير تساؤلات حول وجودها في مصادر تُجمع كتب التراجم على علوّ مكانتهم ومنزلتهم العلمية، فلعلّهم اعتمدوا على مصادر لم تصل إلى عصرنا الحاضر، لتلفها أو ضياعها. وهو تساؤل مشروع، ومن المهمّ الإجابة عنه بصورة وافية، وانطلاقاً ممّا عالجه الكتاب من مسائل، وذلك كالتالي:

أولاً: إنّ كثيراً من الروايات التي لم نعثر على ما يؤيّدنها في المصادر القديمة لم يُشَر رواتها إلى مصادر محدّدة اعتمدها في نقل الرواية، وإنما يسردها المؤلّف دون سند رجالي، ودون إشارة إلى مصدر تاريخي أو حديثي. وفي بعض الأحيان ينقلها المؤلّف عن مصدر مجهول، كأن يقول: «عن بعض الأصحاب» أو: «نقل هذه الرواية بعض الثقات» أو: «نقلها بعض الأكابر»، وما شابهها من تعبيرات. ولا يصحّ اعتماد الرواية التاريخية ما دامت رويت بهذه

الطريقة من الناحية العلمية.

ثانيًا: ثمة بون كبير بين رواية أحداث واقعة كربلاء في المصادر التاريخية القديمة وبين روايتها في المصادر الحديثة، في العبارات والألفاظ، إذ تطفح كثير من المرويات التي تنفرد بها المصادر الحديثة بالمبالغات والأوصاف الشعبية. ولا يبعد أن لذلك أسبابًا، من أبرزها هدف مؤلفي تلكم المصادر، إذ يهدف العديد من مؤلفي المجالس إلى استثمار مأساوية الحادثة في إبكاء المتلقي واستدراار عاطفته، وهو ما يدفعه إلى حشد مجموعة من المرويات التي قد لا يكون مصدرها سوى النقل الشفاهي، دون مصدر روائي أو تاريخي معتمد.

ثالثًا: إنَّ تتبع المرويات التي تنفرد بها المصادر الحديثة توقف الباحث على ظاهرة، يمكن تسميتها بـ: «سحب الروايات بعضها على بعض». ذلك أن بعض هذه المصادر تروي حادثة تاريخية معيّنة، وتنسبها إلى إحدى الشخصيات، وبعد البحث والتتبع يظهر وجود حادثة تاريخية مشابهة وقعت لشخصية أخرى. ومن أمثلة ذلك:

(١) تسمية العباس عليه السلام بـ: «سبع القنطرة» مسحوبة من روايات قديمة وردت عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) ما ورد عن العباس عليه السلام بأنه «زُقَّ العلم زُقًّا» مسحوبة من رواية وردت في بعض المصادر، ونصّها: «عبد الله بن العباس كان يزقه العلم زُقًّا».

(٣) ما ورد في موقف للإمام الحسين عليه السلام في جنازة أخيه الإمام

الحسن ؑ عندما رآها ترمى بالسهم، فعظم عليه الأمر، فجرد سيفه وأراد البطش بأصحاب «البغلة» لولا وصية أخيه القائلة: «لا تهرق في أمري محجمة من دم»، فهذه الرواية مسحوبة من قول الحسين ؑ: «والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء، وألاً أهرق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا».

٤) فيما يتعلّق بخطبة أم البنين ؑ لأmir المؤمنين، يروى أنّ أخاه عقيلاً حدّث والدها حزاماً بشأن خطبتها، فأخبرت أمها بحلم رآته بأنها كانت جالسة في دارها وإذا بالقمر يقع في حجرها. وهذه الرواية مسحوبة من رواية عن زوج النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب، التي رأت في منامها - قبل زواجها - كأن قمرًا في السماء قد سقط في حجرها.

إنّ حال الروايات التي تنفرد بها المصادر الحديثة لا يُفضي بالباحث إلى قناعة بأنها مروية عن مصادر قديمة لم تصل إلى العصر الحاضر، حتى يكون ذلك دافعاً إلى قبولها واعتمادها علمياً.

القرن العاشر الهجري وظهور الروايات الحديثة

برز - في بدايات القرن العاشر الهجري - كتاب (روضة الشهداء)، وهو: كتاب «فارسي ملمع للمولى الواعظ الحسين بن علي الكاشفي البيهقي المتوفى حدود ٩١٠، مُرتّب على عشرة أبواب وخاتمة فيها

ذكر أولاد السبطين وجملة من السادات ... ويُحتمل أنه أول مقتل فارسي شاعت قراءته بين الفرس، حتى عرفه قارئه بـ (روضة خوان) ثم توسع في هذا العنوان إلى هذا الزمان حتى يقال لكل قارئ: (روضة خوان)^(١). ولأنّ حرف الضاد الفارسية تُنطق قريباً من حرف الزاي العربية، انتقلت هذه التسمية، فأصبح خطيب المنبر الحسيني الذي عُرفَ بهذه المهنة يُسمّى: روزِ خون، أي: قارئ نسخة روضة الشهداء.

وقد «واجه الكتاب مجموعة من الانتقادات التي سلّطت الأضواء لنقاط الخلل فيه، بل سجّل بعض الباحثين نقداً حاداً ضد الكتاب، من أهمها:

- اصطباغ الكتاب بالصبغة الصوفية، والنقول غير الدقيقة، بل غير الصحيحة.
- واعتماد الأسلوب القصصي الخيالي.
- مع اقتصار الكتاب على الجانب المأساوي وذكر المصائب بعيداً عن التحليل وإظهار الجانب الملحمي والسياسي لواقعة عاشوراء.

وممن انتقد الكتاب بشدّة الأعلام: الميرزا عبد الله الأفندي في كتاب رياض العلماء، والميرزا حسين النوري في كتابه اللؤلؤ والمرجان، والشهيد مطهري في كتابه الملحمة الحسينية^(٢).

(١) الذريعة، آقازك الطهراني، ج ١١ / ٢٩٤.

(٢) موقع (ويكي شيعية)، تحت عنوان (روضة الشهداء).

وفي معرض تقييم الكتاب، يقول الشيخ محمد الري شهري في موسوعة الإمام الحسين ؑ، ج ١ / ٩٥: «لا يعد هذا الكتاب كتابًا تاريخيًا، وإنما يعدّ كتابًا إعلاميًا، بل خياليًا».

وقد انتقل تأثير هذا الكتاب إلى المؤلفات العربية، فنراه مهمينًا على كتاب المنتخب للطريحي، مثلًا، الذي انتشر بين قراء المجالس انتشار النار في الهشيم. وكان تأثير الروضة على المنتخب في الأسلوب القصصي في رواية الأحداث التاريخية، دون أن يعني ذلك اتحادهما في الروايات الخاصة بواقعة كربلاء، إذ ينفرد المنتخب للطريحي بأحداث وروايات غير موجودة في روضة الشهداء.

وقد ظهرت مجموعة من كتب المقاتل والمجالس الحسينية، كأسرار الشهادة للدربندي، ومعالي السبطين للشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني، ومقتل الإمام الحسين المنسوب لأبي مخنف الأزدي. وسيأتي الحديث عن هذه المصادر في فصل خاص من الكتاب.

وقد كان لوجود مثل هذه المؤلفات أثر كبير في التشجيع على ارتقاء منبر الخطابة الحسينية، إذ تساهم هذه المؤلفات في حصر أحداث واقعة كربلاء في مصدر واحد لا يضطر الخطيب إلى مراجعة مجموعة كبيرة من المصادر. ولكنها ساهمت - من ناحية أخرى - في انتشار مجموعة من الأحداث التي انفردت بروايتها هذه المؤلفات، مما ساعد في تركيزها في ذاكرة الجمهور الموالي دون غيرها من

المرويات، وأصبح من الصعب التشكيك في وقوعها أو نفيها.

من أسباب وجود الروايات الضعيفة في المصادر الحديثة

إنّ تتبّع هذه المرويات يوقف الباحث على تحليل ورودها وحضورها في هذه المصادر، إذ يُظنّ قويّاً أن ذلك ناتج عن مجموعة من الأسباب، يمكن الإشارة إليها في النقاط التالية:

الأولى: غياب التحليل التاريخي لواقعة كربلاء لدى مجموعة من أصحاب هذه المصادر، إذ تركّزت لديهم ما لآبَسَ الحادثة من أجواء مأساوية وما وقع على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه من ظلمٍ وما رافق ذلك من مآسٍ، دون بيان أو تبين للظروف الموضوعية التي سبقت أو رافقت تلكم الحادثة وما تلاها من نتائج. وكان التركيز على الجانب المأساوي يدفع باتجاه تسليط الضوء على الأحداث المغرقة في الحزن والأسى، على حساب بيان تلكم الظروف التي من شأنها بيان هدف النهضة الحسينية ومبادئها العليا التي ثار عليه السلام من أجلها.

وقد أدّى الإغراق في هذا الجانب دون سواه فيما يلقي على المنابر العاشورائية إلى أن ينادي العالم الربّاني الميرزا جواد الطهراني أولئك الخطباء بقوله: «حاولوا ألاّ يُنسى الله في مجالس الإمام الحسين عليه السلام»^(١). وما يريده الطهراني من حديثه هذا أنّ الهدف السامي الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام من ثورته، أشرف على الاندثار،

(١) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٦ / ١٤٨.

وطغت الحوادث المأساوية على تلکم القيم.

وكما يتحمّل الخطباء مسؤولية كبيرة في هذا الجانب، يقاسمهم في ذلك الجمهور، إذ غالبًا ما يرغبون في حضور المجالس التي تستجلب الدمة على حساب الموعظة والعبرة، ولذلك يحرص الخطباء على انتقاء المواقف الأكثر إحراقًا للقلوب وإدراًا للدموع فيما يقفون عليه من مصادر في كتب المقاتل. بل إن بعضهم قد يوسّعون في بعض ما يقرأون، ويؤلّفون من قصة لا تزيد أحداثها عن سطرین صفحات في بعض الأحيان^(١).

والتركيز على هذه النقطة من شأنه أن يزيد من جرعة القصص المأساوية التي تستدرّ الدمة وتثير الحرقه في النفس الإنسانية.

الثانية: التقرب من الجمهور إلى الدرجة التي تُطرح فيه القضية الحسينية بصورة أقرب إلى الصورة الشعبية. وهي الصورة التي تركّز على حكايا البطولات والمغامرات الأسطورية، فتكثر فيها البطولات الغرائبية وخوارق العادات والطبيعة. ومن أمثلة المبالغات التي تذكرها هذه المصادر:

ورد في أكثر المصادر أنّ عدد القتلى في جيش عمر بن سعد بلغ ٨٨ قتيلًا، إلّا أنّ الشيخ الحائري المازندراني في معالي السبطين يذكر بأن عدد القتلى وصل إلى ١٥٠ ألف قتيل. وهو الرقم الذي يظهر

(١) انظر: جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، إعداد: الشيخ حيدر حب الله، ص ٢٢٦.

شجاعة خارقة اتسم بها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم.

وكان للجروح التي أصيب بها الإمام الحسين عليه السلام نصيبٌ من مبالغة المؤرخين، فقد ازداد عددها من ٦٣ جرحاً إلى ١٢٠، ثم إلى ٣٢٠، وصولاً إلى ١٩٠٠ جرحاً، ثم ارتفع العدد إلى أربعة آلاف ومائة وثمانين (٤١٨٠) جرحاً. ولا يُعلم كيف تمكن المؤرخون من عدّ هذه الجراحات، وكيف تحمّلها جسد الإمام عليه السلام^(١).

الثالثة: وضع الحديث، لارتباط النهضة الحسينية بالإمام الحسين عليه السلام، فمصادر الحادثة لا تنحصر في المدونات التاريخية، وإنما تُستقى كثير من تفاصيلها من كتب الحديث. ومما ابتليت به هذه المصادر كثرة الأحاديث الموضوعة، ولذلك قد تتسرّب هذه الأحاديث إلى كتب المقاتل والمصادر التاريخية الخاصة بواقعة كربلاء. كما أنّ ظاهرة وضع الحديث والأخبار المختلفة قد تتسرّب من كتب الحديث إلى المدونات التاريخية وكتب المقاتل^(٢).

ولذلك ظهرت كثير من الأحداث التي لا أصل لها في هذه المصادر، ومن أمثلتها: لما أراد العباس عليه السلام القتال، لم يُجزّه الإمام الحسين عليه السلام، بل أرسله ليأتي بالماء، وقيد يديه ورجليه بإتيان الماء وحمل القربة^(٣). وهي قصّة واضحة التلفيق والوضع.

(١) انظر: موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٤ / ٦٣٩ - ٦٤٩.

(٢) لمزيد من التوسّع حول هذه الظاهرة، انظر: موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٦ / ١٢٦ - ١٤٦.

(٣) معالي السبطين، ج ١ / ٤٣٦.

وفيما يتعلّق بنقل الأخبار ذات المضمون التاريخي، لا يمكن تصحيح ذلك بقاعدة التسامح في أدلة السنن^(١)، ذلك أنها قاعدة ترتبط بالمستحبات العبادية، ولا علاقة لها بنسبة الأخبار إلى المعصوم؛ إذ «لا يسوغ نسبة الخبر إلى المعصوم عليه السلام من دون طريق معتبر. وورود الإذن المسامحة في أدلة السنن عن النبي المختار ﷺ والأئمة الأطهار ممنوع. والأخبار التي استدل بها قاصرة عن إفادة المطلوب، وإن وافقه في الاستدلال به الأكثر، إلا أنهم - عند التأمل والتحقيق - اشتبهوا في فهم معناها»^(٢).

الرابعة: تحول لسان الحال إلى لسان المقال، وهذه النقطة تتعلّق في معظم صورها بالأبيات الشعرية التي يردها الخطباء، إذ كثيرًا منها تروي الحادثة من خلال تصاوير وخيالات تعبّر عن «لسان حال» الإمام، ولا تعبّر عن الحادثة من خلال وقائع حدثت بالفعل، ولكنّ تكرار هذه الأبيات وتلك الصور والخيالات تتركز في ذهن المتلقّي، فتنتقل من صورة الخيال إلى قناعات بأنها أحداث وقعت وأقوال قيلت بالفعل.

(١) ممّن أشار إلى ذلك: الشيخ آقا بزرك الطهراني في حديثه عن كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي، إذ يقول عنه في الذريعة، ج ٢ / ٢٧٩: «ومن شدة خلوصه وصفاء نفسه، نقل في هذا الكتاب أمورًا لا توجد في الكتب المعتمدة، وإنما أخذها عن بعض المجاميع المجهولة؛ اتكالا على قاعدة التسامح في أدلة السنن، مع أنه لا يصدق البلوغ عنه بمجرد الوجداء بخط مجهول».

(٢) مقباس الهداية في علم الدراية، الشيخ المامقاني، ج ١ / ١٩٦.

الخامسة: عدم تبني المؤسسات العلمية، والحوزات بصورة خاصة، للتحقيق في القضية الحسينية من الناحية التاريخية، وكذلك عدم وجود مؤسسات علمية ينتمي إليها خطباء المنبر الحسيني يتدرّب فيها الخطيب على تحقيق الحوادث والمسائل التي يعالجها على المنبر. وهو ما يطرحه الشيخ الريشهري، إذ يقول: «إن عدم الاهتمام المناسب من قبل الحوزات العلمية والشخصيات العلمية البارزة بهذه القضية البالغة الأهمية من جهة، وارتباط إقامة مجالس العزاء على سيد الشهداء بتأمين أسباب العيش لعدد من منشدي المراثي من جهة أخرى، أدّى إلى أن تحلّ إثارة عواطف الناس في الكثير من مجالس العزاء محلّ بيان الأهداف السامية للنهضة الحسينية، وبذلك لم تشعّ الروايات الضعيفة والفاقة للأساس فحسب، بل تمهّدت الطريق لانتحال الكذب في إنشاء المراثي»^(١).

ثم يقول، ج ١ / ١٦: «وتنقية تاريخ وتعاليم النهضة الحسينية عن التحريفات هو أكبر خدمة يمكن أن تقدمها المراكز البحثية والعلمية لسيد الشهداء عليه السلام».

ثم يبيّن أثر ذلك على ظهور هذه المرويات في المصادر الحديثة بقوله، ج ١ / ٣١: «إن الإحساس بالمسؤولية تجاه الإمام الحسين عليه السلام قد امتزج مع الحماس الذي يعتري كلّ إنسان عند دراسة نهضة

(١) الصحيح من سيرة سيد الشهداء وأصحابه، الشيخ محمد الريشهري، ج ١ / ١٤ - ١٥.

عاشوراء، فدفعهم هذا الإحساس إلى التساهل في التعامل مع الروايات العديمة الأساس أحياناً، مما أدى بهم أحياناً إلى أن يعتمدوا على الروايات الشفوية أيضاً، والتي سمعوها من هنا وهناك، أو من بعض الخطباء وقُرَّاء المراثي، وأن يذكروا في كتبهم إضافات لا تنسجم مع حادثة عاشوراء وتتعارض مع أهدافها، فضلاً عن اعتمادهم على الكتب المتدنية المستوى، أو المجهولة، أو حتى المنتحلة».

إعادة النظر في كتب المجالس والمقاتل

انطلاقاً من النقاط الواردة أعلاه، وأهمية واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي الموالي، والتزاماً بالأمانة العلمية، ينبغي مراجعة الموروث الروائي فيما يتعلق بحادثة عاشوراء، وبالخصوص ما هو مبثوث في كتب المقاتل والمجالس الحسينية. وهو ما دفعني إلى تناول إحدى أبرز الشخصيات الكربلائية، وهو سيدنا العباس ؑ، إذ يتناول الكتاب بحثاً استقصائياً عن سيرته الشريفة، من الولادة إلى الاستشهاد، وما يتعلق بها، من قبيل: زواج أمه الشريفة أم البنين بأمير المؤمنين، وما بعد استشهادها، فيما يرتبط بزيارته، مثلاً.

وتمهيداً للبحث، يسبق ذلك فصل خصصته لتناول المصادر الروائية والتاريخية ذات العلاقة بما روي من أحداث ترتبط بشخصية العباس ؑ. وثمّ ينتقل الحديث في الفصل الثاني العباس ؑ في كنف والده، يتناول قصة زواج أم البنين بالأمير ؑ، ومن ثم الحديث عن

ولادته وتسميته. وفي الفصل الثالث ينتقل الحديث إلى سيرته المباركة في عهد أخويه الحسين، لتكون الخاتمة في الفصل الرابع مع أحداث واقعة كربلاء.

وكان المنهج في جميع المسائل التي تناولها فصول الكتاب هو التثبت قدر الإمكان مما روي عنه عليه السلام من المصادر الأساس، وردّ ما انفردت به الكتب الحديثة، وبالخصوص كتب المجالس، وإن بلغت شهرته الخافقين، ما لم يكن له مصدر موثوق معتمد.

والله وراء القصد، وعليه الاتكال.

الفصل الأول

دراسة تعريفية بالعباس عليه السلام

- أمّ البنين: من الخطبة إلى الرحيل
- لمحات من السيرة الشخصية للعباس عليه السلام

أم البنين من الخطبة إلى الرحيل

بطاقة تعريفية

- الاسم: أم البنين.
- الأب: حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.
- الأم: ثمامة بنت سهل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.
- الزوج: علي بن أبي طالب.
- الأولاد: أبو الفضل العباس، جعفر، عثمان، عبد الله.
- مكان الوفاة: المدينة المنورة.
- مكان الدفن: جنة البقيع.

أسرة أم البنين ﷺ

اختلف المؤرخون والنسابة في سلسلة أجداد أم البنين، إذ يذكر الشيخ عبد الواحد المظفر في كتابه (موسوعة بطل العلقمي)، ج ١/ ١٠٠ أن «أسرة أم البنين هي: (آل الوحيد)، وهي من سادات العرب وأشرفهم وزعمائهم وأبطالهم المشهورين»، وقد أسهب المظفر وفصل كثيرًا في هذه النقطة، وهو تفصيل لا ثمره بيّنة منه، ومن أراد

الاستزادة حوله، فليراجع كتابه (بطل العلقمي).

اسم أبيها (حُزَام) أم (حَرَام)؟

في إشارته إلى اسم أبيها، أشار الشيخ المظفر، في كتابه بطل العلقمي ج ١ / ١٠٠، إلى ورود اسمه بِرَسْمَيْن: (حُزَام) و(حَرَام)، مرجحاً الأخير منهما، ومشيراً إلى أن ذكره برسم: (حُزَام) تصحيف وتحريف، معتمداً في ذلك - على ما يبدو - على ما ذكره ابن حجر في الإصابة، ج ٢ / ١٤٤، وحده لا غير، وذلك في قوله: «حرام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب بن ربيعة العامري، ثم الوحيدي، له إدراك وتزوج علي بن أبي طالب بنته أم البنين بنت حرام، فولدت له أربعة أولاد: العباس وعبد الله وعثمان وجعفرًا، قُتِلُوا مع أخيهما الحسين يوم كربلاء. ذكر ذلك هشام بن الكلبي والزيبر بن بكار».

ولكن كيف يمكن للشيخ المظفر أن يقطع باسم (حرام) دون (حزام) مع أن اعتماده كان على مؤرخ واحد، وهو ابن حجر، ورفضه لمعظم المؤرخين القدامى المعتمدين؟، وهذا تجاوز دون مسوغ. ولأنّ ترجيح رأي علي آخر يحتاج إلى مرجح، نذكر بعض المؤرخين الذين اعتمدوا الاسم (حزام)، وهم:

- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، ج ٣ / ٢٠.
- مناقب الإمام أمير المؤمنين ؑ، لمحمد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠هـ)، ص ٤٩.
- سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري (ت ٣٤١هـ)، ص ٨٨.

- مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ص ٥٣.
 - الإرشاد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، ج ١ / ٣٥٤.
 - العمدة، لابن البطريق (ت ٦٠٠هـ)، ص ٣٠.
- وغيرهم.

يقول السيد الجلالى في كتابه العباس عليه السلام، متناولاً هذه المسألة: «كذا أثبتته بالراء النسابون، منهم: ابن الكلبي والزيبر بن بكار، ووافقهم ابن عبد ربه وابن حجر العسقلاني والمقرئزي والشيخ الطوسي من الرجال عند ذكر العباس في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام»^(١).

ثم يعلّق على ما أورده، فيقول: «قد جاء في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام لابن أبي الدنيا، عند ذكر أولاده، ذكر العباس وأخوته من أم البنين، فقال (بنت حرام)»^(٢).

ثم يشير السيد الجلالى في الهامش بقوله: «كذا قرأت الكلمة في النسخة المصورة المحفوظة عندنا، لكن المرحوم الطباطبائي الذي حقق الكتاب، أثبت الكلمة (الحزام) بالزاي، انظر مجلة (تراثنا) العدد (١٢) ص (١٣٠). وأظنه اتبع المشهور في أكثر الكتب المتداولة، لوجود تشويه بالسواد على حرف الراء من كلمة (حرام) من النسخة المصورة التي اعتمدها، وقد تحقق لدي أن التشويه إنما هو علامة كان يضعها الكاتب على حرف الراء في الكلمات تمييزاً لها عن حرف

(١) العباس بن علي، السيد الجلالى، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩.

الزاي، والتي وضع عليها نقطة فقط، وهذا واضح لمن دقق في تلك النسخة»^(١).

ولهذا، قد يكون الأقرب أن اسم والد أمّ البنين: (حرام) لا (حزام).

من هو أبو المُحَلِّ؟

جاء في تاريخ الطبري، ج ٤ / ٣١٤: «.. لما قبض شمر بن ذي الجوش الكتاب، قام هو وعبد الله بن أبي المحل، وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب ؑ...»، فمن هو (عبد الله بن أبي المحل)؟

كُنِّي (حرام) في بعض المصادر بـ «أبي المُحَلِّ»، وهو اشتباه؛ فإنها كنية للديّان، وهو ولد (حرام) وأخو أم البنين. وأمهما: ليلى بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب^(٢).

وقد ورد ذكر لابنه (ابن الديّان)، واسمه: عبد الله بن الديّان أبي المُحَلِّ. ومن هذه المصادر:

- تاريخ الطبري، ج ٥ / ٤١٥، حيث ورد اسمه فيه هكذا: عبد الله بن أبي المُحَلِّ بن حزام.

(١) المصدر السابق، ٤٩.

(٢) جمهرة النسب، للكلبي، ج ٧ / ٣٢٨.

- وفي الكامل لابن الأثير، ج ٤ / ٥٦.
 - ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ج ١ / ٣٤٨.
- والديان أبو المجل هو أخو أم البنين، وعبد الله هذا هو ابن أخيها، وهي عمته.

واسم (المجل) يُصَبِّطُ بضم الميم وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام، كما في جمهرة النسب، للكلبي ج ٧ / ٣٢٨، وعمدة القاري في شرح البخاري ج ٤ / ١٨٩؛ والمصنف لعبد الرزاق ج ١ / ٤١٥ رقم ١٦٢٣؛ ومصنف ابن أبي شيبة، ج ٥ / ٣١٩؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ / ٢٤٢؛ وتهذيب ابن حجر ج ٥ / ٣٤١.

وتصحفت كلمة (المجل) إلى: (المجل) في سر السلسلة العلوية للبخاري، ص ٨٨؛ وتاريخ الطبري ج ٥ / ١٥٣، بل حتى عند بعض المعاصرين، منهم: المظفر في كتابه بطل العلقمي، ص ١٠٢، والأردوبادي في كتابه فصول في حياة العباس عليه السلام، ص ١٨.

ما هو اسم أم البنين عليه السلام؟

أما اسمها ﷺ، فقد اختلف المؤرخون حوله، إذ يوردون احتمالات ثلاثة، هي:

الأول: فاطمة: والذي يذكرها بهذا الاسم هو أبو نصر البخاري (المتوفى ٣٤١هـ) في كتابه سر السلسلة العلوية، ويشاركه في ذلك الرأي ابن عنبه (المتوفى ٨٢٨هـ) في كتاب عمدة الطالب، وقد ذكره اعتمادًا

على سابقه كما يظهر، ولذا فإن الأصل في هذا الرأي هو البخاري.

الثاني: أم البنين: وهو الأصح، وقد ذكر (سلمان آل رامس) في كتابه (العباس ؑ) بحثاً في نسله وعقبه عند مراجعته في اسم أم البنين، فوجد أن الجميع تقريباً متفقون على هذا الاسم. ومن هذه المصادر:

- (١) مقتل الحسين لأبي مخنف (ت ١٥٧هـ).
- (٢) تاريخ ابن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ).
- (٣) المعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).
- (٤) أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ).
- (٥) الأخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢هـ).
- (٦) المنمق للبغدادى (ت ٢٨٤هـ).
- (٧) تاريخ يعقوبي (ت ٢٨٤هـ).
- (٨) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ).
- (٩) التنبيه والإشراف للمسعودي (ت ٣٤٥هـ).
- (١٠) المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠هـ).
- (١١) شرح الأخبار للقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ).
- (١٢) رجال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ).
- (١٣) مناقب آل أبي طالب ؑ لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ).
- (١٤) السرائر للشيخ ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ).
- (١٥) العمدة لابن بطريق (ت ٦٠٠هـ).
- (١٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ).
- (١٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ).

- (١٨) الدر النظيم لابن حاتم العاملي (ت ٦٦٤هـ).
 - (١٩) كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي (ت ٦٩٢هـ).
 - (٢٠) ذخائر العقبي للطبري (ت ٦٩٤هـ).
 - (٢١) المجدي في أنساب الطالبيين للعلوي (ت ٧٠٩هـ).
 - (٢٢) رجال ابن داوود (ت ٧٤٠هـ).
 - (٢٣) مجمع الزوائد للهيتمي (ت ٨٠٧هـ).
 - (٢٤) الإصابة لابن حجر (ت ٨٥٢هـ).
 - (٢٥) الفصول المهمة لابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ).
- ويبدو أن تسميتها بـ «أم البنين» يعدّ تفاؤلاً بأن يرزقها الله بنيًا كثرًا، وذلك من عادات العرب في التسمية.

(الثالث) جعدة: ويظهر اشتباه المؤلف أو الناسخ في تسمية (أم البنين) بهذا الاسم، إذ ورد في كتاب (الهداية الكبرى) للحسين بن حمدان الخصيبي، إذ يقول في ص ٩٤: «... وَكَانَ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ وَالْعَبَّاسُ وَجَعْفَرُ وَعُثْمَانُ مِنْ أُمِّ الْبَنِينَ، وَهِيَ: جَعْدَةُ ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ الْكَلَابِيِّ...». وما ذكره فيه اشتباهات ثلاثة: اسمها، واسم أبيها، واسم جدها، كما بيناه سابقًا.

وانطلاقًا ممّا قرّر أعلاه، يظهر عدم صحّة ما يتردّد من أن أم المؤمنين طلّبت من زوجها الإمام علي عليه السلام بالألّاّ يناديها فاطمة؛ حتى لا يشعر أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها بالحزن عند سماع اسم أمهم في كل

مرة، وطلبت منه مناداتها بـ «أم البنين»^(١).

وممن يورد هذه القصة: الشيخ الكلبي ؑ، وفي روايته لها يسبقها بقوله: «على ما قيل»، وهو دليل على أن الرواية لم تنقل في الكتب المعتمدة، بل حتى في الكتب غير المعتمدة، إلا أنها تنقل على ألسنة الخطباء أو العلماء. فطريق الرواية ضعيفة، وهو ما يدعو إلى رفضها وعدم اعتبارها.

يقول الشيخ محمد إبراهيم الكلبي النجفي (١٣٠١ - ١٣٦٢هـ) في مقدمة كتابه (الخصائص العباسية): «يقول غريق بحر المعاصي محمد إبراهيم الكلبي: لمّا رأيت آثار الشيخوخة قد ظهرت عليّ، وعلامات الضعف والنقاهة قد بدت فيّ، فقوأي الجسميّة نحو الانحطاط، وشمس عمري تقرب من الأفول والغروب، ولم أر في ديوان عملي عملاً صالحاً مقبولاً، ولا فيما سلف منّي أثراً خالصاً مفيداً، فكدت آيس لولا أن تداركتني رحمة ربّي...»

ولذلك قرّرت - مع قلة بضاعتي وضعف بياني - أن أطرق باب الإمام الحسين ؑ وجهدي الضعيف، فأكتب من فضائل أبي الفضل العباس ؑ ومناقبه، وما تيسّر لي انتقاؤه من كتب شتّى، وما سمح لي التوفيق بجمع ما تفرّق من خصائصه الكبرى، وأنا أعترف بقصوري وعجزني عن درك ساحل يمه الوارف، ونيل قليل ممّا يحويه بحر

(١) انظر: الخصائص العباسية، الشيخ محمد إبراهيم الكلبي النجفي، ص ٩.

جوده الجارف، وبلوغ وصف شيء مما يحمله من فضائل ومكارم». من يقرأ هذه المقدمة، قد يلتمس العذر للمؤلف في عدم التوثق من بعض الروايات؛ لأنه ألفه على كبر في السن وضعف في الجسم، رحمه الله وأعطاه قدر جهده وطاقته في خدمة دينه ومعتقده. وسيأتي مزيد بيان عن المؤلف وكتابه عند الحديث عن كفالة العباس عليه السلام للسيدة زينب عليها السلام.

أما التعليق على الرواية، فمن المهم الإشارة إلى أن الروايات تُعامل على ثلاثة أنحاء:

- جمع الروايات: وهو تأليف الروايات عن الشتات، صحيحها وسقيمها. وما صدر ويصدر في هذا الاتجاه إنما بغرض تسهيل العقبات أمام المؤلفين والباحثين، إذ تكون الروايات ذات الموضوع الواحد مجموعة في مكان واحد.
- انتقاء الروايات: ويراد منه اصطیاد بعض الروايات لموضوع خاص، سواء كانت هذه الروايات صحيحة أو ضعيفة، ولكنها تؤيد الموضوع وتقوي الفكرة التي يدعو إليها صاحبها.
- تحقيق الروايات: فرز الروايات الصحيحة من السقيمة، واستنباط الروايات المتعارضة، وهذا أكثر جهداً ومشقة.

ويبدو أن الشيخ الكلّباسي لم يحقق الروايات ولم يجمعها كلياً، وإنما حاول أن يتتقى روايات مناقب أبي الفضل العباس عليه السلام

ويجمعها، ولم يحقق تلکم الروایات من حیث السند والدلالة كما يظهر من تتبعها.

ونظراً لكثرة المصادر التي ذكرت بأن اسم والدۃ العباس ؑ: أم البنین، يظهر أنه الأصح في تسميتها، وهو ما یوافق آراء العديد من المؤرخین القدامی والمحدثین، ولذلك لا يستبعد أنها رواية موضوعة ومختلقة؛ لعدم ورودها في المصادر الأولى في الحديث والسيرة، وورودها إنما بدأ في كتب معاصرة.

أم البنین من الحبشیات!

مما لا خلاف حوله أنّ والدۃ العباس ؑ هي أم البنین، ولكنه قد ورد في بعض المصادر خلاف ذلك، وهو ما يذكره السيد الجلالی في كتابه عن العباس، فيقول: «من أغرب ما رأينا ما جاء في كتاب (المنمّق) لابن حبيب البغدادي ص ٤٠١، حيث عدّ العباس بن علي بن أبي طالب ؑ من (أبناء الحبشيات من قريش). وقد ذكر ذلك ابن إدريس وقال: خطأ منه، وتغفيل، وقلة تحصيل»^(١).

ويُقصد بالحبشي الانتساب إلى ذوي البشرة السمراء ممن يسكنون الحبشة، أو يتصل نسبه إلى أسلاف من الحبشة. وقد يراد من الحبشي في بعض كتب الأنساب من كان لونه أسود، سواء كان الحبشة أو من غيرها. ولأن العباس ؑ ليس حبشياً، إذ تؤكد المصادر إلى أنه

(١) العباس بن أمير المؤمنين، السيد الجلالی، ص ٥٢.

ينتسب أباً وأماً إلى أقحاح العرب، ولم يكن من ذوي البشرة السمراء، إذ تصفه المصادر بقمر بني هاشم، فهي دعوى مرفوضة.

وهذا في حال كان ضبط الكلمة بهذه الصورة: «حَبْشِي»، أو ضُبِطَتْ بهذه الصورة: «الحُبْشِي» التي تجمع على (أحايش)، إذ ورد التعبير: «أحايش قريش»، ويراد به: جماعة من قريش وكنانة وخزاعة، فيقال: «اجتمعوا عند حُبْشِي، وتحالفوا»، وهو جبل بأسفل مكة، وهذا المعنى ليس له أي اتصال ببلد الحبشة أو لون البشرة.

والأقرب هو الضبط الأول؛ لأنّ البغدادي الذي ينقل عنه السيد الجلالی، له كتب ثلاثة حول أنساب العرب، هي: (المنمق) و(المحبر) و(مثالب العرب)، وفي كتابه (المنمق) يذكر أسماء متعددة من أبناء الحبشيات من قريش، ومنهم نضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي^(١)، وهو من أعمام النبي ﷺ، والعباس بن علي، ثم يذكر بأنّ أم البنين حبشية، ومن الواضح أنه اشتباه من البغدادي؛ لأنّ أم البنين من آل الوحيد، الذين هم من أقحاح العرب^(٢).

(١) المنمق، محمد بن حبيب البغدادي، ص ٤٠٠.

(٢) أورد البغدادي في كتابه الآخر المحبر مجموعة من الأخطاء بخصوص نسبة أمهات أهل البيت ﷺ، ومن أمثلة ذلك: أنه ذكر، ص ٣٠٨، أن أمّ الإمام الجواد ﷺ حبشية. ولكن السيد الحسيني القزويني يذكر في موسوعة الإمام الجواد ﷺ، ج ١/ ٣٥ أن أم الإمام الجواد ﷺ أم ولد، يقال لها: سبيكة، وسماها والده الرضا ﷺ: الخيزران. وكانت نوبية، من أهل بيت مارية القبطية، أم إبراهيم ابن الرسول ﷺ، وكانت من أفضل نساء زمانها، ينقل ذلك عن المحدث القمي ﷺ. كما كرر الخطأ نفسه بخصوص الإمام الهادي ﷺ.

اختيار أم البنين زوجةً لأmir المؤمنين عليه السلام

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لأخيه عقيل بن أبي طالب: «اطلب لي امرأة ولدتها شجعان العرب حتى تلد لي ولدًا شجاعًا»^(١). فوقع الاختيار على أم البنين الكلابية، وولدت العباس بن علي عليه السلام وإخوته.

إنَّ مصدر هذه الرواية كتاب (سر السلسلة العلوية)، لأبي نصر البخاري، ص ٨٨.

وينقلها عنه ابن عنبه في (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)، على اختلاف في الألفاظ، إذ وردت فيه بلفظ: «روي أن أمير المؤمنين عليًا عليه السلام قال لأخيه عقيل - وكان نسابةً عالمًا بأنساب العرب وأخبارهم -: انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب؛ لأتزوجها فتلد لي غلامًا فارسًا. فقال له: تزوّج أمَّ البنين الكلابية؛ فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها».

وما دام مصدر الرواية هو كتاب (سر السلسلة العلوية)، من المهمّ تناوله بالبحث: الكتاب ومؤلفه:

نبذة عن أبي نصر البخاري

هو: المؤرخ والنسابة الشيخ أبو نصر سهل بن عبد الله بن داوود

(١) يضيف صاحب (الخصائص العباسية)، ص ٢٢، عن الإمام علي عليه السلام قوله: «لكي أُصيب منها ولدًا يكون شجاعًا وعضدًا ينصر ولدي الحسين، ويواسيه في طفٍّ كربلاء»، وهذه الإضافة من الزيادات الحديثة.

المهري البخاري الذي كان حيًّا سنة ٣٤١هـ، الذي عُرِفَ عنه سفره في البلدان كثيرًا في سبيل تأليف هذا الكتاب، فقدم بغداد وأخذ من علمائها وحدَّث بها وراسل جماعة من علماء الأنساب وأخذ منهم، واستقصى كتب الأنساب التي ظفر بها وأخذ منها. ويظهر من مطالعة الكتاب أنه من المحبين لأهل البيت عليه السلام والمهتمين بأنسابهم، وإن لم يتشيع بمذهبهم عليه السلام. والرجل من مشاهير النسابين، وعلى كتبه المعول، وإليه المرجع. ينقل عنه ابن عنبه كثيرًا في (عمدة الطالب)، ويشاركه ابن طاووس في كتابه (الإقبال) ويعبر عنه بكتاب (سر أنساب العلويين).

ويحتمل أن يكون (أبو نصر البخاري) شخصين: صاحب الكتاب المذكور الذي كان حيًّا سنة ٣٤١هـ، وصاحب (أنساب آل أبي طالب) من علماء النسب أيضًا، الذي ألَّفَ كتابه أيام الناصر بالله الخليفة العباسي المتوفى سنة ٦٢٢هـ في وزارة ناصر بن مهدي، ونقابة السيد شرف الدين محمد بن عز الدين يحيى الذي فوضت النقابة إليه سنة ٥٩٢.

وقد اشتبه صاحب أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج٧/ ٣٢٢ فظنَّ أنَّ الشخصيتين شخصية واحدة. كما أن صاحب الذريعة، آقا بزرگ الطهراني، ج٢٤ / ١٣٩ - ١٤٠، احتمل أن يكونا شخصين.

نبذة عن ابن عنبه

هو: النسابة السيد جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن

علي بن مهنا المعروف بابن عنبه، يصل نسبه إلى الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، توفي سنة ٨٢٨هـ.

ترجم له الشيخ عباس القمي في (الكنى والألقاب)، ج ١ / ٣٥٥، فقال: «سيد جليل علامة نسابة صهر السيد تاج الدين بن معية النسابة شيخ الشهيد الأول وتلميذه، كان من علماء الإمامية، بل هو من عظمائها، تلمذ على السيد ابن معية اثنتي عشرة سنة فقهاً وحديثاً ونسباً وأدباً وغير ذلك».

ويقول في مقدمة الكتاب محمد حسن الطالقاني، ص ٩: «هذا الكتاب (عمدة الطالب) من أهم وأوثق ما في أيدينا من كتب النسب، وكان قد طبع في الهند طبعات رديئة شووها الغلط والسقط. وقد اهتم به فأخرجه عام ١٣٨٥هـ فجاء روعة في فنه وإخراجه وضبطه. ومنذ سنوات عزت نسخه ونذر وجودها في الأسواق فبادر إلى إعادة طبعه من جديد رغبة في تيسيره للباحثين وجعله في متناول أيدي أهله».

وما يظهر من ترجمة مؤلفي الكتابين أنهما ثقتان، ولكن وثاقتهما لا تمنع من مناقشة الرواية سنداً وامتناً (دلالة). وذلك من خلال استعراض النقاط التالية:

(١) من المحتمل أن الرواية غير موجودة في زمن سابق قبل أبي نصر البخاري سنة ٣٤١هـ، ولا يوجد بعده إلى عهد ابن عنبه سنة ٨٢٨هـ، وهو ما يعني وجود فجوة زمنية بين التاريخين يمتد إلى خمسمئة سنة، كما أن الرواية غير موجودة في كتاب بحار الأنوار

- للمجلسي (ت ١١١١هـ)، مع أنّ صاحب البحار لديه جهد استقصائي واسع في تتبع الروايات، وإن كانت ضعيفة.
- (٢) كما أن الرواية ليست مذكورة بسند، بل هي مرسلّة؛ ولذلك فهي لا سند لها ولا مصدر روائياً معتمداً.
- (٣) الرواية مخالفة لعلم أمير المؤمنين عليه السلام العالم الكاشف لحقائق الكون^(١).
- (٤) كما أن الإيمان مقدم على الشجاعة الظاهرية، فمنهج أمير المؤمنين عليه السلام هو الميل إلى الإيمان والوعي بقيم ومبادئ الإسلام.
- (٥) المعروف أن الأشجع هو قبيلة بني هاشم، هذا إذا أراد الإمام الأشجع بين أقرانه، ولكن الشجاعة في غالبها ترجع إلى الاصطفاء الإلهي في أي قبيلة كانت، كما لا يخفى أثر التربية والتنشئة التي تتفوق على جانب الوراثة.
- (٦) بدأت الرواية عند النسابة لا علماء الحديث، وهو ما يقدر في صحّة الرواية.
- (٧) ما ورد عنه في الرواية من قوله عليه السلام: «لأنزوجها فتلد لي غلاماً فارساً»، لا يظهر منه اختصاص ذلك بالعباس عليه السلام، بل من المفترض أن يشمل جميع إخوته؛ لأمرين: الأول: أن البخاري

(١) يراجع حول هذه النقطة: مقتل العباس للسيد عبد الرزاق المقرم، فقد أشار هناك إلى أعملية الإمام علي عليه السلام في أنساب العرب، مع إيراده لهذه الرواية.

ذكر في نهاية الرواية العباس وإخوته، وثانيًا: إن ابن عتبة لم يذكر العباس ولا إخوته، ما يجعلها شاملةً لجميع من تنجبه هذه السيدة المباركة.

٨) وأخيرًا، يحسن ذكر رواية عن كتاب (الدر المثور) لجلال الدين السيوطي، ج ٤ / ٧٢، وهي: «أخرج ابن الضريس عن أبي مجلز ؑ قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب ؑ: (أنا أنسب الناس)، قال: (إنك لا تنسب الناس)، قال: (بلى)، فقال له علي ؑ: (أرأيت قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾، قال: أنا أنسب (ذلك الكثير)، قال: (أرأيت قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، فسكت».

وفي هذه الرواية يظهر من أجوائها أن الإمام له معرفة واسعة بأنساب العرب.

ومن المهم الإشارة إلى أن الدر بندي ذكر رواية مشابهة لها في كتابه أسرار الشهادة، إذ ورد فيه: «روي أن زهيرًا أتى إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل، فقال له: يا أخي، ناولني الراية. فقال له عبد الله: أو في قصور عن حملها؟!

قال: لا، ولكن لي بها حاجة، قال: فدفعها إليه، وأخذها زهير وأتى فجأة العباس بن علي ؑ وقال: يا بن أمير المؤمنين، أريد أن أحدثك بحديث وعيته، فقال: حَدِّثْ، فقد حلا وقت الحديث.

فقال له: اعلم، يا أبا الفضل، إن أباك أمير المؤمنين عليه السلام، لما أراد أن يتزوج بأمك أم البنين، فبعث إلى أخيه عقيل، وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال عليه السلام: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة، لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعظماً ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام ليواسيه في طف كربلاء، وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن إخوانك؟!

قال : فارتعد العباس وتمطى في ركابه حتى قطعه، قال: يا زهير، تشجعني في مثل هذا اليوم؟ والله لأُرِيَنَّكَ شيئاً ما رأيته قط»^(١).

ومن الغريب أن يقول العباس عليه السلام في خضم معركة كربلاء: «قد حلا وقت الحديث»؟!، فكيف يحلو الحديث والمعركة في أوجها، إذ تشير الرواية إلى أن ذلك حدث قبيل استشهاد عبد الله بن جعفر بن عقيل، وهو ما يشير إلى احتدام القتال بين الفريقين، ولا يكون الحديث الجانبي حينها مناسباً.

كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي (ت ١٢٨٥هـ)

المؤلف:

الشيخ آغا بن عابد بن رمضان بن زاهد الشيرواني الحائري المعروف بالفاضل الدربندي ١٢٠٨ - ١٢٨٥هـ، كان فقيهاً وصل إلى

(١) كتاب أسرار الشهادة للدربندي، ج ٢ / ٤٩٧.

مرتبة المرجعية في الفتوى في إيران، وكان كتابه الفتاوي الموجه إلى مقلّديه باسم: (الرسالة العملية). كان يعيش في فترة الدولة القاجارية.

وُلد بقرية (دربند) من توابع مدينة طهران الإيرانية، فولد ونشأ بها، وإليها نسب، وأما لقب الشيرواني فهو نسبة إلى شيروان، وهي مدينة من بلاد تركستان التي أخذتها روسيا من إيران.

وقد ساهم في محاربة البابية أيام ظهورهم في كربلاء لما هاجر إليها، ويذكر محسن الأمين أن البايين حاولوا اغتياله في داره، فدافع عن نفسه، إلى أن هرب، لكنه جرح جراحًا بالغة في وجهه. وبعد سنوات طويلة من مكوثه في كربلاء، انتقل إلى طهران واستقر بها حتى توفي، وقد نقل جثمانه إلى كربلاء، ودفن في الصحن الصغير الحسيني ولم يخلف إلا بنتًا.

وقد اشتهر المؤلف بولعه بإقامة المآتم، وإفراطه في إحياء مراسم ذكرى عاشوراء، ويظهر ذلك بأدنى تأمل في كتابه، كما يصرح هو في المقدمة: «إنّ الدنيا وما خلق، لأجل إقامة عزاء الحسين فيها».

من مؤلفاته المذكورة في بعض الكتب التي ترجمت له:

- خزائن الأصول، مجلدان.
- خزائن الأحكام، شرح على منظومة بحر العلوم.
- قواميس القواعد في الرجال، يشتمل على دراية الحديث والرجال وطبقات الرواة.
- رسالة في معرفة الأسانيد.

- إكسير العبادات في أسرار الشهادات، وقد اشتهر باسم (أسرار الشهادة) في واقعة الطف، تُرجم إلى الفارسية باسم: (أنوار السعادات)، محل البحث.

استغرق تأليفه ثمانية عشر شهرًا، وفرغ منه صبيحة يوم الجمعة منتصف ذي القعدة سنة ١٢٧٢هـ، وقد رتب به على أربعة وأربعين مجلسًا في مقتل الإمام الحسين عليه السلام وشرح واقعة الطف. حاول المؤلف الجمع بين الأخبار القوية والضعيفة بهدف رفع الاختلاف بينها وتحليلها. وقد طبع في طبعات عدّة، تقع الأخيرة منها في ثلاثة مجلدات، لذلك يُعد من المؤلفات الموسّعة حول وقعة عاشوراء.

وقد انتقد العديد من العلماء كتابه؛ لاعتماده ونقله للكثير من المرويات الضعيفة، والتي ليس لها أصل سابق عنها. وفي المقابل، فإن هنالك من دافع عن الدربندي ورد على الانتقادات الموجهة إليه.

وممن انتقده من العلماء:

١) الشيخ حسين النوري الطبرسي (١٢٥٤ - ١٣٢٠هـ) الذي توسّع في انتقاده لإكسير العبادات في كتابه الفارسي (اللؤلؤ والمرجان)، والمؤلف ممن عاصر الدربندي. يقول في نقده: «.. إن كان الهدف من وراء جمع هذا الزخم الكبير من الروايات الضعيفة وبثه في كتاب هو إبراز حجم التبع، وإعطاء صورة جديدة للسيرة، والتفوّق على المقاتل السابقة، فإنّ ذلك لن يحقق لنا سوى مسناة جديدة تضاف لقائمة المختلقات التي ابتلي بها هذا المذهب.

والنتيجة الواضحة لمثل هذه المؤلفات توجيه الإهانة الكبرى للمذهب والطائفة الجعفرية، وجعلهما عرضةً لسخرية المخالفين، وإعطائهم ذريعةً للتشكيك في كافة منقولات الإمامية، بعد قياسها على هذه المجموعة من الأخبار المهيينة والقصص الكاذبة. وقد وصل الأمر إلى مستوى أدى بالمخالفين لوصف الطائفة الشيعة بأنها بيت الكذب. ومن أنكر، فليراجع كتاب أسرار الشهادة ..^(١).

وفي موضع آخر يكشف الشيخ النوري بعض الخفايا عن كتاب أسرار الشهادة، فيقول: «.. لا زلتُ أذكر عندما كنت في كربلاء المقدسة أحضر درس العلامة الشيخ عبد الحسين الطهراني الذي لا يوازيه في العلم والفضيلة أحد، لا زلتُ أذكر أنه قدّم من الحلة سيّد عربي يمتنّ الخطاب، وكان والده من مشاهير الطائفة، وقد ورث عنه بعض المؤلفات، فجاء بها إلى سماحة الشيخ بغرض استبيان مدى وثاقها. وقد فَقَدَ جزءًا من أول الكتاب، ويسيرًا من آخره، لكن لم يغب اسم المؤلف بعد أن أدرج أسفل إحدى الصفحات أنّ مؤلف هذا الكتاب هو فلان من علماء جبل عامل، ومن تلامذة المحقق صاحب المعالم. وقد تمّ التعرف على المؤلف؛ لأن اسمه ورد في التراجم، لكن ما لم تذكره التراجم هو تأليفه كتاب المقتل، وقد عُرِزَ هذا الرأي بعد الاطلاع على جملة من فقرات هذه المجموعة التي احتوت كمًّا هائلًا من الأكاذيب والأخبار الواهية، التي لا يمكن -بأيّ

(١) اللؤلؤ والمرجان، الشيخ النوري الطبرسي، ٢٠٠-٢٠١.

حال من الأحوال - أن تكون قد جمعت على يد عالم، وبذلك نهى الشيخ عن نشرها ..

ولم تمرّ الأيام حتى علم المرحوم الفاضل الدربندي بأمرها، وكان مشغولاً حينها بتأليف كتابه أسرار الشهادة؛ فأخذها من السيد، وملاً ثنايا كتابه برواياتها الضعيفة، مما زاد في عدد الروايات الموضوعية التي احتوى عليها الكتاب، وبذلك جعل الطائفة الشيعية عرضةً لطعون المخالفين وسخريتهم، وقد وصل به الأمر إلى أن يقدم إحصائيةً عن جيش الكوفة بلغت ستمئة ألف راكب ومليون راجل!

وقد أتاح بذلك مساحةً واسعة للخطباء ليدكروا على المنابر ما يشاؤون من الإحصائيات من دون خوف أو وجل، وينسبوا كل ذلك وبكل ثقة للفاضل الدربندي»^(١).

٢) وتبعه في ذلك تلميذه آقا بزرگ الطهراني، الذي يثني على الدربندي في بداية ترجمته، ولكنه ينتقد تساهله في نقل بعض المرويات الغريبة. يقول في كتابه الذريعة: «ومن شدة خلوصه وصفاء نفسه نقل في هذا الكتاب أموراً لا توجد في الكتب المعتمدة، وإنما أخذها عن بعض المجاميع المجهولة؛ اتكالاً على قاعدة التسامح في أدلة السنن، مع أنه لا يصدق البلوغ عنه بمجرد الوجداء بخط مجهول. وقد تعرّض شيخنا في (اللؤلؤ والمرجان) إلى بعض تلك الأمور، فلا

(١) اللؤلؤ والمرجان، الشيخ النوري الطبرسي، ص ٢٠٠١ - ٢٠٠١.

نطيل بذكره»^(١).

ومعنى كلامه ؑ أن الوجدادة هو أن يَجِدَ الراوي رواية في كتاب من دون إجازة الراوي من المؤلف، وله ثلاثة أنحاء:

- أن ينقل الراوي من كتاب معروف مؤلفه ومؤلفه، فلا كلام في نقل الرواية مع ذكر المصدر.

- أن ينقل الراوي من كتاب معروف مؤلفه ومؤلفه، ووقع الخلاف بين العلماء في نقل الرواية مع السند من دون نقل المصدر وهو الكتاب.

- أن ينقل الراوي من كتاب مجهول اسمه واسم مؤلفه، كأن يقول: «ذُكِرَ في بعض الكتب» أو «في كتب أصحابنا»، فلا شك في رفض هذه الرواية وعدم الاعتماد عليها، ولا تجري قاعدة التسامح في أدلة السنن، وهذا هو معنى كلام المحقق آغا بزرك: «لا يصدق (البلوغ) عنه بمجرد الوجدادة بخط مجهول».

٣) ما ذكره السيد محسن الأمين حول كتابه بقوله: «أتى فيه بالغرائب وبأمور توجب عدم الاعتماد عليه ... رأيت فيه كثيراً من الغرائب والأخبار التي لم يذكرها مؤرخ ولا يقبلها عقل»^(٢).

وقال أيضاً: «وبالجملة، قد أكثر في مؤلفاته النقلية من الأخبار الواهية، بل أورد ما لا تقبله العقول ولم تصدقه النقول، عفا الله عنا

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٢ / ٢٧٩.

(٢) أعيان الشيعة، ج ٢ / ٨٧.

وعنه بكرمه»^(١).

٤) مهدي الأصفهاني الكاظمي - مع ثنائه على المؤلف - بقوله: «لَمَّا أورد في بعض مؤلفاته بعض الأخبار الغريبة والتحقيقات العجيبة؛ أورث وَهْنًا في الاعتماد على مؤلفه»^(٢).

٥) الشيخ محمد بن سليمان التنكابني في كتابه: (قصص العلماء)، وهو تلميذ الفاضل الدربندي، قال عن كتاب أستاذه: «الأخبار غير المعتمدة في هذا الكتاب كثيرة وضعيفة، بل بعضها مطنون الكذب، بل يبدو أن بعضها قطعي الكذب، ممَّا أذى إلى الحطّ من قدر الكتاب»^(٣).

٦) مرتضى المطهري الذي انتقد كتاب أسرار الشهادة في كتابه (الملحمة الحسينية)، مستنداً على بعض انتقادات النوري الطبرسي، فمما قال حول كتاب الدربندي: «بعد ذلك، ظهر علينا قبل حوالي ستين أو سبعين عامًا المرحوم ملا آقا الدربندي، وقام بجمع كتاب روضة الشهداء، مضيفاً إليه بعض القصص الأخرى، وألّف كتابه المعروف أسرار الشهادة، وإنني يجب أن أقول الحقيقة: بأن محتويات هذا الكتاب تدفع الإنسان للبكاء على الإسلام»^(٤).

(١) أعيان الشيعة، ج ٢ / ٨٨.

(٢) أحسن الوديعه في تراجم مشاهير مجتهدى الشيعة، الكاظمى، ص ٦٠

(٣) قصص العلماء، التنكابنى.

(٤) الملحمة الحسينية، الشهيد مطهرى، ج ١ / ٨٤.

(٧) آية الله السيد أحمد الحسيني الخوانساري المعروف بالصفائي، إذ قال ما نصّه: «وهذا الكتاب معروف مشهور بين الطائفة الحقّة وأهالي المنبر والمرثية، إلا أن فيه الغث والسمين بما لا يخفى على نقّاد فنّ الحديث»^(١).

(٨) قال الشيخ محمد الري شهري في كتاب (موسوعة الإمام الحسين ؑ): «لم يستطع أن يقدم مقتلاً معتبراً، كما اعتقد بعض المباني الخاطئة، فنقل عن كتب تشتمل على أخبار مظنونة الكذب أيضاً، والمبنى الذي اعتمده في ذلك؛ هو أن علامات الكذب لا تمنع من النقل، وإن بلغت درجة الظن، ولا إشكال في نقل مثل هذه الأخبار في بيان السيرة والتاريخ»^(٢).

لمحات قليلة من المبالغات في أسرار الشهادة:

- يروي بأن يوم عاشوراء قد بلغ في طوله: ٧٠ ساعة.
- مقتل ٢٥ ألف شخص على يد العباس ؑ، و ٣٠ ألف شخص بيد الإمام الحسين ؑ.
- يروي قصة حول خروج الإمام الحسين ؑ من المدينة بزي يشبه زي الملوك.
- إن جيش عمر بن سعد كان مليون وستمئة ألف ٦٠٠, ٠٠٠, (١)

(١) كشف الأستار، السيد أحمد الصفائي الخوانساري، ج ٣ / ٤٥٨.

(٢) موسوعة الإمام الحسين، الشيخ محمد الريشهري، ج ١ / ٩٨.

مقاتل^(١).

- قصة العباس والمارد، وهي قصة طويلة تبلغ ٣ أو ٤ صفحات.
- أراجيز للعباس عليه السلام غير الأبيات المشهورة، حيث انفرد بذكرها الدربندي.
- أكثر من قصص العباس عليه السلام، مع أن المؤرخين القدامى لم ينقلوا كلاماً للعباس إلا قليلاً.

متى تزوج أمير المؤمنين عليه السلام أم البنين؟

ورد في تاريخ الطبري، ج ٤ / ١١٨: «أول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ... ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حزام، وهو أبو المحل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب ابن عامر بن كلاب ... وتزوج ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد بن مناة تميم .. وتزوج أسماء ابنة عميس الخثعمية .. وكذلك قال الواقدي في ذلك، وقال: قتل محمد الأصغر مع الحسين وله من الصهباء، وهي أم حبيب بنت ربيعة .. وتزوج أمامة بنت أبي العاصي .. يقال له: محمد بن الحنفية، أمه: خولة ابنة جعفر .. وتزوج أم سعيد بنت عروة ابن مسعود».

(١) حسب ما يذكره الريشهري في موسوعته، وإلا فهي غير مذكورة في النسخة المعربة، إذ يبدو أنها حذفت، كما حذفت بعض المبالغات في الكتاب بتصرف من مُعدّي الكتاب.

وقال أبو الفداء في تاريخه، ج ١ / ١٨١: «ثم بعد موت فاطمة تزوج أم البنين ..».

وهاتان العبارتان تدلان على الترتيب الزمني بين السيدة فاطمة وبين مَنْ تلاها مِنَ الزوجات، دون الجزم بصحة ترتيب الزوجات اللاتي تليَنَ الزهراءَ الزمني، فكيف تتأخر زمنياً خولة ابنة جعفر (أم محمد بن الحنفية)، وهي من أوائل زوجاته؟!

ويؤيد ذلك قول السيد الجلاي، ص ٥٨، الذي يقول: «ذكر سبط ابن الجوزي أولاد أم البنين الأربعة، وقال: (تزوجها [الإمام ؑ] بعد فاطمة. وذكر زوجات الإمام أمير المؤمنين ؑ):

فقال في (أسماء بنت عميس): تزوجها بعد أم البنين.

وقال في (أمامة بنت أبي العاص): تزوجها بعد الصهباء.

ولكن المشهور: أن أول من تزوج الإمام ؑ بعد فاطمة الزهراء ؑ: أمامة بنت أبي العاص، وأمها زينب ابنة رسول الله ﷺ. وتزوجها الإمام بوصية من الزهراء ؑ. قال ابن شهر آشوب في المناقب، ص ١٣٧: «وأوصت إلى علي ؑ بثلاث: أن يتزوج بابنة أختها أمامة لحبها أولادها، وأن يتخذ [لها] نعشاً، ووصفته له، وألاً يشهد أحد جنازتها ممن ظلمها، وألاً يترك أن يصلي عليها أحد منهم».

ويحتمل أن يكون ما ذكر من ترتب الزمني متأثراً بقول صاحب مناقب الإمام أمير المؤمنين ؑ محمد بن سليمان الكوفي، ج ٢ / ٤٨:

«قتل علي بن أبي طالب ﷺ وعنده أربع حرائر: أمانة بنت أبي العاص، وأسماء بنت عميس، وأم البنين بنت حزام الكلابية، ولىلى بنت مسعود النهشلية».

حول قبول السيدة أم البنين بالزواج

يروى أن عقيلًا حينما كان يحدث حزامًا (والد أم البنين) بشأن خطبة ابنته لأخيه الإمام علي ﷺ، كانت تحدث أمها بحلم رآته في منامها، وكأنها جالسة في دارها إذ وقع القمر في حجرها، وتبعه أربعة كواكب (نجوم)، وما إن انتهت من حديثها حتى دخل أبوها يبشرها ويبشر أمها بقدوم عقيل بن أبي طالب لخطبتها إلى أخيه الإمام علي ﷺ، ولما سمع أبوها الحلم استبشر، وقال: «لقد حقق الله رؤياك يا بنيتي، فأبشري بسعادة الدنيا والآخرة».

وردت هذه الرواية في بعض المصادر الحديثة، ولم تُرجعها إلى مصادر قديمة، وهي مجهولة الراوي. والكتب المعاصرة التي تنقلها:

- العقيلة والفواطم، للحاج حسين الشاكري.
- شهداء أهل البيت ﷺ: قمر بني هاشم، للمؤلف نفسه.
- مجالس الأفرح، للخطيب ياسين ملا أحمد. وفي هذا الكتاب، يقول الشيخ محمد صنقور، وهو من العلماء المحققين، في تقديمه للكتاب: «ونحن - وإن لم نتوثق من كل ما كتبه - إلا أن فيما رأيناه كافيًا للتعبير عن شدة ولائه وحرصه...»، وفي أثناء التقديم، يحث الشيخ الشباب على اقتناء الكتاب، مع عدم

الإشارة إلى التحقق من الروايات المذكورة في الكتاب، وكان ينبغي التأكيد على هذه النقطة، حتى لا تكون مثل هذه الإصدارات منبعاً لنشر الروايات المكذوبة على أهل البيت ؑ.

- أم البنين قدوة في التصحية والإيثار، لمحمود البدري.
- النص الجلي في مولد العباس بن علي، للملا محمد علي الناصر.
- نساء حول أهل البيت ؑ، لمحمد فوزي (الشيخ فوزي آل سيف).

ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه القصة لا يبعد أنها سُحِبَتْ من قصة أخرى تشبهها، وهي قصة أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ صفية بنت حُيَيِّ بن أخطب ؑ، والرواية هي:

«أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حُيَيِّ بن أخطب وبنو أبي الحقيق، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت إليه، وأدخلت إليه، بنى بها، ومضى على ذلك ليالي رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها، فقَصَّت رؤياها على ابن عمها، فلطم وجهها، وقال أتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك.

فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إيها، فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى.

ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزته وملكه، وبنى

بها بعد استبرائها وحلها، وجد أثر تلك اللطمة في خدّها فسألها ما شأنها، فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها».

ونُقِلت هذه الرواية في مصادر أهل السنة، ومن رواها من الشيعة فمرّجعه في ذلك إلى تلكم المصادر، ومن هذه المصادر الأساسية:

- البداية والنهاية لابن كثير، ج ٤ / ٢٢٢.
- مجمع الزوائد للهيثمى، ج ٩ / ٢٥١.
- الآحاد والمثاني للضحّاك، ج ٥ / ٤٤٢.
- صحيح ابن حبان، ج ١١ / ٦٠٨.
- المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٤ / ٦٧.
- موارد الظمآن للهيثمى، ج ٥ / ٣٢٠.
- تفسير الثعلبي، ج ٩ / ٥٢.
- فتوح البلدان للبلاذري، ج ١ / ٢٦ - ٢٧.
- تاريخ الطبري، ج ٢ / ٣٠٢.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٢ / ٢٢١.
- تاريخ الإسلام للذهبي، ج ٢ / ٤٢٥.
- أسد الغابة لابن الأثير، ج ٥ / ٤٩٠.

ويوجد اختلاف كبير في هذه الرواية بين هذه الكتب، فمثلاً: إن الذي لطم وجه صفية ابن عمها، أو أبوها، أو زوجها، فالاختلاف ناشئ من اختلاف الراوي، ولكن هذه الكتب وإن اختلفت في بعض

تفاصيل القصّة، إلا أنها تتفق في رؤيا صفيّة، وهي رؤياها أن قمر السماء قد سقط في حجرها.

أمير المؤمنين ؑ وأم البنين

يذكر السيد الجلاّلي حديثاً دون أن يعلّق عليه، وهو موجود في كتاب (مكارم أخلاق النبي ﷺ والأئمّة ؑ) للراوندي، ص ١٩١، وهو: «في الحديث عن ابن عباس، قال: ذُكِرَ التزويج عند أمير المؤمنين ؑ، فقال: إِنَّ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ أَنْ تَرَى فِي كُلِّ عَامٍ عَرَسًا. فقال له بعض أصحابه: وأنت لم تفعل ذلك؟، فقال: كيف وعندي أربع؟، قال: أترك واحدةً منهن!، فقال: عن أيّهن؟»

فعندي أمّامة بنت أبي العاص، أوصتني فاطمة بتزوجها بعدها.

وعندي أم البنين، وهي تأتي في كل عام بآبن.

وعندي أسماء بنت عميس، كأنها جأ من ذهب.

وعندي أم حبيب التغلبية، وهي النفس التي بين الجنين».

إن من الواضح أن الزواج المقصود في الرواية هو الدائم لا المنقطع؛ لأن أمير المؤمنين ؑ يتحدّث عن زوجاته الدائمات، كما أن من يبادلّه الحديث من أصحابه يقول له، حسب الرواية: اترك واحدةً منهن، أي: طلق واحدةً منهن، وهو ما يؤكّد أنه حديث عن الزواج الدائم.

وهي رواية لا يمكن قبولها، لنواحٍ منها:

الأولى: لوجود روايات عدة تنهى المسلم عن الطلاق وتعدّه الحلّ الأخير الذي يلجأ إليه الزوجان، كما وردت روايات أخرى تنهى عن كثرة الطلاق، ومنها: ما ورد في الكافي للشيخ الكليني، ج ٦ / ٥٤ - ٥٥: «أخبرنا عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن سعد ابن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ رسول الله ﷺ برجل فقال: ما فعلت امرأتك؟، قال: طلقته يا رسول الله، قال: من غير سوء؟، قال: من غير سوء. ثم قال: إن الرجل تزوج، فمرّ به النبي ﷺ فقال: تزوجت؟، قال: نعم، ثم قال له بعد ذلك: ما فعلت امرأتك؟، قال: طلقته، قال: من غير سوء؟ قال: من غير سوء. ثم إن الرجل تزوج، فمرّ به النبي ﷺ فقال: تزوجت؟ فقال: نعم، ثم قال له بعد ذلك: ما فعلت امرأتك؟، قال: طلقته، قال: من غير سوء؟ قال: من غير سوء، فقال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجلّ يبغض أو يلعن كل ذواق من الرجال وكل ذواقه من النساء».

- وورد فيه أيضًا: عن «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من شيء مما أحله الله عزّ وجلّ أبغض إليه من الطلاق، وإن الله يبغض المطلاق الذوّاق»^(١).
- وفيه أيضًا: عن «محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن محمد، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزّ وجلّ يحب البيت الذي فيه العرس، ويبغض البيت الذي فيه

(١) الكافي للشيخ الكليني، ج ٦ / ٥٤ - ٥٥.

الطلاق، وما من شيء أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ من الطلاق»^(١).

- وفي الكافي أيضًا عن «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: إن الله عزَّ وجلَّ يبغض كل مطلق ذواق»^(٢).

نحن نرفض الروايات الشبيهة بروايات مرفوضة يقينًا، وهي كثرة الطلاق من الإمام الحسن عليه السلام حتى سمي مطلقًا، فهما سيان، فكما نرفض روايات المطلق، نرفض قوله: «إنَّ من لذة العيش أن ترى في كل عام عرسًا».

الثانية: إنَّ ذكر أسماء زوجاته وعدم طلاقهم غير مقبول منه عليه السلام؛ لأن هذه الحالة تنبع من الميل الشخصي، ومن غير المقبول، من الإنسان العادي، أخلاقياً ذكر ذلك أمام الآخرين، فكيف تُقبل من أمير المؤمنين عليه السلام؟!؟

ومن الغريب أن ينقل السيد الجلالي هذه الرواية دون تعليق، وكان الأوَّلَى مناقشة سندها، وكذلك معارضة مدلولها مع سيرة الإمام علي عليه السلام مع زوجاته.

هل توفيت أم البنين ؑ مسمومة؟

يحتمل السيد محمد الشيرازي في كتابه الذي أعده وجمعه

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

إبراهيم غلوم: (من قصص المتوسّلين بسيدنا العباس وأم البنين)، ص ٢٠، أن السيدة أم البنين ؑ قد دُسَّ إليها السمّ، وقد استشهدت نتيجة لذلك، قال ؑ: «إننا لا نعلم شيئاً عن سبب وفاة السيدة أم البنين ؑ، مع العلم بأنها كانت تفضح بني أمية الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام ... وقد أسس الأمويون جُند العسل وقتلوا به مالك الأشر، رضوان الله عليه، وكثيراً من الأبرياء بالسم .. حتى صار عادةً فيهم ...»، ثمّ يشير إلى أن ذلك يستلزم - بحسب ما ذكره - أن كل من لا نعلم سبب موته ممّن يُحسَبون أعداءً لبني أمية أن يكونوا قد استشهدوا بالسم.

وما دام هذا الرأي لا يستند إلى دليل، ولا يستند إلى وقائع تاريخية مؤيَّدة، من الصعب الركون إليه، وبخاصّة أنه لم يذكر هذا الرأي غير السيد الراحل ؑ.

هل إن جسد أم البنين ؑ لا يزال طرياً إلى الآن؟

ينقل السيد الشيرازي ؑ في الكتاب نفسه: «أن جسدها [أي: السيدة أم البنين ؑ] لا يزال باقياً طرياً إلى يوم الناس هذا، وإن لم يجد لذلك نصّاً، فإنه يُعرَف بالأشباه والنظائر...»^(١).

وما ذكره السيد ؑ، ما دام غير مستند إلى وقائع أو نصوص مروية وصحيحة، لا يمكن الركون إليه علمياً؛ ذلك أن القياس على الأشباه والنظائر ليس دليلاً تاريخياً؛ لأنّ من يستدلّ به يكون مفحماً في المحاجة العلمية.

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٢١.

لمحات من السيرة الشخصية للعباس عليه السلام

البطاقة الشخصية

- اسمه: العباس.
- أبوه: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ولادته: سنة ٢٦ هـ تقريباً.
- عمره: ٣٤ سنة، عاش منها مع أبيه ١٤ سنة، ومع أخيه الإمام الحسن عليه السلام ٢٤ سنة، ومع أخيه الإمام الحسين عليه السلام تمام عمره.
- إخوته من أبيه وأمه: عبد الله وجعفر وعثمان.
- زوجته: المشهور أن له زوجة واحدة اسمها كُبَايَة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.
- أولاده: عبيد الله والفضل.
- كنيته: أبو الفضل وأبو قربة.
- ألقابه: قمر بني هاشم، والسقاء.
- استشهاد: يوم عاشوراء من سنة ٦١ هـ.
- مكان مرقده: كربلاء المقدسة.

العباس معجمياً

بكسر الباء: عَبَسَ الرجل: اتَّسخ. وَعَبَسَ الوسخ عليه أو فيه: يَبَسُ.

بفتح الباء: عَبَسَ الرجل: قَطَب وجهه واكفهر. وقد ورد هذا الفعل بداية السورة القرآنية عَبَسَ.

واسم الفاعل من عبس: عابس. أمّا عَبَّاس، فصيغة مبالغة. وإضافة الألف واللام عليها يُراد منها: لَمَحُ الصفة، كما يعبر النحاة. أي: يراد من الإضافة الإشارة إلى كون الأسماء المحلاة بـ (أل) كانت كلمات يوصف بها في الأصل. وهي أسماء محدودة ومتوقفة على السماع، كما يشير إلى ذلك ابن هشام في المغني^(١).

وفي التسمية به، يقول ابن الأعرابي: «العبَّاس: الأسد الذي تهرب منه الأسد؛ وبه سمي الرجل عباساً»^(٢). لذا فإن التسمية بـ (العباس) لا ترجع إلى أصلها اللغوي، وإنما إلى أحد المصاديق الخارجية المتمثلة في (الأسد) الذي يرمز إلى الشجاعة والإقدام.

تاريخ ولادته

يشير المؤرخون إلى أنَّ العباس ؑ بلغ من العمر ٣٤ عاماً عند

(١) انظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، ج ١ / ٣٢٦؛ ووصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي، ص ١٦٥.

(٢) لسان العرب، ج ١٠ / ١٦، مادة: عبس.

استشهاده يوم عاشوراء. وهو ما يعني أنّه وُلد سنة ٢٦هـ؛ لأنّ واقعة كربلاء وقعت بداية سنة ٦١هـ^(١). وهذا ما يخصّ سنة ولادته، أمّا تحديد اليوم والشهر، فلا تذكره المصادر التاريخية، وهي نقطة يذكرها الشيخ المظفر في كتابه بطل العلقمي، إذ يقول: «وأما اليوم الذي ولد فيه، فلم أجد فيه نصًّا، وإنما ينقل الفاضل المعاصر الشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) عن الفاضل المعاصر الشيخ محمد علي الأردوبادي أنّه رأى في كتاب فارسي يسمى (أنيس الشيعة) لمؤلفة السيد محمد العابد الحسين ابن السيد محمد عبد الهادي الهندي من معاصري الشاه فتح علي، وأهدى له الكتاب سنة ١٣٤٤هـ، يذكر أن ولادة العباس الأكبر عليه السلام يوم الجمعة رابع شهر شعبان سنة ٢٦.. إلخ^(٢)».

وهذا القول إن لم يكن من الخلط بولادة الحسين عليه السلام في الثالث من شعبان نهار يوم الجمعة، وإن ناقله الأصلي - أي الهندي - أخذه عن مصدر وثيق، فذاك، وإلا فالتوقف عندي له وجه؛ لأنّ معاصر الشاه فتح علي من المتأخرين، وهذه إنما نقلد فيها القدماء، ونحفظ لفضيلة الأستاذ الأردوبادي فضيلة الإرشاد إلى المصدر وإن كان متأخرًا^(٣).

(١) انظر: الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام، الشيخ محمد الريشهري، ص ٨٣٩.

(٢) بهامشه: زينب الكبرى ٢٩.

(٣) بطل العلقمي، المظفر ١٠ / ٢.

وما ذكره الشيخ المظفر الأخيرة من إشارة المؤلف إلى المصدر قد يدفع البعض إلى قبول الرواية واعتمادها، لدرجة أنها أصبحت من المسلّمات اليوم، إذ يحتفل الشيعة بمولد العباس في الرابع من شهر شعبان من كلّ عام. وكان الأولى ردّ الرواية، وعدم قبولها؛ لعدم اعتمادها على مصدر موثوق. وهو ما يجعل تحديد يوم مولده الشريف أمراً صعباً، إذ لم تذكره المصادر القديمة.

محلّ ولادة العباس ؑ

في تحديد مكان ولادة العباس ؑ، يقول الأردوبادي في (فصول من حياة أبي الفضل)، ص ٣٥ وص ٤٤: «وأما محلّ ولادته، سلام الله عليه، فلا شك أنه المدينة المنورة، فإن أمير المؤمنين، سلام الله عليه، إذ ذاك كان فيها، وكانت هجرته إلى الكوفة بعد ثماني سنين تقريباً.. فقد كانت في حدود سنة ٣٥هـ».

ما رُوِيَ من رَجَزٍ عند ولادة العباس ؑ

ينقل صاحب كتاب (المنمق) محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) ص ٣٥١ أن «أم البنين الوحيدة نزن^(١) ابنها العباس بن علي بن أبي طالب ؑ (الرجز):

أعيذ بالواحد من عين كل حاسد

(١) ورد في لسان العرب، ج ١٣ / ١٩٧: «الزفن: الرقص، زفن يزفن زفناً، وهو شبيه بالرقص».

[الـ] قائم والقاعد مسـلمهم والجاحـد
صـادرهم والـوارد مولـودهم والوالـد

ومن الغريب أن ينفرد ابن حبيب البغدادي برواية هذه الأبيات.
وكوصف لهذه الأبيات، نجدها تعويذة لأم البنين في ولادة ابنها
العباس عليه السلام لحفظه من الحاسدين والحاقدين.

ويبدو أنها مسحوبة من الأبيات الواردة في ولادة النبي محمد
ﷺ، فهي قريبة جدًا من هذا اللفظ، فقد وردت في (البداية والنهاية)
لابن كثير، ج ٢ / ٣٢٣ بهذا اللفظ:

أعيـذه بالواحد من شر كل حاسـد
من كل برعاهـد وكل عبد رائـد
يـذود عنـي ذائـد فإنه عند الحميد المـاجـد^(١)

حتى أراه قد أتى المشاهد

وفي (الخرائج والجرائح) لقطب الدين الراوندي، ج ١ / ٦٩ -
٧٠، ورد بهذه الزيادة:

وكل خلق مـارد يأخذ بالمراصـد
في طـرق المـوارد من قائم وقاعـد

(١) في هذا البيت كاملاً، يوجد اختلال في الوزن العروضي.

ووردت بلفظ مشابه في المصادر التالية:

- إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج ١ / ٥٥.
- إمتاع الأسماع، المقرئزي، ج ٤ / ٤٥ - ٤٦.
- تاريخ الطبري، ج ١ / ٥٧٢.
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣ / ٨٢.
- تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي، ج ١ / ٨٣.
- سيرة ابن إسحاق، ج ١ / ٢٢.
- السيرة النبوية، ابن كثير، ج ١ / ٢٠٦.
- السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج ١ / ١٠٣.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ١ / ٩٨.
- عيون الأثر، ابن سيد الناس، ج ١ / ٣٧.
- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨ / ٣٠٠ - ٣٠١.
- كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي، ج ١ / ٢١.
- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١ / ٢٩.

وما يمكن ذكره كتعليق على ما أورده ابن حبيب البغدادي، أنَّ كتابه (المنمق) لا يمكن الاعتماد عليه؛ لكثرة أخطائه، كما أوردنا فيما سبق عن أن أم البنين حبشية.

أمير المؤمنين ؑ يطيل النظر إلى ابنه الوليد

روي عن الإمام أمير المؤمنين ؑ أنه قام من مجلسه ذلك وودّع أصحابه ومَن كان معه، ثم خرج من مسجد رسول الله ﷺ متّجهاً نحو

البيت، فلما دخل المنزل سلّم على مَنْ كان في المنزل من أهله وأسرته الذين كانوا بانتظار قدومه، وحيّاهم بتحيّة الإسلام ثمّ قال: «اثنوني بولدي».

فقبل ﷺ بالتحية والبشارة، ثمّ جيء بولده إليه ملفوفاً في خرقة بيضاء ومقمّطاً بها، فأخذه وضّمّه إلى صدره، ونثر قبلاته الحارة على وجهه وخديّه، ثمّ أدّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وبعدها أخذ الإمام أمير المؤمنين ﷺ يطيل النظر إليه.

وهنا تمطّى المولود الجديد لأُمّ البنين في قماطه حتّى قطعه، وأخرج كلتا يديه من القماط؛ ممّا أثار بذلك ذكريات الإمام أمير المؤمنين ﷺ التي كانت في ذاكرته ممّا نزل بها جبرائيل في حقّ هذا الوليد الجديد من عند الله ﷻ على رسول الله ﷺ، وأخبره بها رسول الله ﷺ من كيفية شهادته في نصره الإمام الحسين ﷺ في طفّ كربلاء.

عندها اغرورقت عينا الإمام أمير المؤمنين ﷺ بالدموع، وتناثرت قطرات الدمع على خديّه كالدرر ورطبّت كريمته الشريفة، فنظرت إليه إحدى النسوة، وقالت: «ما يبكيك يا أبا الحسن ونحن في هذه الساعة من فرح وسرور، وابتهاج وحبور؟!».

فالتفت إليها أمير المؤمنين ﷺ وهو يكفّف دموعه بيديه الكريمتين وقال لها، بما مضمونه: «لا تلوמוني، فإنّي لما نظرت إلى هاتين اليدين وتمطّيه في القماط، تذكّرت تمطّيه على جواده في كربلاء، وانفصال يديه عن جسمه يوم عاشوراء». ثمّ أخذ يبكي ويكثر من قوله

عليه السلام: «ما لي وليزيد؟».

هذه الرواية لا أصل لها - أيضًا - ولا أثر لها في كتب القديمة، وقد نقلها الشيخ الكلّاسي النجفي (١٣٠١ - ١٣٦٢هـ) في الخصائص العباسية، ص ٦٥، كما نقلها السيد عبد الرزاق المقرم (١٣١٦ - ١٣٩١هـ) في كتابه: (قمر بني هاشم، ص ٢١) و(العباس، ص ١١٢). وذكرها في هذه المصادر ليس كافيًا في اعتبار الرواية.

وقد توسّع صاحب الخصائص العباسية في تفاصيل الرواية أكثر مما ذكر في كتابي السيد عبد الرزاق المقرم، وهي التي يبدأ بقوله: «روي أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يُوسّعُ العباس تقييلًا، وقد احتلّ عواطفه وقلبه، ويقول المؤرّخون: إنّه أجلسه في حجره فشمر العباس عن ساعديه، فجعل الإمام يقبلهما ... إلخ».

كتاب (قمر بني هاشم) للسيد المقرّم (ت ١٣٩١هـ)

المؤلف:

السيد عبد الرزاق المقرم (١٣١٦ - ١٣٩١هـ) يعد من الشخصيات المهمة التي كتبت في تاريخ أهل البيت عليه السلام، وهو ذائع الصيت ومعروف عند المحققين. له كتاب مشهور هو (مقتل الإمام الحسين عليه السلام)، وله كتب كثيرة، منها: (العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام)، وكتاب آخر، هو: (قمر بني هاشم).

قال في حقه الشيخ عبد الحسين الأميني ؑ في الغدير: «أحد أعلام العصر المنقذين المكثرين من التأليف في المذهب، على تضلعه في

العلم، وقَدَّمه في الشرف، واحتوائه للمآثر الجليلة، ومن مهمات تأليفه وأوفرها فائدة:

كتاب الإمام السبط المجتبي، وكتاب حياة الإمام السبط الشهيد ومقتله، وكتاب السيدة سكيته، ورسالة في علي بن الحسين الأكبر، وكتاب زيد الشهيد، وكتاب في تنزيه المختار بن أبي عبيد الثقفي، طبع مع كتاب زيد، وكتاب أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين .. إلى غيرها من كتابات ورسائل قد جمع فيها وأوعى وأتى بما خلت عنه زبر الأولين، فحياه الله ووفقه للخير كله^(١).

وقال عنه الشيخ محمد هادي الأميني رحمته الله في معجم رجال الفكر والأدب في النجف: «عالم كامل مجتهد متبّع، مؤرخ محقق»، متضلع في الفقه المقارن والتاريخ الإسلامي، مؤلّف مكثراً، له كتب^(٢). ومما يلاحظ على كتبه:

(١) ذكر الرواية دون الإشارة إلى مصدرها، كما في كتاب العباس ص ١٠٩، إذ يروي أنه: «لما دخلت (أم البنين) على أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسنان مريضين، أخذت تلاطف القول معهما وتلقني إليهما من طيب الكلام»، ولم نرَ مصدرًا لها.

(٢) اعتماده في بعض الروايات والأحداث على كتاب (أسرار

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٣ / ٧٤.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف، الشيخ الأميني، ج ٣ / ١٢٣١.

الشهادة) و(المنتخب) و(تظلم الزهراء) وغيرها من المصادر الحديثية.

٣) تركيزه على استشارة العاطفة واستدراها في بعض ما يرويه، ومن أمثلة ذلك في كتابه (العباس ص ١١١) قوله: «مما لا شك فيه أن أمير المؤمنين ؑ لما حضر أمامه ولده المحبوب ليقم عليه مراسيم السنة النبوية التي تقام عند الولادة ونظر إلى هذا الولد الجديد الذي كان يتحرى البناء على أمه أن تكون أشجع بيوتات العرب ليكون ولدها ردءاً لأخيه السبط الشهيد يوم تحيط به عُصْبُ الضلال، شاهد بوسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل، فكان بطبيعة الحال يطبق على كل عضو يشاهده مصيبة سوف تجري عليه. يقلب كفيه للذين سيقطعان في النصرة حجة وقته، فتهمل عيونه ويصبر صدره غيبة العلم واليقين ..»، وهذه الرواية لا أصل لها في المصادر القديمة.

قنبر وولادة العباس ؑ

يروى الشيخ الكليني في كتابه (الخصائص العباسية ص ٦٣): «أن قنبراً مولى الإمام أمير المؤمنين ؑ قال ما مضمونه: بينما كنا ذات يوم من الأيام مع الإمام أمير المؤمنين ؑ في مسجد النبي ﷺ بالمدينة وهو يعظنا ويرشدنا ويحذرننا من النار ويرغبنا بالجنة، إذا بأعرابي قد أقبل نحو المسجد، فأناخ راحلته على باب المسجد ودخل متجهاً نحونا، حتى إذا وصل إلينا سلم علينا وخصّ أمير

المؤمنين ﷺ بالتحية والسلام ، وقبّل يده الكريمة ، ووقف بين يديه وكأنه يطلب إليه حاجة، فقال له الإمام أمير المؤمنين ﷺ برأفة وحنان: (يا أخا العرب، كأنك جئتنا في حاجة، فما هي حاجتك؟، فإنّها منقضية، إن شاء الله تعالى).

فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بها منّي.

قال قنبر: عندها التفت إليّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ وقال: (يا قنبر، امضِ إلى المنزل، وقل لمولاتك السيّدة زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ تناولك السّفط الفلاني في موضع كذا وكذا).

فقلت: سمعاً وطاعة، وحجاً وكرامة لله تعالى ولسيّدي ومولاي الإمام أمير المؤمنين.

قال قنبر: فقمّت مسرعاً ومضيت إلى منزل أمير المؤمنين ﷺ، وطرقت الباب مرّتين، وفي الثالثة جاءت فضة وراء الباب وقالت: مَنْ الطارق؟

أجبتها قائلاً: أنا قنبر مولى الإمام أمير المؤمنين ﷺ، وخادم أهل البيت ﷺ، فقالت فضة: أهلاً ومرحباً بك، وما حاجتك يا قنبر؟ فأخبرتها بما قال لي سيّدي ومولاي وما يريده.

فقالت فضة: مكانك حتّى آتيك به. فوقفت بالباب انتظر مجيئها، وإذا بي أسمع جلبة الفرّح وصخب السرور يعلو من داخل المنزل، فتعجّبت، وانتظرت حتّى إذا رجعت إليّ فضة وأتتني بالسّفط، سألتها

عن سبب ذلك، فقالت فضة: لقد ولد الساعة للإمام أمير المؤمنين ؑ غلام أزهر كأنه فلقة قمر.

فقلتُ لها، وقد امتلأت أنا الآخر فرحًا وسرورًا: وممن هذا المولود الأغر؟، فقالت فضة: إنه من أمّ البنين فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلابية، ثم أضافت قائلة: وقد أوصتني سيدي وسيديك السيدة زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ أن أقول لك: إذا رجعت إلى مولاي ومولاك الإمام أمير المؤمنين ؑ فبشره بولادة هذا المولود الأغر، واسأله عن اسمه وكنيته ولقبه.

فقلت، وأنا لا أمتلك نفسي بهجة وفرحًا: حبًا وكرامة، وسمعا وطاعة، ثم هنأتها وودعتها. وأقبلت بالسفط مع البشارة بالمولود الجديد مسرعًا إلى سيدي ومولاي الإمام أمير المؤمنين ؑ، فلما سلمته السفط وقفت بين يديه لأبشره بما عندي من خبر الولادة، غير أنني بقيت أترصد الفرصة المناسبة لإعلان هذا الخبر وتقديم هذه البشارة السارة، حتى إذا فرغ الإمام أمير المؤمنين ؑ من حاجة الأعرابي وأعطاه ذلك السفط التفت إليّ وقال مبادرًا: (ما وراءك يا قنبر، فإني أرى أثر البهجة والسرور طافحًا على أسارير وجهك؟).

فقلت، وقد رأيت الفرصة مناسبة: نعم، يا سيدي ومولاي، لقد جئتك ببشارة. فقال ؑ: (وما هي تلك البشارة يا قنبر؟، بشرك الله بالجنة).

قلت: لقد وُلد لك، يا سيدي ومولاي، غلام أغر.

فقال ﷺ: (وممن هذا المولود الجديد؟).

قلت: لقد سألت عن ذلك فضة عندما أخرجت إليّ السفط، فقالت: إنه من أمّ البنين فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلابية، كما وأنها قالت لي: بأنّ سيّدي السيّد زينب ؑ أوصتني أن أبشرك بهذا المولود عندما أرجع إليك وأن أسألك عن اسمه وكنيته ولقبه.

فلما سمع الإمام أمير المؤمنين ﷺ ذلك تهلّل وجهه فرحاً وسروراً وشكرني على هذه البشارة، وقال: (يا قنبر، إنّ لهذا المولود شأنًا كبيرًا عند الله ومنزلة عظيمة لديه، وأسماءه وكناه وألقابه كثيرة، وسأمضي أنا بنفسي إلى المنزل لإنجاز ما سنّه لنا رسول الله ﷺ للمولود عند الولادة، وبعدها من سنن الإسلام، فهيّا بنا إلى ذلك يا قنبر).

ثم إنّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ قام من مجلسه ذلك وودّع أصحابه ومَن كان معه، ثمّ خرج من مسجد رسول الله ﷺ متّجهًا نحو البيت، فلما دخل المنزل سلّم - على عادته ولاستحبابه - على مَن كان في المنزل من أهله وأسرته الذين كانوا بانتظار قدومه، وحيّاهم بتحيّة الإسلام ثمّ قال: (اتنوني بولدي).

فقبل ﷺ بالتحية والبشارة، ثمّ جيء بولده إليه ملفوفًا في خرقة بيضاء ومقمّطًا بها، فأخذه وضمّه إلى صدره، ونثر قبلاته الحارة على وجهه وخديّه، ثمّ أدّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وبعدها أخذ الإمام أمير المؤمنين ﷺ يطيل النظر إليه.

وهنا تمطى المولود الجديد لأُم البنين في قماطه حتى قطعه، وأخرج كلتا يديه من القماط، ممّا أثار بذلك ذكريات الإمام أمير المؤمنين ؑ التي كانت في ذاكرته ممّا نزل بها جبرائيل في حقّ هذا الوليد الجديد من عند الله ﷻ على رسول الله ﷺ، وأخبره بها رسول الله ﷺ من كيفية شهادته في نصره الإمام الحسين ؑ في طفّ كربلاء.

عندها اغرورقت عينا الإمام أمير المؤمنين ؑ بالدموع، وتناثرت قطرات الدمع على خديه كالدرر ورطبت كريمته الشريفة، فنظرت إليه إحدى النسوة وقالت: ما يبكيك، يا أبا الحسن، ونحن في هذه الساعة من فرح وسرور، وابتهاج وحبور؟

فالتفت إليها أمير المؤمنين ؑ وهو يكفكف دموعه بيديه الكريمتين، وقال لها ما مضمونه: (لا تلوموني، فإنّي لمّا نظرت إلى هاتين اليدين وتمطّيه في القماط تذكّرت تمطّيه على جواده في كربلاء، وانفصال يديه عن جسمه يوم عاشوراء). ثمّ أخذ يبكي ويكثر من قوله ؑ: (ما لي وليزيد؟).

هذه الرواية رغم طولها لم أرّها إلا في كتاب (الخصائص العباسية) للشيخ الكلّباسي (١٣٠١ - ١٣٦٢هـ)، الذي لم يروها عن مصدر قديم أو حديث، وهذه قصة لا تماثل في تعبيراتها روايات أهل البيت ؑ المعروفة والمعتبرة، وهو ما يدعو إلى رفض هذه الرواية، سنداً ومتناً.

تسمية الوليد الجديد

يذكر الشيخ الكلبي في (الخصائص العباسية)، ص ٧٠، أنه: «لَمَّا أجزى أمير المؤمنين عليه السلام المستحبات المأثورة على مولوده الجديد التفتت إليه - على ما قيل - ابنته عقيلة بني هاشم، ورببة الوحي والعصمة السيِّدة زينب الكبرى عليها السلام وقالت له: يا أبة، هل اخترت لهذا المولود اسمًا، وانتخب له كنية ولقبًا؟

فأجابها أبوها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعطف وإقبال: (نعم، يا بُنَيَّة، لقد اخترت له كلَّ ذلك)، فقالت عليها السلام بلهفة وتعطش: وما هي؟

فقال عليه السلام: (أما الاسم، فاسمه: العباس، وأما الكنية، فكنيته: أبا الفضل، وأما اللقب، فلقبه: قمر بني هاشم، وقمر العشيرة، والسقاء).

فأعجب السيِّدة زينب ذلك، وقالت متفائلة: يا أبة، أما أن اسمه عباس، فعلامة البسالة والشجاعة؛ وأما كنيته أبو الفضل، ففيها علامة الشهامة والنبالة؛ وأما لقبه قمر بني هاشم وقمر العشيرة، فهو علامة الجمال والكمال والهيبة والجلال، ولكن يا أبة، ما معنى أنه السقاء؟

فالتفت إليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن توسَّم في الوليد الجديد شريط المستقبل، وتصفَّح في ملامح وجهه سجلَّ الواقع القريب، وقال، وهو عليه السلام يستعرض على ابنته بعض ما في ذلك السجلَّ من أنباء وأخبار، ويحدثها عن بعض ما فيه من حوادث وملاحم، وذلك بزفات متواصلة، ونبرات متقطعة وخافتة: (يا بُنَيَّة، إنَّه ساقى عطاشى كربلاء).

وما إن سمعت السيّدة زينب ؑ من أبيها هذا الجواب، ورأته مختنقاً بعبرته إلّا وانخطف لونها، وانصدع قلبها، وأجهشت بالبكاء، فلقد ذكرها أبوها الإمام أمير المؤمنين ؑ بما حدّثه به أمّ أيمن عن جدّها رسول الله ﷺ من قصة كربلاء وفاجعتها الأليمة، فلم تتمالك نفسها.

عندها رقّ لها أبوها أمير المؤمنين ؑ فعطف عليها، وأخذ يسيلها ويخفف عنها وطأة الخبر المفجع، ووقعة النبا العظيم نبأ كربلاء وسقاية العطاشى، قائلاً: (بنية زينب، تجلّدي واصبري، وكفكفي دموعك، وخذي أخاك إلى أمّه؛ فإنّ له معك لموقف مشرف، وشأن عظيم).

وهنا سكنت السيّدة زينب ؑ من بكائها وهدأت من فورتها، وكفكفت دموعها، ثم تناولت أخاها الوليد من يدي أبيها الإمام أمير المؤمنين ؑ وأخذت تنثر على وجهه لثامتها الحارّة وقبلاتها الساخنة، وأقبلت به إلى أمّه أمّ البنين التي بقيت بانتظارها.

نعم، كانت أمّ البنين تنتظر السيّدة زينب ؑ بفارغ الصبر؛ لتطلع عبرها على اسم وليدها الجديد وكنيته ولقبه؛ لذلك لما رأتها مقبلة به استقبلتها بنظراتها الحانية، وقالت متسائلة: وهل انتخب مولاي الإمام أمير المؤمنين ؑ لولدنا اسمًا، واختار له كنية ولقبًا؟

فأجابتها السيّدة زينب ؑ بانطلاق وحبور: نعم يا أمّاه، لقد انتخب له أحسنها وأجملها. عندها قالت أمّ البنين بلهفة واشتياق:

تفصلي يا سيدي علي بيانها.

فقال السيّد زينب عليه السلام: أمّا اسمه فهو: عبّاس؛ وأمّا كنيته، فهي: أبو الفضل؛ وأمّا لقبه، فهو: قمر بني هاشم.

وما إن سمعت أمّ البنين بلقب وليدها الجديد قمر بني هاشم الذي لقّبه به أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ وتذكّرت رؤياها التي رأتها قبل زواجها؛ فتهلّل وجهها وانشرح صدرها، وانطلق لسانها بالحمد والشكر على الله تعالى، وأخذت تقول: الحمد لله الذي صدقني الرؤيا وحقق لي وعده.

عندها سألتها السيّد زينب عليه السلام عن منامها وعن قصة رؤياها، فقصّت عليها أمّ البنين رؤياها التي كانت قد رأتها قبيل زواجها من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف انقضى القمر من كبد السماء في حجرها.

فقال السيّد زينب عليه السلام وهي تلثم أخاها الرضيع وتقبّله: نعم، لقد صدقت رؤياك، إنّ ولدك هذا قمر بني هاشم، وهو أجلّ من القمر وأفضل، إنّ قمر العشيرة أبو الفضل العبّاس عليه السلام.

وهذه الرواية لا أصل لها، فهي حديثه الورود، ولم تذكر في كتاب غير الخصائص العباسية، أي أقل من ١٠٠ سنة.

التسمية برواية أخرى:

وقد أورد الكلّباسي، ص ٧٢، رواية أخرى في ولادة العبّاس،

هي: «جاء في بعض الكتب المعتبرة أنَّ أُمَّ البنين يوم وضعت حملها، وولدت أوَّل أشبالها قَمَطَته بقمَاط أبيض، وقَدَّمته إلى أبيه الإمام أمير المؤمنين ؑ ليحري عليه سنن الولادة من التسمية وغير ذلك، فلمَّا أخذه أمير المؤمنين ؑ قَرَّبه إلى فمه ومسح على عينيه وفمه بلسانه الشريف - ولعلَّه حتَّى يكون ممَّن يرى الحقَّ ويسمع الحقَّ وينطق بالحقَّ - ثمَّ أَدَن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثمَّ التفت إلى زوجته الوفية أُم البنين ومَن حولها، وقال: (ما سمَّيموه؟).

فأجابته أُم البنين بتأدُّب واحترام قائلة: وما كنَّا لنسبقك في شيء، يا أمير المؤمنين. فشكر الإمام أمير المؤمنين شعورها الطيب ووفائها الجميل، ثمَّ قال: (إني سمَّيته باسم عمِّي العباس: عباسًا). ثمَّ ضمَّه إلى صدره، وأخذ بيديه الصغيرتين ورفعهما إلى فمه ولثمَّهما بقبالاته الساخنة، واستعبر باكياً، وهو يقول: (كأنِّي بيديه هاتين تقطعان يوم الطفَّ عند مشرعة الفرات في نصرة أخيه الإمام الحسين ؑ). فاستعبرت أُمُّه ومَن كان معها، وفوضت أمره وأمرها إلى الله تعالى.

وهذه الرواية أيضًا، لا أصل لها لما ذكرناه سابقًا.

كنية العباس ؑ

له كنيتان، هي:

(١) أبو الفضل^(١):

وهذه الكنية مشهورة في حياته، حتى يكاد لا يعرف غيرها في زمننا. وقيل: إن كل من سُمِّي بعباس من بني هاشم، كُنِّيَ بأبي الفضل، كالعباس بن عبد المطلب، الذي يكنى بأبي الفضل، وهو عم رسول الله ﷺ، وهو سيد من سادات أصحابه، وكذلك العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، إذ يكنى بذلك، وهو من أصحاب علي عليه السلام ومن شجعان العرب.

(٢) أبو قربة:

سمي بهذه الكنية لأنه في أيام كربلاء كان أشجع رجل يحارب معسكر الظالمين ويأتي بالماء إلى العطاشى في اليوم السابع. والقربة: تُجْمَعُ جَمْعَ قَلَّةٍ عَلَى قَرَبَاتٍ وَقَرَبَاتٍ وَقَرَبَاتٍ، وَجَمْعُ كَثْرَةٍ عَلَى قَرَبٍ، وهي: وعاء من جلد يوضع فيه الماء ونحوه^(٢).

ويبدو أن هذه الكنية سمي بها بعد استشهادها، قال أبو الفرج: «يكنونه: أبا قربة، وما رأيت أحداً من ولده ولا سمعت عمن تقدم منهم هذا»^(٣)، يعني أن هذه الكنية مما اشتهرت بين علماء النسابة لا

(١) انظر: مقاتل الطالبين، ص ٤٥؛ وتهذيب الكمال، ج ٢٠ / ٤٧٩؛ وعمدة الطالب، ص ٣٥٥.

(٢) لسان العرب، مصدر سابق، ج ١٢ / ٥٥، مادة: قرب.

(٣) مقاتل الطالبين، ص ٥٥. وانظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج ١ / ٣٩٥؛ وأنساب الأشراف، البلاذري، ١٩٢؛ ونسب قريش، ص ٤٣؛ تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٠ / ٤٧٩.

بين الهاشميين.

ويذكر ابن إدريس الحلي في كتابه السرائر ١ / ٦٥٦ ما يلي:
«نسب شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد، العباس بن علي .. المسمى بالسقاء ويسميه أهل النسب: أبا قربة»، وعند المطالعة، لم أقف في النسخة المطبوعة من (الإرشاد) على هذه الفقرة: «ويسميه أهل النسب: أبا قربة».

وأما كنية (أبي القاسم)، فإنه قد يُدعى بهذه الكنية لأحد جهتين:
الأولى: جاء في كتاب (نور العين) للإسفرائيني (ت ٤١٧ هـ أو ٤١٨ هـ) أن للعباس ولدًا يسمى القاسم، إذ يقول ص ٤٣: «فخرج عليه من الخيمة غلامان كأنهما الأقمار، أحدهما ابن العباس، والثاني أخوه القاسم، وهما يقولان: لبيك يا مولانا، ها نحن بين يديك. فقال: كُفَّا كما قتل والدكما ..»، فتصح كنيته بذلك.

ولكن لا يوجد من المؤرخين القدامى من يكتّبه بذلك، بل لم يذكروا أن للعباس ولدًا بهذا الاسم، والعبارة: «.. أحدهما ابن العباس [عبيد الله]، والثاني أخوه القاسم» مخالف لما ذكر بعض المؤرخين، إذ يذكرون أنه قد خَلَفَ علي زوجة العباس ؑ وهي لبابة؛ زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين ؑ، فأولدها نفيسة^(١). وخَلَفَ عليها بعد

(١) تذكرة الخواص، ج ٢ / ٧١.

زيد بن الحسن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فولدت له القاسم^(١)،
فالقاسم، حسب هذه العبارة، ليس من ولد العباس عليه السلام، بل من ولد
زوجته.

الثانية: خاطب جابر الأنصاري عليه السلام العباس عليه السلام في زيارة
الأربعين، فقال: «السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا عباس
بن علي»، وبما أن هذا الصحابي الكبير المتربي في بيت النبوة والإمامة
خير بالسبب الموجب لهذا الخطاب، فهو أدرى بما يقول^(٢).

ولكن هذه الرواية محل تأمل في كثير من العبارات، ومما يرد
عليها: كونها مرسلة، وقد انفرد العلامة المجلسي بإيرادها في البحار،
وأن الراوي ورد باسم: «عطاء»، والصحيح: (عطية)، وغير ذلك من
المؤاخذات.

ومع فرض صحة الرواية، فلا يبعد أن تكون تسمية العباس بـ(أبي
القاسم) اشتباهاً من جابر عليه السلام، فهو ليس معصوماً، أو من الراوي، أو
من الرواة من بعده، إذا علمنا أن أكثر الروايات منقولة بالمعاني لا
بالألفاظ.

وما نخلص إليه من نتيجة: أن ليس للعباس ولد اسمه: القاسم
حتى يصح أن يسمى: أبا القاسم. والصحيح أن له ولدين: الفضل

(١) المجدي في أنساب الطالبين، ص ٢٣١.

(٢) العباس للمقرم، ص ١٢٠.

وعبيد الله. ويمكن مراجعة أولاد العباس في كتاب (العباس ؑ بحث نسله وعقبه) لسلمان رامس، ص ٣٦، فقد أجهّد الكاتب نفسه في التتبع والبحث.

كتاب نور العين المنسوب للإسفرائيني (ت ٤١٨هـ)

عنوانه الكامل: (نور العين في مشهد الحسين)، ويُنسب الكتاب إلى: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران النيسابوري الإسفرائيني (ت ١٧٤هـ أو ١٨٤هـ)، الشافعي والأشعري المذهب، وهو ما يشكك فيه السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي، إذ يقول: «أغلب الظن أن هذا الكتاب من الموضوعات، وقد نسب إلى الإسفرائيني لاحقاً؛ وذلك لأن النص المذكور لا يساعد أن يكون من القرن الرابع»^(١).

ويمكن أن نستخلص من هذا الرأي أمرين:

الأوّل: أن مؤلف الكتاب لم يتمّ التعرّف عليه، ويصنّف ضمن المجهولين.

الثاني: إنّ تدوين الكتاب كان موافقاً لسنة طبعه عام ١٢٩٨هـ، ولم تكن ثمة فترة طويلة بين تدوينه وانتشاره، وهو ما يرجّح ألا يكون له أيّ صلة بعصر الإسفرائيني الذي عاش نهاية القرن الرابع ونيف من مطلع الخامس، ويؤيّد ذلك الهوة الكبيرة بين نصّ الكتاب ونصوص القرن الرابع. بل إنّ الاطلاع على محتوى الكتاب لا يوقف القارئ

(١) أهل البيت في المكتبة العربية، السيد عبد العزيز الطباطبائي، ص ٦٥٤، الرقم ٨٣٩.

على سبب واضح لتأليفه.

رأي بعض العلماء حول الكتاب

يقول عنه فضل علي القزويني (١٢٩٠ - ١٣٦٧هـ): «ومن نظر في مقتله المطبوع (نور العين) يعرف أن فيه أكاذيب وأمورًا على خلاف ما أجمع عليه الفريقان، ولا يهمنّا نقل مجعولاته، ومن أراد فليُنظر إلى مقتله؛ فإنّا لا نعتمد على ما تفرّد به»^(١).

كما وصفه الشهيد القاضي الطباطبائي بقوله: «من الكتب الضعيفة جدًّا والتي لا يعتمد عليها.. ومجعول وضعيف ومجهول المؤلف .. إن مقتل الإسفرائيني يضجّ بالروايات الموضوعة والقصص الزائفة»^(٢).

نماذج من الأحداث التي ينفرد بذكرها الكتاب:

- عندما خرج الإمام الحسين من المدينة قاصدًا مكة، عاد إلى المدينة قبل أن ينطلق إلى كربلاء ثم الكوفة!.
- تفرّق معظم أصحاب الحسين ليلة عاشوراء، فيما انضمّ قسمٌ منهم إلى جيش عمر بن سعد!.
- يروي عن السيدة زينب ؑ أنها «رأت رأس أخيها فنتطحت جبينها

(١) الإمام الحسين وأصحابه، فضل علي القزويني، ج ١ / ١٥٠.

(٢) دراسة الأربعين الأولى لسيد الشهداء، السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، ص ٢٩٤، ٢٢١، ٦٠.

بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومت إليه بحرقة»!.

- لما رجعت نساء الحسين وعياله من الشام وبلغوا العراق، قالوا للدليل: «مُرّ بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري.. فوافوا في وقت واحد (يوم الأربعين) وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكبَاد».
- انفرداه بشخصية القاسم، وهو ولد العباس ؑ، وأنه قتل في كربلاء.
- يروي بأن فرس الإمام الحسين ؑ قتلت ٢٦ فارسًا، و٩ خيول.
- بدأت معركة كربلاء في اليوم الثالث، وقد قتل الإمام في اليوم الثالث ثلاثة آلاف شخص^(١).

ألقاب العباس ؑ وتسمياته

(السَّقاء)

بعد أن رجع العباس ؑ إلى الخيام بالقرب مملوءة بالماء، سمي بـ (السَّقاء)، وهذا يدل على أن التسمية بـ (السَّقاء) بدأت من اليوم السابع، ويظهر من أحداث واقعة كربلاء أن العباس ؑ كان أظهر رجل من أصحاب الحسين ؑ في ملء القرب، ويأتي بعده

(١) راجع هذه النماذج: الجدل والمواقف ص ١٣١؛ وموسوعة الإمام الحسين ؑ للريشهري، ج ١/ ٩٢.

الرجل الوجيه (نافع بن هلال).

ومن المصادر التاريخية التي أطلقت هذا اللقب عليه:

- الثقات لابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، ج ٢ / ٣١٠: «والعباس يقال له: السقاء؛ لان الحسين طلب الماء في عطشه».
- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ص ٥٥: «يسمونه السقاء ويكنونه أبا قربة، وما رأيت أحداً من ولده ولا سمعت عمن تقدم منهم هذا».
- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ)، ج ٣ / ١٩٣: «وقطعوا يديه ورجليه حنقاً عليه، ولما أبلى فيهم وقتل منهم؛ فلذلك سُمِّي السقاء».
- الاختصاص للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، ص ٨٢: «العباس بن علي بن أبي طالب، وهو السقاء، قتله حكم بن الطفيل».
- رجال الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ص ١٠٢: «العباس بن علي بن أبي طالب، قتل معه وهو السقاء، قتله حكيم ابن الطفيل».
- قال الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، ج ١ / ٣٤٦: «.. ثم رجع القوم إلى معسكرهم بالماء فشرب الحسين ومن كان معه ولقب العباس يومئذ السقاء».
- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، ج ٣ / ٢٥٦: «وكان عباس السقاء قمر بني هاشم صاحب لواء الحسين».
- جامع الرواة لمحمد علي الأردبيلي (ت ١١٠١هـ)، ج ١ / ٤٣٣: «عباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام من أصحاب أخيه الحسين

عليه السلام ... وهو السقاء».

وظاهر الحال أن تسمية العباس عليه السلام بهذا اللقب لكونه سَقَى عدة مرات؛ وذلك لأن (السقاء) مبالغة في كثرة السقاية، ويحتمل أن التسمية لكثرة المُسقى في يوم السابع. كما يرجح أن تسميته كانت قبل استشهاد.

(قمر بني هاشم)

من المصادر التاريخية التي أطلقت هذا اللقب عليه:

- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، ص ٥٦:
«وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه
تخطان في الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم، وكان لواء
الحسين بن علي عليه السلام معه يوم قتل».

- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، ج ٣ / ٢٥٦:
«وكان عباس السقاء قمر بني هاشم صاحب لواء الحسين».

ويظهر من تسمية العباس عليه السلام بقمر بني هاشم أنه من أجمل شبّان
بني هاشم، وسنذكر هذا من سماته، أرواحنا فداه.

أما غير هذين اللقبين، فهو لقب مستنبط أو جديد، فمنها:

- (حامل اللواء): مستنبط من الروايتين السابقتين كـ (صاحب لواء
الحسين).

- (بطل العلقمي): أُطْلِقَ هذا لفضل تمكنه من هزيمة الجيش

المحيط بنهر العلقمي مرات عديدة، والمرة الأخيرة استشهد على ضفافه^(١). وقد يكون بنو أسد هم أول من أطلق عليه هذا اللقب، فقد حضروا الأيام الأخيرة لفاجعة الطف، والتقوا الإمام السجاد عليه السلام وقالوا له - بعد دفن الحسين عليه السلام وجميع الشهداء -: «بقي بطل من المسناة»^(٢).

- (العبد الصالح): وهو لقب مأخوذ من الزيارة المعروفة عن الإمام الصادق عليه السلام، إذ ورد فيها: «السلام عليك أيها العبد الصالح»، وهذا اللقب وسام رفيع؛ لأنه بلسان الإمام الصادق عليه السلام.
- (ساقى عطاشى كربلاء) و(كبش الكتبية) و(حامى الضعينة) و(باب الحوائج) و(الكفيل) و(المواسي) و(العميد).

ولا يخفى أن هذه الأخيرات أطلقت عليه إلماحا إلى بعض الأدوار التي نسبت إليه في واقعة الطف.

لماذا يسمى بـ (العباس الأكبر)؟

يمكن ادعاء أن لعلي عليه السلام ولدين اثنين اسمهما العباس، وللتفريق بينهما يسمى أحدهما: العباس الأكبر والآخر: العباس الأصغر، ويمكن تحقق هذا الأمر من قرينتين:

(١) انظر: شهداء أهل البيت، حسين الشاكري، ج ٢٠ / ١٩.

(٢) فوائد لغوية، الشيخ حمزة السلامي، ص ٩٢.

الأولى:

ما يذكره بعض المؤرخين القدامى، ومن ذلك ما ورد في الكتب التالية:

الأول: تهذيب الكمال للمزي (ت ٧٤٢هـ)، ج ٢٠ / ٤٧٩: «وكان له من الولد الذكور أحد وعشرون: .. والعباس الأكبر أبو الفضل قتل بالطف .. والعباس الأصغر، يقال: إنه قتل بالطف ... إلخ».

الثاني: تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ)، ص ١٧٩: «قال أبو عبيدة وأبو الحسن: وقتل معه العباس الأصغر ومحمد بن علي الأصغر ابنا علي بن أبي طالب، أمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس، وقيل: أمه أم ولد»^(١).

الثالث: تاريخ أهل البيت ؑ، ص ٩٨ ونسب هذا الكتاب إلى عدة أشخاص، وهم: الإمام الرضا ؑ، ونصر بن علي الجهضمي (ت ٢٥٠هـ)، وأحمد بن محمد الفاريابي (عاش في القرن الثالث الهجري) ابن أبي الثلج البغدادي (ت ٣٢٥هـ) وابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ): «.. الأصاغر: عمر الأصغر ومحمد الأصغر والعباس الأصغر وجعفر الأصغر».

(١) ما ذكره العصفري أن أمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس اشتباه منه، إذ المرجح أن أمهما أم ولد.

الثانية:

على فرض عدم وجود القرينة الأولى، تثبت قرينة ثانية؛ وهي أن أبا الفضل العباس عليه السلام يعرف بين المؤرخين بـ (العباس الأكبر)، كما يرد ذلك في كتاب: أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، ص ١٩٢: «.. العباس الأكبر، وهو السقاء..»، وهو ما يقتضي عرفاً وجود العباس الأصغر؛ لأن المتعارف في ذلك العهد تسميات مترادفة لفظاً؛ كما ينقل أن لأمير المؤمنين عليه السلام أولاد، منهم ثلاثة أشخاص اسمهم (محمد):

- محمد الأكبر، وهو ابن الحنفية من خولة بنت جعفر بن قيس.
- محمد الأوسط، وهو ابن أمانة بنت زينب بنت الرسول ﷺ.
- محمد الأصغر، وهو ابن ليلى بنت مسعود^(١).

(سبع القنطرة)

وانطلاقاً مما اشتهر به عليه السلام من الشجاعة، سُمِّي العباس عليه السلام: (سبع القنطرة)، وممن يذكر ذلك الشيخ محمد إبراهيم الكلбاسي النجفي (ت ١٣٦٢هـ) في كتابه (الخصائص العباسية)، ص ١٥٦ - ١٥٧، إذ يقول: «عُرف أبو الفضل العباس عليه السلام بسبع القنطرة؛ لأنه - على ما روي - قد أبدى من نفسه في حرب النهروان - والنهروان بلد

(١) راجع: مستدرك سفينة البحار، الشيخ النمازي، ج ٧ / ٣٨٦.

من بغداد بأربعة فراسخ - جداراً عالية في حراسة القنطرة، والجسر الذي كان قد أوكله أبوه أمير المؤمنين ؑ مع مجموعة من الفرسان بحفظه يوم النهروان من الخوارج، وقد سُجِّلَتْ له مواقف شجاعة وبطولات هاشمية مشرّفة.

فإنّه لم يدع - بشجاعته وبسالته - جيش الخوارج أن يعبروا عليه ولا أن يجتاوزوه إلى حيث يريدون، بل صمد أمامهم بسيفه وصارمه، وصدّهم عمّا كانوا ينوونه بعزمه وبأسه؛ ولذلك لمّا دخل وقت الصلاة وطلب الإمام أمير المؤمنين ماءً يتوضّأ به، أقبل فارس والإمام ؑ يتوضّأ، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد عبر القوم - ويقصد بهم الخوارج - وإنهم عبروا القنطرة التي أوكّل بها الإمام أمير المؤمنين ؑ ابنه العباس ؑ مع مجموعة من الفرسان.

فلم يرفع الإمام أمير المؤمنين ؑ إليه رأسه، ولم يلتفت إليه؛ وذلك وثوقاً منه بشجاعة ولده المقدام أبي الفضل العباس ؑ الذي أوكله بحفظ القنطرة من سيطرة الأعداء، وأمره بحراستها من عبورهم عليها وتجاوزهم عنها.

هذا مضافاً إلى ما أخبره به رسول الله ﷺ عن الله في شأن الخوارج، وما يؤول إليه أمرهم وفتنتهم، وما أطلعه ﷺ على تفاصيل قضيتهم، وكيفية مقاتلتهم له، ومواقع نزولهم وركوبهم، وسوء عواقبهم ومصارعهم.

على إثر ذلك كلّ، أجاب الإمام أمير المؤمنين ؑ ذلك الفارس

بقوله: «إنّهم ما عبروه ولا يعبرونه، ولا يفلت منهم إلّا دون العشرة، ويقتل منكم إلّا دون العشرة». ثمّ قال عليه السلام: يؤكّد ذلك: «والله ما كذبت ولا كُذِّبت». فتعجّب الناس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لذلك الفارس.

وكان هنالك مع الإمام رجل في شكّ من أمره، فقال: إن صحّ ما قال، فلا أحتاج بعده إلى دليل غيره، فبينما هم كذلك، إذ أقبل فارس فقال: يا أمير المؤمنين، القوم على ما ذكرت لم يعبروا القنطرة.

السَّبْعُ: يُقال للأسد ولكلّ حيوان مقدام فتّاك، ويطلق على الرجل الشجاع البالغ في الشجاعة والإقدام. والقنطرة: تقال للجسر، ولكلّ ما بني على الماء من أنهار وجداول للعبور. ويراد من «سبع القنطرة»: الرجل الشجاع الذي حمى الجسر من عبور الأعداء عليه، وأثبت من نفسه جدارة الحراسة للجسر، وسجّل عليه مواقف بطولية مشرّفة.

وهذه الرواية لا أصل لها في الكتب القديمة، بل حتى الجديدة غير هذا الكتاب المنقول عنه، والظاهر أن هذه الرواية منقولة من ألسن الناس. وهي - كغيرها من الروايات الضعيفة - لا يمكن قبولها، فكيف نقرّ برواية لا يعرف أصلها، وبخاصّة أنها عن حادثة وقعت قبل أكثر من ألف سنة. هذا من حيث السند.

أما من حيث الدلالة، فإن عمّر العباس عليه السلام في زمن الرواية ١٢ سنة، ومن غير المتصوّر قبول مضمونها والعباس لا يزال طفلاً حينها. وهذه الرواية - في واقعها - سحّب على رواية ثابتة عند الفريقين

تظهر شجاعة علي ؑ وعلمه الغزيرين، وما أكثر سرقات الروايات الثابتة إلى الروايات مختلقة، وسحبها على شخصية موهومة أو شخصية قابلة لرفع مستواها، كما هي الحال مع العباس ؑ.

والرواية الأساس يذكرها المؤرخون ضمن أحداث معركة النهروان، إذ يذكر الحسين بن حمدان الخصيبي في كتابه الهداية الكبرى، ص ١٣٦ - ١٣٧ أن «عبد الله بن خباب كان من أعبد شيعة أمير المؤمنين وأفضلهم وأخيرهم، وذبحوا زوجته وطفله فوقه، وقالوا: هذا فعلنا بشيعة علي وأنصاره: نقتلهم ولا نبقي منهم أحداً.

فقرأ أمير المؤمنين الكتاب، وبكى رحمةً لعبد الله وزوجته وطفله، وقال: (آه يا عبد الله، لئن فجع الله بك الدين، لقد صرت وزوجتك وطفلك إلى جنات رب العالمين). وسمع من في العسكر ما ورد عليه، وصاح الناس من العسكر: (فماذا ترى يا أمير المؤمنين؟)، قال: (اعتدوا بنا إلى هؤلاء المارقين، فهذا وأيم الله أرى بوارهم ولحوقهم بالنار).

فرجع إلى النهروان حتى نزل بالقرب من القنطرة، وكان في أصحابه رجل يقال له: جندب الأزدي قد داخله شك في أمير المؤمنين ؑ، فلحق بالخوارج، لعنهم الله، فقال له أمير المؤمنين: (الزمني وكن معي حيث كنت)، وحقق أمير المؤمنين فحققه إلى أن زالت الشمس، فأتاه قبر فقال له: (يا أمير المؤمنين، الصلاة يرحمك الله)، فقال له: (ائتني بماء)، فأتاه فأسبغ وضوءه وصلى، فأتاه فارس

يركض، فقال له: (يا أمير المؤمنين، قد عبر القوم القنطرة)، فقال له عليه السلام: (إنهم ما عبروها)، فقال: (والله، لقد عبروها)، فقال: (والله، لقد كذبت ما عبروها ولن يعبروها، ولا يقتلون منا إلا تسعة ولا يبقى منهم إلا تسعة).

قال جندب الأزدي: (الله أكبر، هذه دلالة قد أعطاني إياها فيهم)، فأتاه فارس آخر يركض فرسه، فقال: (يا أمير المؤمنين، عبروا القنطرة)، فقال: (والله، لقد كذبت ما عبروها ولا يعبرونها، ولا يبقى منهم إلا تسعة ولا يفقد منا إلا تسعة)».

من صفات العباس بن علي عليه السلام

(١) علمه وورعه عليه السلام

لقد اختصّ نبينا الكريم ﷺ ابن عمّه وصهره الإمام عليّاً بالعلم والمعرفة والتربية والتأهيل من بين أصحابه؛ فكان ﷺ مدينة العلم، والإمام علي عليه السلام بابها، كما هو صريح مجموعة من الروايات الشريفة. وهكذا كانت سيرة أهل البيت عليهم السلام مع أبنائهم، فقد اختص الإمام علي أبناءه بالعلم والتأهيل لقيادة الأمة وتبليغ الرسالة والحفاظ على نقاء الإسلام وتعاليمه.

وممن أولاه عنايته وتربيته وتعليمه ابنه العباس عليه السلام، حيث تربى في كنف العلم والحكمة وهو ما انعكس على شخصيته الكريمة. يقول الشيخ عبد الحسين الحلبي رحمه الله حول شخصية العباس عليه السلام: «ولكن المتتبع لمؤلفات المتأخرين وما جمعته الشوارد يعلم أنه كان من أكابر

فقهاء أهل البيت وعلماهم وعظمائهم، وأنه كان ناسكاً، عابداً، ورعاً، بين عينيه أثر السجود»^(١).

ويؤيده في ذلك الشيخ علي النمازي الشاهرودي، الذي يقول: «وكان من فقهاء أولاد الأئمة ؑ، وكان عدلاً ثقةً نقيّاً»^(٢).

وهو أمر يذكره أبو الفرج الأصفهاني، إذ يقول: «قال المدائني أبو غسان عن هارون بن سعد عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدتُ أعرفك، قال: إني قتلْتُ شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود، فما نِمْتُ ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصيح، فما يبقى في الحي إلا سمع صياحي. قال: والمقتول العباس بن علي ؑ»^(٣).

العلم اللدني عند العباس ؑ

وقال العلامة محمد باقر البيرجندي في كتابه الفارسي (الكبريت الأحمر): «إنه العباس كان عالماً من دون تعلّم من أحد»^(٤).

ويقول (الشيخ محمد السند) بعدما ذكر قول الكبريت الأحمر:

(١) الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي، الشيخ عبد الحسين الحلبي، ص ١٢٥.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٤ / ٣٥٠.

(٣) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ص ٧٨-٧٩.

(٤) الدائرة الاصطفائية الثانية لأهل البيت ؑ: أبو الفضل العباس أنموذجاً، الشيخ

محمد سند، ج ١ / ١٥٢.

«وهذا يشير إلى ذلك المقام الاصطفائي في علم أبي الفضل العباس وأن علمه ليس علمًا كسبياً عادياً كبقية العلماء والفقهاء أو ما شابه ذلك»^(١).

ومما يرد على هذا القول: «عالم من دون تعلم» وأن علم العباس عليه السلام ذاتي وليس بمكتسب أنها دعوى تحتاج إلى دليل، و«عدم الدليل كافٍ في دليل عدم»، كما يعبر المناطقة.

(٢) نافذ البصيرة

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام، وأبلى بلاء حسناً، ومضى شهيداً».

تُتَنَاقَلُ هذه الرواية على ألسن الكثير من العلماء والخطباء، ويحفظها العديد من المؤمنين، ولا تمنع حظوتها بهذه الشهرة عن البحث عن مصدرها، وهو المنهج المتبع في عموم هذا الكتاب. وما ظهر أثناء التتبع والبحث أن هذه الرواية لا تخرج عن مصدرين أساسيين، هما:

- عمدة الطالب لابن عنبه (ت ٨٢٨هـ).
 - سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري (ت ٣٤١هـ).
- فقد ورد في (عمدة الطالب)، ص ٣٥٦، قوله: «روى الشيخ أبو

(١) المصدر السابق، ج ١ / ١٥٢.

نصر البخاري عن المفضل بن عمر أنه قال: قال الصادق جعفر بن محمد ؑ: كان عمُّنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً».

وقد وردت بلفظ مشابهٍ جداً في (سر السلسلة العلوية)، ص ٨٩، إذ يرويها عن «المفضل بن عمر عن الصادق ؑ أنه قال: كان عمُّنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله الحسين ؑ وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً، وورث إخوته من أمه، وورثه ابنه عبيد الله بن العباس. قال: استشهد وقد بلغ سنُّه أربعاً وثلاثين سنة».

ولا يوجد كتاب حديثي آخر لهذه الرواية حتى القرن الرابع عشر، إذ وردت في:

- إِبصار العين، للسماوي، ص ٥٧.
- أعيان الشيعة، للسيد الأمين، ص ٤٣٠.
- الأنوار العلوية، للشيخ جعفر النقدي، ص ٤٤١.
- مقتل الحسين ؑ المنسوب، لأبي مخنف الأزدي، ص ١٧٦، إذ يعدُّ من المصادر المتأخرة إذا تنبَّهنا إلى ما لحقه من إضافات أخرجته عن الكتاب الأمّ. ولم يذكر أحد من العلماء - بحسب التتبُّع - أن الرواية مرجعها كتاب مقتل الحسين ؑ لأبي مخنف. وإذا لم يُشَرَّ إلى ذلك فليس لها مصدر غير ما ذكرنا.

والغريب أن الرواية لم تذكر في بحار الأنوار، مع أن العلامة المجلسي متبَّع دقيق في جمع الروايات، فالظاهر أنه لم يحصل على

الكتابين المذكورين.

تقييم الرواية:

إن الرواية، من حيث السند، جيّدة، ويمكن الوثوق براويها؛ فالجميع يُجمَع على وثاقة المفضل بن عمر الذي يُعدُّ من نجباء الإمام الصادق عليه السلام وخواصه؛ ولكنّها - من الناحية العلمية - تعدّ ظنية الثبوت؛ لأنها مقطوعة السند، إذ لم يُذكر فيها سلسلة السند وصولاً إلى المفضل بن عمر. مضافاً إلى أن الراوي (أبا نصر البخاري) من النسابة لا من المحدثين، ما يجعل الرواية أضعف من الروايات الظنية الموجودة في كتب الكافي وكامل الزيارات وبصائر الدرجات وغيرها؛ لأنّ مؤلفي هذه الكتب من المحدثين المختصّين بالرواية، وهي الصفة التي لا يتمّع بها أبو نصر البخاري.

أما من حيث المتن، فلا يبعد أن عبارة: «قال: استشهد وقد بلغ سنه أربعاً وثلاثين سنة» من كلام المؤلف، وأُدْخِلَ في كلام الإمام الصادق عليه السلام؛ ذلك أن أصل الكتاب لأبي نصر البخاري، ولكنه برواية عن عبد الرحمن، فكلمة: «قال» يشير بها إلى عبد الرحمن. ويظهر أن عبارة: «وورث إخوته من أمه، وورثه ابنه عبيد الله بن العباس» من كلمات المؤلف وليس من كلام الإمام الصادق عليه السلام.

وما نخرج به من نتيجة أن مصدر الرواية الأساس: كتاب سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري، وهو ما يجعلها ظنية، وإن كانت راجحة ومقبولة.

(٣) عصمته ؑ

أشار كثير من العلماء إلى عصمة العباس ؑ ولو بدرجة نازلة، وتسمى: (العصمة الصغرى)، واستدلوا بأدلة، منها:

- إن تغسيل جسد المعصوم ؑ له تميز في العصمة، وقد ساعد العباس ؑ أخاه الإمام الحسين ؑ في تغسيل جسد الإمام الحسن ؑ.

وهذا الرأي مناقش، فحضور العباس ؑ لغسل الإمام الحسن ؑ، إذا ثبت، كان مثل حضور الفضل بن العباس ؑ غسل الرسول ﷺ، لما أراد أمير المؤمنين ؑ غسل رسول الله ﷺ، إذ استدعى الفضل بن العباس، فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصّب عينيه، ثم شق قميصه من قبل جيبه، حتى بلغ به إلى سترته، وتولى غسله وتحنيطه، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه، والملائكة كانت أعوانه أيضًا، فغسل في قميصه^(١).

- يوجد استفتاء وُجّه إلى المرجع الميرزا جواد التبريزي، وارد في (صراط النجاة)، ج ٣ / ٤٢٥: «هل يصح أن نقول بالعصمة لغير الأنبياء والأئمة ؑ كالسيدة الحوراء زينب ؑ وأبي الفضل العباس ؑ، وهل للعصمة مراتب؟».

فقد أجاب ﷺ بقوله: «إن العصمة التي ذكرها الله في آية التطهير

(١) اقرأ القصة كاملة في: الإرشاد للشيخ المفيد، ج ١ / ١٨٧.

مختصة بالنبي وفاطمة والأئمة المعبر عنهم بأربعة عشر معصوماً، وفي سائر الناس من المنتسبين إلى النبي أو الأئمة - صلوات الله عليهم - لا تكون هذه العصمة، ولكن يمكن أن تكون بمرتبة نازلة، يمتازون بها عن سائر الأتقياء والصلحاء، وهذا كما في أبي الفضل العباس والسيدة زينب عليهما السلام وغيرهما ممن ورد في حقهم بعض الأخبار - سلام الله عليهم أجمعين -، كيف لا يكون كذلك، فإن السيدة زينب شريكة الحسين عليه السلام في قيامه بوجه الظالمين، فإن أسرها، وخطبتها التي إذا نطقت بها كأنها نطقت عن لسان أبيها عليه السلام معروف مشهور متواتر، وإن أبا الفضل العباس عليه السلام فداؤه في سبيل أخيه الحسين عليه السلام وما تحمل من المصائب في سبيل الدين، وتشيد مذهب التشيع أمر معروف بين عامة المسلمين، فضلاً عن المؤمنين، والله العالم».

وهذا الرأي يَرِدُ عليه أن ما ذكره من الأدلة أو المعصّادات والقرائن إنما تكون دليلاً على التقوى لا العصمة. نعم، قد وردت رواية عن السيدة زينب عليها السلام أنها «عالمة غير معلمة» وملازمتها للعلم المُلهم بالعصمة، فإن صحت هذه الرواية فهي مختصة بالسيدة زينب عليها السلام. وهذه الرواية لم ينقلها غير الطبرسي في الاحتجاج، ج ٢ / ٣١. وربما لا يستفاد صفة العصمة للسيدة زينب عليها السلام؛ لأن العصمة من الأمور الاعتقادية التي تحتاج إلى دليل قطعي.

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته للعبّاس عليه السلام قوله: «ولَعَنَ اللهُ أُمَّةً اسْتَحَلَّتْ مِنْكَ المحارم، وانتَهكت في قتلِكَ حُرمة الإسلام». كما ورد نظير ذلك في الإمام الحسين عليه السلام. ولو تمعنا

هذه العبارة: «وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام»، لرأينا أنّ الذي يُنتَهَك الإسلام بقتله لا بدّ أن يكون شخصاً عظيماً منزّهاً معصوماً إمّا عصمةً كبرى، كالإمام الحسين ؑ، أو عصمةً صغرى، كالعبّاس ؑ.

ويردّ على هذا الاستدلال: حرمة القتل المتعمّد للنفس المؤمنة، وأن ذلك بمثابة قتل الناس جميعاً، بل إن قتل النفس الإنسانية كقتل الناس جميعاً؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١). فإن قتل الناس جميعاً أشد من انتهاك حرمة الإسلام؛ لأن قتل النفس بغير حق انتهاك لحرمة الله. ولذلك فإن قوله: «ولعن الله أمةً استحلّت منك المحارم، وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام» ينطبق على المؤمن الصالح كما ينطبق على المعصوم.

- ما ورد عن الإمام زين العابدين ؑ في قوله: «وإن للعبّاس عند الله ﷻ منزلةً يغطّيه عليها جميع الشهداء يوم القيامة»^(٢). فمن هذا الذي يغطيه كلّ الشهداء بمن فيهم المعصومين أيضاً كالشهداء من الأنبياء، فهذا الشخص لا بدّ وأن يكون مقامه مقام العصمة الكبرى أو أدنى منه قليلاً حتّى يغطيه المعصوم.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٦٨.

ويرد على هذا الرأي أن العباس عليه السلام الذي يغبطه كلّ الشهداء لا بُدَّ من استثناء الأربعة عشر معصومًا عليهم السلام، بلا شك ولا ريب. وهو ما يستدعي التردد: هل إن الاستثناء يشمل الأنبياء أو لا يشملهم؟، فالقدر المتيقن القطعي هم الشهداء من الناس والصلحاء ومن هو أدنى، كما أن ما ورد في الرواية هم الأغلبية وليس الجميع.

كما أن هذه الرواية تتعارض مع ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شهدنا أفضل الشهداء، وهو عمّ أبيك حمزة، ومنا من جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة حيث يشاء، وهو ابن عمّ أبيك جعفر»^(١)، ويضاف إلى ذلك أن تسمية الإمام الحسين عليه السلام: سيد الشهداء في كثير من الروايات المعصومين عليهم السلام تعارض مؤدى هذا الرأي.

كما أن العالم الناصر للحق أرفع درجة من درجات الشهداء، وهذا للروايات الكثيرة من قبيل:

- عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة، جمع الله عزَّ وجلَّ الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»^(٢).

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، القاضي النعمان التيمي المغربي، ج ١ / ١١٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤ / ٣٩٩.

- عن جعفر بن محمد ؑ عن أبيه ؑ عن آبائه ؑ أنه قال: «ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفعهم: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»^(١).

- عن علي ؑ أنه قال: «إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربِّ سلم شيعتي ومحبي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»^(٢).

وهذه الرواية الأخيرة تذكر أن الصديقين أرفع درجة من الشهداء، ومعنى الصديق مبالغة في الصدق، فهو الملازم للصدق دائماً في القول والفعل، ومن مصاديق الصديقين العلماء الربانيون الذين لا يعصون الله قط، وهم المسارعون إلى الخيرات، كما أن العلماء ليسوا معصومين. نعم، لا يخفى أن العباس من العلماء الكبار ممن لم يذنب

(١) قرب الإسناد، أبو العباس الحميري، ص ٦٤، ح ٢٠٣.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٤٠٨.

في حياته بحسب الظاهر، ولكن إثبات عصمته بحاجة إلى دليل قطعي، وهو ما لا نملكه مما بين أيدينا من مصادر الحديث الموثوقة.

(٤) جماله عليه السلام

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: «وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً»^(١).

هناك فرق بين الوسيم والجميل، فالأول معناه: حسن الوجه وملاحظته، ويجمع على: وُسَمَاءٌ ووُسَامٌ، ومؤنثه: وسيمة، وتجمع على: وسيمات ووُسَام.

والثاني: ما يشمل معناه حسن الوجه وملاحظته، وكذلك معناه الإحسان بالمعروف. لذلك صح أن يُسمَى الله: جميلاً ولا يصح إطلاق الوسيم على ذاته المقدسة. فالجميل اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: ذو النور والبهجة الذي لا يليق به قبح من القبائح.

وقد أشرنا في ألقابه بأنه يلقَّب بـ (قمر بني هاشم)، وهذه مبالغة من ملاحظته وحسنه، كما هو متعارف عند العرب^(٢).

(٥) شجاعته عليه السلام

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: «وكان العباس رجلاً وسيماً

(١) مقاتل الطالبين، ص ٥٦.

(٢) مقاتل الطالبين، لأبي الفرج، ص ٤٥؛ ومناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج ٣ / ٢٥٦.

جَمِيلاً، يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الأرض. وكان يقال له: قمر بني هاشم، وكان لواء الحسين بن علي ؑ معه يوم قتل»^(١).

الفرس الواردة في الخبر: الخيل الأنثى، والحصان للخيّل الذكر، كما أن الخيل تشملهما معاً، قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبُعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾^(٢).

والمطهم: الجواد المكتمل والتام والمتناه في الرشاقة. والوجه المطهم أي: بارع الجمال، ممتلئ الخدين.

أما قوله: «ورجلاه تخطان في الأرض»، فهي مبالغة عند العرب في الشجاعة، ولا يُراد منها المعنى الحقيقي، كما يفهم البعض.

ومن المعلوم أن الإمام الحسين ؑ قد أعطى الراية أخاه أبا الفضل العباس ؑ يوم عاشوراء، وهذا دليل جلي على الشجاعة والرجولة.

ومما يدلّ على شجاعته أيضاً ما يذكره أبو العباس الحسني في (المصابيح)، ص ٣٣١: من أن «العباس بن علي بن أبي طالب كان يقاتل قتالاً شديداً، فاعتوره الرّجال برماحهم فقتلوه، فبقي الحسين ؑ وحده ليس معه أحد».

وهو أمر يشير إليه ابن الطقطقي في (الأصيلي)، ص ٣٢٨ بقوله:

(١) مقاتل الطالبين، ص ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨.

«كان العباس شجاعاً، فارساً، كريماً، باسلاً، وفيّاً لأخيه، واساه بنفسه، عليه وعلى أخيه صلوات الله».

الفرق بين الراية واللواء

استعملت الرايات والأعلام منذ الحروب النظامية الأولى قديماً، وكان المقاتلون يحرصون على ألا تسقط الراية. وحسب الروايات التاريخية، يُعدُّ الصينيون القدماء وسكان جزر الهند الشرقية أول من ابتكر العَلَم من القماش، وكان ذلك منذ عام ١١٠٠ قبل الميلاد.

وقد استعمل العرب لذلك أسماء عدّة، منها: (العَلَم) و(الراية) و(اللواء) و(البيرق) و(البند)، فهل كل هذه الأسماء لها المعنى نفسه في الاستعمال العربي، أم ثمة فروق بينها؟

وجود مترادفات وأسماء عديدة لجنس واحد ظاهرة لغوية، فهناك عشرات الأسماء للسيف، كالصارم والبتار والمهند، ولكن ثمة فروق دقيقة تميز كل نوع من عن الآخر، وكذلك ثمة فروق تميز الراية، فالبيارق تختلف عن البنود وهما يختلفان عن الألوية، مثلاً.

جاء في المعجم أن (العَلَم) - بفتحتين - هو: العَلَامَةُ، وهو مأخوذ أيضاً من معنى المعرفة بالشيء، وأصل كلمة عَلَم هي: العلامة، وكانت تطلق في اللغة على الجبال العالية باعتبارها علامات يهتدي بها المسافرين، ولذلك عُدَّ العلم رمزاً للشموخ والكبرياء، باعتبار أن الجبال الشاهقة رمز للشموخ، وهو معنى كلمة (علم) في قصيدة الخنساء التي ترثي بها أخاها صخرًا، حيث قالت في حقه:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

وقد جاء في كتب التراث أن هناك فرقاً بين (اللواء) وبين (الراية)، فاللواء: ما يعقد طرف الرمح ويلوى عليه، والراية: ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح. وسُمِّيَ لواء لأنه يلوي لِكَبْرِهِ، فلا ينشر إلا عند الحاجة، وهو عِلْمٌ ضَخْمٌ وعلامة لمحل أمير الجيش، يدور معه حيثما دار، أما الراية فهي عِلْمٌ تُعْطَى للجيش، وتُكنى (أُمُّ الحرب)، وجمعها رايات، وهي ما يُعقد في الرمح أو السارية ويترك حتى تصفقه الرياح، وقالوا: الراية لقائد الجيش واللواء للأمير.

والراية من الأسماء القديمة للعِلْم، وكان إذا حملها جندي وسقط رفيقه، حملها كي لا تسقط على الأرض.

أما البَنْد، فهو العِلْمُ الكبير، وهو من الأسماء القديمة، وقد ورد في شعر المتنبي عندما قال يحث على قتال الروم:

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ

أما البيرق، فهو العلم الكبير، وكان يطلق على الأعلام الموضوعة على الأبنية، ومنها أخذت تسمية: (بيرق دار)^(١).

ولهذا، فإنَّ العباس، حسب المعنى اللغوي لكلمة (الراية)، كان قائد جيش الإمام الحسين ؑ، يدور معه عِلْمُ الجيش حيثما دار.

(١) للاستزادة، انظر: لسان العرب للمواد: علم، رأى، لوي، برق، بند.

المبالغات في شجاعة العباس عليه السلام

تجمع المصادر التاريخية على اتصاف العباس بن علي عليه السلام بالشجاعة والإقدام في المعارك، ولكن بعض المصادر الحديثة، وكذلك بعض ما يلقي على المنابر، فيه مبالغات فيما يروى من قصص وأحداث لا أصل لها ومصدر تاريخياً أو حديثاً يرويها. ومن أمثلة ذلك:

(١) مالك الأشتر والعباس عليه السلام

ورد عن مالك الأشتر قوله: «ظننت أن الله ﷻ لم يخلق لي قلباً؛ لأنني لا أخاف من شيء سوى الله ﷻ». وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصف شجاعة مالك الأشتر: «لو دخل مالك إلى غابة ظلماء ووضع قدمه في بطن لَبْوَةٍ، لما اهتز له شعرة من رأسه».

وقالوا يوماً لمالك الأشتر: «متى عرفت أن الله خلق لك قلباً؟»، فقال مالك: (عندما وزع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القادة والجنود على مراكزهم في معركة النهروان، وقال لابنه العباس عليه السلام وكان صبيّاً في حينها: قف، أَنتَ بُنَيَّ عباس على تلك القنطرة)، يقول مالك: فقلت: (يا أمير المؤمنين، لكنه صبي؟)، يقول: (فرمقني العباس بعينه)، وفي تلك اللحظة عرفت بأن الله خلق لي قلباً».

هذه الرواية لا أصل لها ولا أثر إلا ما يتداول في بعض المواقع الإلكترونية، وتتردد على ألسنة بعض خطباء المنابر دون الرجوع إلى مصدر روائي أو تاريخي معتمد.

(٢) العباس يقاتل بالسيف محمولاً في فمه

يروى القزويني في كتابه (تظلم الزهراء) أن العباس «أخذ السيف بفمه، ثم حمل على القوم، ويداه تنضحان دمًا، وقد ضعف، فضربه ملعون بعمود من حديد، ففلق هامته، فانصرع إلى الأرض، وهو ينادي: (يا أبا عبد الله، عليك مني السلام). فلما سمع نداءه حرك جواده إليه، فكشفهم عنه، فلما رآه عليه السلام صريعاً على شاطئ الفرات، بكى بكاءً شديداً، وقال: (الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي)»^(١).

هذا الحدث غير موجود في المصادر القديمة، وبالخصوص عبارة: «أخذ السيف بفمه، ثم حمل إلى القوم، ويداه تنضحان دمًا» التي انفرد بها القزويني.

كتاب (تظلم الزهراء)

مؤلف كتاب (تظلم الزهراء من إهراق دماء العباء) هو المولى رضي بن نبي القزويني (ت بعد ١٣٤ هـ)، ووقد صدر بتحقيق: السيد مهدي الرجائي، الذي يشير في مقدمة تحقيق الكتاب إلى أنه «لم يعثر بعد التتبع التام حتى الآن على تفصيل ترجمة حياة المؤلف من تاريخ ولادته ووفاته، وعن حياته الاجتماعية، وعن محل دفنه، وإنما عُرِف المؤلف من كتابه القيم هذا».

ويذكر آقا بزرگ الطهراني في الذريعة، ج ٤ / ٢٠٢: «تظلم الزهراء

(١) تظلم الزهراء عليه السلام، القزويني، ص ١٩٩.

للمولى رضى الدين بن نبي القزويني (المتوفى بعد ١١٣٤ هـ) أوله: (يا من لا يخفى عليه أنباء المتظلمين)، هو كالشرح على اللهوف، ومرتب على ترتيبه من المسالك الثلاثة .. ينقل فيه عن البحار كثيرًا ويعبر عن نفسه: بنائح الشبل العلوي، فيظهر منه أنه كان قارئ المصائب الحسينية».

وهذا الكتاب كغيره من الكتب التي وجدت بعد القرن العاشر، وفيها الكثير من المرويات التي لا أصل لها، ومن أمثلة ما يرويه القزويني في كتابه هذا دون مصدر^(١):

- قول الحسين عليه السلام: «اسقوني شربة من الماء».
- المحادثة بين الإمام الحسين عليه السلام وفرسه على الماء عند نزول الفرات، والتي انتهت بعدم حصول أي منهما عليه.
- قتل الإمام الحسين عليه السلام ما يزيد على عشرة آلاف فارس، ولا يبين النقص فيهم لكثرتهم.
- روايته لرؤية دموع الخيل تنحدر على حوافرها.
- رجوع أهل البيت عليه السلام من الشام إلى كربلاء.

زوجته وأبناؤه

زوجته لُبابة

هي: لُبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهي

(١) انظر: جدل ومواقف، الشيخ حيدر حبّ الله، ص ١٤١.

هاشمية. وقد ورد اسمها: «لَبَانَة» في (الدرجات الرفيعة للسيد ابن معصوم المدني، ص ١٤١)، كما وردت باسم: «أُمَامَة» كتاب النسب^(١). والاختلاف ناشئ من تصحيف النسخ، لتشابه كل من: (لبابة) و(لبانة) و(أمامة).

بينها وبين زوجها العباس قرابة عائلية، فأبوها (عبيد الله بن العباس)، الأخ أصغر لـ (عبد الله بن العباس حَبْر الإمة) بسنة واحدة. وهو ابن عم الرسول ﷺ. وقد اشتبه بعض الباحثين بين (لبابة بنت عبيد الله) وبنت عمّها (لبابة بنت عبد الله)، وذلك لتقارب اسمي أبيهما (عبد الله) و(عبيد الله):

فالأولى: لبابة بنت عبد الله بن العباس تزوجت (علي بن عبد الله بن جعفر)، ثم (إسماعيل بن طلحة)، ثم (محمد بن عبيد الله ابن عمها).

أما الثانية (محلّ البحث): لبابة بنت عبيد الله بن العباس، فإنها قد تزوجت (أبا الفضل العباس ؑ)، وأنجبت منه عبيد الله والفضل، ثم تزوجت (الوليد بن عتبة بن أبي سفيان)، فأنجبت منه: القاسم، ثم تزوجت (زيد بن الحسن ابن أمير المؤمنين ؑ)، فأنجبت منه: نفيسة^(٢).

(١) انظر: السيد الجليلي في كتاب العباس، عن كتاب النسب ص ٢٥٧.

(٢) انظر: كتاب العباس للجلالي ص ٢٥٨.

وكلتاهما أي (لبابة بنت عبد الله بن العباس)، و(لبابة بنت عبيد الله بن العباس)، سميا باسم جدتهما، وهي زوجة (العباس بن عبد المطلب).

أولاده ﷺ

أنجب العباس ولدين، هما: الفضل وعبيد الله. قال العمري في كتابه المجدي، ص ٢٣١: «ولد العباس بن علي بن أبي طالب ﷺ: عبيد الله والفضل، وأمهما بنت عبد الله بن العباس».

يكنى أبوه بأكبرهما: الفضل، حتى كأنه لا يعرف إلا به في أيام حياته، وظاهر الأمر أن الفضل هو أكبر من عبيد الله، والكثير من النسابة من يذكر ولد (عبيد الله) دون الفضل، لأن الفضل لا عقب له، فانحصر عقب بعبيد الله، واهتمام النسابة بمن له عقب.

قال العمري في كتابه المجدي، ص ٢٣١: «قال ابن أبي الدنيا.. فورث العباس ابنه عبيد الله بن العباس، وكان يوصف بالكمال والمروءة والجمال، وتوفي هو ابن خمس وخمسين سنة». ومعنى الإرث هنا ليس الإرث الشرعي، بل المراد عقب واتصال السلسلة به.

وعن مدفن ابنه عبيد الله، قال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، ج ٤ / ١٩: «في ظاهر (طبرية) قبر يزعمون أنه قبر عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ﷺ».

- ويُذكر أن للعباس ؑ ولدين آخرين، هما:
- الحسن: ذكره ابن قتيبة في كتاب الجوهرة في النسب، ج ٢ / ٢٢٨.
 - محمد: ذكره شهر آشوب في كتاب المناقب، ج ٤ / ١٢٢.
- كما ذُكر له ولدان آخران:
- عبد الله: أشار إليه الشيخ المظفر في كتاب بطل العلقمي: «كان طفلاً في الطف، وأُخذ مع السبايا»، وهذا غير معتمد؛ لعدم ذكره عند المؤرخين القدماء.
 - القاسم: ذُكر في زيارة الإمام الحسين ؑ عن جابر الأنصاري، وهذا لا يعتمد عليه.

ملاحظة مهمة:

إن كتاب (بطل العلقمي) للشيخ عبد الواحد المظفر من الكتب المفيدة جداً، خاصة أهل الخبرة المختصين في علم النسب والتراجم، لاطلاع الواسع بهما، ولمناقشاته الدقيقة فيهما وفي غيرهما، لكن قد يلاحظ عليه ملاحظتان:

- من الكتب المفصلة في أبوابها، حتى أن قلمه اتسع في ثلاث مجلدات، ولكن هذه المجلدات الثلاثة لا تختص فقط بتفاصيل سيرة أبي الفضل العباس ؑ، إذ يسهب كثيراً في أمور لا تتعلق بالعباس ؑ ولو بطريق غير مباشرة.
- كما أنه ينقل بعض الصفحات عن كتاب (أسرار الشهادة) للدربندي، غير المعتمد عند العلماء المحققين.

ترجمة العباس عليه السلام في كتب الرجال

ورد في رجال الشيخ الطوسي، ص 102، ترجمة العباس عليه السلام أنه: «العباس بن علي بن أبي طالب، قُتِلَ معه وهو السقاء، قتله حكيم ابن الطفيل. أمه: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، من بني عامر».

كما وردت ترجمته في خلاصة الأقوال للعلامة الحلي، ص 210، إذ يقول عنه: «العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من أصحاب أخيه الحسين عليه السلام، قتل معه عليه السلام بكرلاء، قتله حكيم بن الطفيل».

وترجمه السيد الخوئي في معجم رجال الحديث، ج 10 / 255 - 256، بأنه: «عباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من أصحاب الحسين عليه السلام، قُتِلَ معه، وهو السقاء، قتله حكيم بن الطفيل، أمه: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة ابن الوحيد، من بني عامر، رجال الشيخ. وفي زيارة الناحية: (السَّلَامُ عَلَى الْعَبَّاسِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسِهِ الْآخِذِ مِنْ عَدُوِّهِ لِأَمْسِهِ، الْفَادِي لَهُ، الْوَاقِي السَّاعِي إِلَيْهِ بِمَائِهِ، الْمَقْطُوعَةِ يَدَاهُ، لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَيْهِ: يَزِيدُ بْنُ رُقَادٍ، وَحَكِيمُ بْنُ الطُّفَيْلِ الطَّائِي). أقول: إن فضائله ومناقبه، سلام الله عليه، أشهر وأوضح من أن يحتاج إلى بيان».

كما ترجمه الشيخ علي النمازي الشاهرودي في دركات علم رجال الحديث، ج 4 / 349 - 351: «.. وكان من فقهاء أولاد الأئمة عليهم السلام. وكان عدلاً ثقة نقيّاً تقيّاً».

ومع كل هذه المنزلة والمكانة التي يحظى بها العباس ؑ، كما تظهره كتب التراجم، لم يُروَ عن العباس رواية واحدة من الروايات التي وصلت، سواء بسلسلة الأسناد أو مرسلة. وأما الروايات المروية عنه من أحداث كربلاء، فإنها من باب الرواية عنه لا للرواية منه. وبخصوص الأحداث الكربلائية، لم يُنقل عنه إلا نزرٌ قليلٌ جدًّا، وليس من المبالغة وصف ما ورد عنه ؑ من كلمات نورانية لا يزيد عن صفحة أو صفحتين، وهو أمر يدعو إلى الغرابة.

الفصل الثاني

العباس عليهما السلام .. دراسة في ظروف النشأة

- العباس عليهما السلام مع أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام
- العباس عليهما السلام مع أخويه الحسينين عليهما السلام

العباس عليه السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام في مرحلة الطفولة

حوارية بين الإمام علي عليه السلام وولديه

ذكر الميرزا النوري في كتابه (مستدرك الوسائل)، ج ١٥ / ٢١٥ عن مخطوط كتاب (مجموعة الشهيد) لمؤلفه الشهيد الأول عليه السلام أنه: «لما كان العباس وزينب - وكذا علي عليه السلام - صغيرين، قال علي عليه السلام للعباس: (قل: واحد). فقال: (واحد). فقال: (قل: اثنان). قال: (أستحيي أن أقول باللسان الذي قلت واحد: اثنان). فقَبَّل علي عليه السلام عينيه، ثم التفت إلى زينب، وكانت على يساره والعباس عن يمينه، فقالت: (يا أبتاه، أتحبنا؟)، قال: (نعم، يا بني، أولادنا أكبادنا). فقالت: (يا أبتاه، حُبَّان لا يجتمعان في قلب المؤمن: حب الله وحب الأولاد، وإن كان لا بد لنا فالشفقة لنا، والحب لله خالصًا). فازداد علي عليه السلام بهما حُبًّا. وقيل: بل القائل الحسين عليه السلام»^(١).

(١) يروي هذا الحديث أيضًا السيد البروجردي في جامع أحاديث الشيعة، ج ٢١ / ٤١٦.

ناقل الرواية الشهيد الأول العاملي (ت ٧٨٦هـ)، وهو الفقهاء المميزين الذي يقول فيه الحر العاملي في (أمل الآمل) ١ / ١٨١: «كان عالمًا ماهرًا فقيهاً مُحَدِّثًا مدققاً ثقة متبحراً كاملاً جامعاً لفنون العقلية والنقلية زاهداً عابداً ورعاً شاعراً أديباً منشئاً، فريد دهره، عديم النظير في زمانه...».

ومع مكانته العلمية العالية، لا يمكن اعتماد روايته، وذلك لملاحظات، منها:

- من المحتمل أن الرواية نُقِلَتْ قبل الشهيد الأول بالسمع لا الكتابة. وهذا يُضْعِفُهَا، وما أكثر من يقصد الخير فيأتي برواية مبتكرة ومستنكرة لعدم ورودها، وإن كان يقصد منها تثبيت الدين في قلوب المؤمنين، كما أن من الخطباء من يقصد أن يعتصر القلب بالبكاء، فيأتي بالأحاديث التي لا أصل لها ولا أثر. وهذا يخصّ سند الرواية.

- أما ما يتعلق بمدلولها، فما ورد عن السيدة زينب ؑ في الرواية مخالف للقرآن، حيث إن الله تعالى غرس حب الأولاد والأزواج لكي تنتظم الحياة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢١]. وبياناً للآية الكريمة، يقول صاحب تفسير الميزان: «قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: المودة كأنها الحب الظاهر أثره في مقام العمل، فنسبة

المودة إلى الحب كنسبة الخضوع الظاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الذي هو نوع تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء»^(١).

إن الحب الخالص هو حب الأولاد المطيعين لله، وقد أمرنا المولى بحبهم، كما أن حب أهل البيت واجب شرعي علينا، فقد ورد في زيارة الجامعة: «ومن أحبكم، فقد أحب الله، ومن أبغضكم، فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله ..»^(٢). ولذلك فإن حب الله مذاب في حب الرسول ﷺ، وحب الرسول ﷺ مذاب في حب أهل بيته ﷺ، فهو حب واحد.

- ويضاف إلى ذلك اعتراض ثانٍ حول سؤال السيدة زينب أباهما بقولها: «يا أبتاه، أتحبنا؟»، قال: نعم يا بني، أولادنا أكبادنا»، إذ اعترضت بقولها: «حُبَّان لا يجتمعان في قلب المؤمن: حب الله وحب الأولاد»، وهذا مخالف لطاعة الإمام، فلو صحت هذه الرواية، وقال الإمام علي عليه السلام: «نعم أحبكم»، فمن المتوقع أن يكون ردّ السيدة زينب عليه السلام: «إي والله، فأنت الصادق دائماً». وينطبق الأمر على العباس عليه السلام، إذ يظهر في الرواية أنه لا يطيع من يأمره، وهو الإمام علي عليه السلام.

- الذي يفهم من الرواية أن زينب والعباس صغيران، مع أن الواقع التاريخي يرفض أن يكونا كذلك؛ لأن عمرهما إذا قايستاه

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٦ / ١٦٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٩ / ١٣٣.

متفاوت بشكل واضح، فتاريخ ولادة زينب ؑ قريب من السنة السادسة للهجرة، وتاريخ ولادة العباس ؑ سنة ٢٦ هجرية. - يظهر من الرواية تعظيم شخصية العباس، ولكنها في المقلب الآخر يظهر منها تضعيف مقام الإمام علي ؑ.

«أنت ساقى العطاشى»

روي أنَّ أمير المؤمنين ؑ كان جالسًا في المسجد وحوله الحسن والحسين والعباس ؑ، فعطش الحسين ؑ، فقام العباس وهو صبي صغير وجاء إلى أم البنين فقال لها: «أمّاه، إن أخي الحسين عطشان». فقامت فاطمة أم البنين وملأت له الركوة ووضعتها على رأسه، فجاء به إلى المسجد والماء يتصبب على كتفيه حتّى جاء به إلى الحسين ؑ، فلما رآه أمير المؤمنين ؑ صاح: «ولدي عباس، أنت ساقى عطاشى كربلاء»^(١).

تعريف بمصدر الرواية:

وردت الرواية في كتاب (ثمرات الأعواد في مصائب المعصومين ؑ وأحوالهم)، للسيد علي بن حسين الهاشمي (١٣٢٦ هـ - ١٣٩٦ هـ)، والكتاب يعدّ من كتب المجالس، صدر في طبعته الأولى بالنجف الأشرف سنة ١٣٥٥ هـ^(٢).

(١) ثمرات الأعواد ١ / ٢١٧.

(٢) راجع: معجم المطبوعات النجفية، محمد هادي الأميني، ص ١٣٤؛ والذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، ج ٥ / ١٢.

والمؤلف: من ذوي التحصيل العلمي والديني على أيدي أساتذة مبرزين، من بينهم: السيد مهدي الأعرجي، والشيخ علي ثامر، الشيخ علي كاشف الغطاء، كما تلقى مبادئ الخطابة الحسينية على جملة من خطباء المنبر الحسيني، منهم الخطيبان: السيد صالح الحلبي، والشيخ محمد حسين الفيخراني. وهو شاعر مجيد، نَظَمَ الكثير من القصائد، ذكره الشيخ علي الخاقاني في (شعراء الغري)، والسيد داخل السيد حسن في (معجم الخطباء).

من مؤلفاته: الحسين في طريقه إلى الشهادة، ثمرات الأعواد، قبور الصحابة في العراق، عقيلة بني هاشم، محمد ابن الحنفية، شرح ميمية أبي فراس، واقعة الجمل، كميل بن زياد النخعي، موسى الكاظم عليه السلام، الهاشميات، قسم منه من الشعر الدارج، المطالب المهمة في تأريخ النبي والزهراء والأئمة، سعيد بن جبير^(١).

وإذا رجعنا إلى الرواية الواردة أعلاه، فإنها تعدّ من المرويات الحديثة، وأوّل ورودها في كتب المقاتل والمجالس. ولعلّ السيد علي الهاشمي أول من ذكرها في كتابه ثمرات الأعواد، وهو شبيه بكتب: (أسرار الشهادة) و(المنتخب) و(تظلم الزهراء) وغيرها من المصادر غير المعتمدة.

كما أن فيها ضعفًا في المتن، فكيف يعرف العباس، وهو لا يزال

(١) لمزيد من الاستزادة، راجع: مقدمة كتاب (ثمرات الاعواد) لهادي الهلالي.

صغيراً، أن أخاه الإمام الحسين ؑ عطشان. وبما أنه لا يزال طفلاً، يفترض بأخيه الحسين متى ما أحس بالعطش أن يأتي لنفسه بالماء، لا أن يقول - وعمره يقرب من أربعين سنة - : «أنا عطشان»، فهذه نقيصة واضحة في الإمام الحسين ؑ.

كما ترد ملاحظات أخرى على كتاب (ثمرات الأعواد) بخصوص مصرع العباس ؑ، نشير إلى بعض منها:

(١) ما أورده في توديع العباس ؑ يودع لأم كلثوم، إذ يقول: «... أقبل (العباس) إلى الخيمة ومعه الحسين ليودع عياله ويأخذ القرية ليملاها لهم من الفرات، وقد كانت زينب قالت لأختها أم كلثوم: أختي، في هذا اليوم كل فرد من إخواننا إذا أراد البراز يأتينا إلى المخيم ويودعنا، والآن لم يبق من إخواننا إلا الحسين والعباس، فإذا جاء إلينا نقسم عليهما بالجلوس، فإذا جلسا، خذي أنت بطرف رداء العباس، وأنا آخذ بطرف رداء الحسين، ولا ندعهما يخرجان من الخيمة.

فلما رأتهما الحوراء زينب، أقسمت عليهما بالجلوس، فجلسا، فقامت زينب وجلست إلى جنب أخيها الحسين ؑ، وكذلك أم كلثوم جلست وبيدها رداء العباس، وهنّ يبكين، فبينما هم في هذا ونحوه وإذا بالمنادي ينادي: يا حسين، يا أبا الفضل، جبتما عن الحرب وجلستما بإزاء النساء!

فنبض العرق الهاشمي بين عيني العباس، فاجتذب رداءه من

أخته أم كلثوم وقام، فتعلقت به أم كلثوم، فنادها الحسين: أختي، دعيه يمضي؛ فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

فصاحت زينب: أمري وأمركما إلى الله. فقام العباس عليه السلام وركب جواده^(١).

هذه الرواية التي انفرد بها صاحب ثمرات الأعواد، لا وجود لها ولا أثر في مصادر الرواية والتاريخ السابقة عليه، كما أن قول المؤلف: «.. فنبض العرق الهاشمي بين عيني العباس، فاجتذب رداءه من أخته أم كلثوم وقام، فتعلقت به أم كلثوم ..» لا يتناسب وسلوك أهل البيت التي تسمو عن العصبيات القبلية أو العشائرية.

(٢) ما أورده عن السهم الذي أصاب قربة العباس عليه السلام، إذ ورد في الكتاب: «.. وبينما هو يقاتل إذ جاء سهم إلى القربة فأصابها، وأريق ماؤها، فدمعت عيناه، ووقف متحيراً، فبينما هو كذلك إذ أتاه سهم فوق في عينه اليمنى، وضربه الحكيم بن الطفيل السنيسي على يمينه .. فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فقطعها، فضم اللواء إلى صدره ببقية يده .. فحمل عليه رجل تميمي من أبناء أبان بن دارم، وبيده عمود من حديد، فضربه على أم رأسه، فخرّ صريعاً إلى الأرض ونادى بأعلى صوته: أدركني يا أخي»^(٢).

(١) ثمرات الأعواد، ج ١ / ١٦٩.

(٢) ثمرات الأعواد، ج ١ / ١٧١.

وهذه توسعة من الواقع إلى الخيال لإبكاء الناس أو استجلاب الدمعة، وبالخصوص في قوله: «سهم أصاب القربة، فدمعت عيناه، ووقف متحيرًا، فضم اللواء إلى صدره ببقية يده ..».

٣) ما يرويه عن وضع العباس لرأسه في حجر الإمام الحسين ؑ، إذ ورد فيه: «.. ونادى [العباس] بأعلى صوته: أدركني يا أخي، فانقض عليه الحسين ؑ كالصقر، فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، السهم نابت في العين، المخ سائل على الكتفين، نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوّي.

ويقال: إنه ؑ أخذ رأسه ووضعها في حجره، وكان العباس مغمّي عليه، ولما أفاق ظنّ أنّ رجلاً من الأعداء يريد حزّ رأسه، فقال العباس ؑ: بالله عليك أمهلني حتّى يأتي إليّ ابن والدي. فقال له الحسين ؑ: أخي، أنا أخوك»^(١).

وما يورده هنا أيضًا توسعة من الواقع إلى الخيال، وبالخصوص تعبيراته التالية: «مرضوض الجبين، السهم نابت في العين، المخ سائل على الكتفين .. الآن شمت بي عدوّي .. أخذ رأسه ووضعها في حجره، وكان العباس مغمّي عليه».

(١) ثمرات الأعواد، ١٧١ - ١٧٢.

العباس عليه السلام مع أبيه في معاركه

وجود العباس عليه السلام في معركة صفين

روي أنه في أحد أيام معركة صفين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شاب على وجهه نقاب، تعلوه الهيبة، وتظهر عليه الشجاعة، يقدر عمره بسبع عشر سنة، يطلب المبارزة، فهابه الناس، وندب معاوية إليه أبا الشعثاء، فقال: إن أهل الشام يعدونني بألف فارس، ولكن أرسل إليه أحد أولادي، وكانوا سبعة، وكلما خرج أحد منهم قتله حتى أتى عليهم، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه، ولمّا برز إليه ألحقه بهم، فهابه الجمع ولم يجرؤ أحد على مبارزته، وتعجب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من هذه البسالة التي لا تعدو الهاشميين، ولم يعرفوه لمكان نقابه. ولما رجع إلى مقرّه، دعاه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأزال النقاب عنه، فإذا هو قمر بني هاشم ولده العباس عليه السلام^(١).

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية: «وليس ببعيد صحة الخبر؛ لأن عمره يقدر بسبعة عشر سنة».

ويؤيده صاحب معالي السبطين الذي يروي عن «الطريحي أن العباس كان مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في الحروب والغزوات ويحارب شجعان العرب، ويجادلهم كالأسد الضاري حتى يجادلهم صرعى، وفي يوم صفين كان العباس عوناً وعضداً لأخيه الحسين عليه السلام

(١) الكبريت الأحمر، ج ٣ / ٢٤.

عندما فتح الفرات وأخذ الماء من أصحاب معاوية، وهزم أبا الأعور عن الماء»^(١).

وورد في موضع آخر من معالي السبطين أن «الفاضل المتبحر العالم الحاج الشيخ محمد باقر البرجندي القائني في كتابه المسمى بالكبريت الأحمر قال: إن العباس ؑ كان في صفين يقاتل أهل الشام، مع أبيه أمير المؤمنين ؑ، وقد روي بعض من أثق به:

بأن يومًا من أيام صفين خرج شاب من عسكر أمير المؤمنين ؑ وعليه لثام وقد ظهر منه آثار الشجاعة والهيبة والسطوة بحيث إن أهل الشام قد تقاعدوا عن حربه وجلسوا ينظرون إليه وغلب عليهم الخوف والخشية، فما برز إليه أحد، فدعا معاوية برجل من أصحابه يقال له: ابن الشعثاء، وكان يعد بعشرة آلاف فارس. فقال له معاوية: اخرج إلى هذا الشاب، فبارزه. فقال ابن الشعثاء: يا أمير، إن الناس يعدونني بعشرة آلاف فارس، فكيف تأمرني بمبارزة هذا الفتى؟، فقال معاوية: فما تصنع؟، فقال: يا أمير، إن لي سبعة بنين أبعث إليه واحدًا منهم ليقتله. فقال له: افعل.

فبعث إليه بأحد الأولاد، فقتله الشاب، ثم بعث إليه بآخر فقتله الشاب، حتى بعث جميع أولاده فقتلهم الشاب. فعند ذلك، خرج ابن الشعثاء وهو يقول: أيها الشاب، قتلت جميع أولادي؟، والله لأنك كنَّ

(١) معالي السبطين، ص ٤٣٧.

أباك وأمك ثم حمل على الشاب وحمل الشاب عليه، فدارت بينهما ضربات، فضربه الشاب ضربة قده نصفين فألحقه بأولاده، فعجب الحاضرون من شجاعته. عند ذلك صاح أمير المؤمنين عليه السلام، ودعاه وقال: ارجع يا بُنَيَّ، لئلا تصيبك عيون الأعداء، فرجع، وتقدم أمير المؤمنين عليه السلام وأرخى اللثام عنه وقبله بين عينيه، فنظروا إليه فإذا هو قمر بني هاشم العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

ويشكك الأردوبادي فيما يروى عن العباس عليه السلام في معركة صفين، التي هي من وقائع سنة 36هـ وامتدت في آخرياتها إلى 37هـ، وهو ما يعني أن العباس ابن «تسع سنين لا رجلاً كاملاً، كما ذكره الخوارزمي في المناقب؛ لمخالفة ذلك النصوص السابقة في عمره يوم الطف، ... فما يعزى إليه أيام تلك الغزوة مما لا يكاد يصح»^(٢).

ويرجح السيد الجلالي أن بعض أصحاب المصادر الحديثة خلطوا بين العباس الأكبر ابن أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن ربيعة الذي شارك مع أمير المؤمنين في معاركه^(٣).

بعض الملاحظات حول المشاركة في معركة صفين:

يرد على هذه الرواية مجموعة من الملاحظات، منها:

(١) معالي السبطين، ص ٤٣٧.

(٢) فصول في حياة أبي الفضل عليه السلام، ص ٤٣.

(٣) انظر: العباس بن أبي طالب عليه السلام، السيد محمد رضا الجلالي، ص ١٥٤.

الأولى: هذه الروايات حديثة العهد، إذ إنها لم ترد في المصادر الحديثية أو التاريخية القديمة، ويضاف إلى ذلك أنها معارضة بقول بعض العلماء، منهم: الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ) في (إبصار العين في أنصار الحسين)، ص ٥٧؛ والسيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) في (أعيان الشيعة)، ج ٧ / ٤٢٩، إذ يشيران إلى أن العباس ؑ حضر بعض الحروب، ولكن والده أمير المؤمنين لم يأذن له في النزال.

وتأييداً لقولهما، يذكر الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه (العباس بن علي) ص ٨٥ أن «أبا الفضل العباس ؑ لم يشترك في حرب النهروان ولا في حرب صفين، فقد منعه الإمام كما منع بعض أبنائه، وأعلام أصحابه من الدخول في الحرب ضناً بهم على الموت، ومما يدل على ذلك أن الذين كتبوا عن واقعة صفين والنهروان لم يذكروا أي دور لسيّدنا العباس فيهما».

الثانية: الرواية التي وردت في كتاب (الكبريت الأحمر في شرائط أهل المنبر) للشيخ محمد باقر بن المولى حسن القائيني البيرجندي (١٢٧٦ - ١٣٥٢هـ)، وهو كتاب فارسي، يتناول آداب المنبر، والتدريب على أداء الخطابة الحسينية والوعظ والإرشاد الديني.

وفي الكتاب نقد لما يُداول في المجالس الحسينية من سرد لقصص وأحداث قد تكون مختلفة، وقد تأثر المؤلف بأستاذه الشيخ حسين النوري الطبرسي (١٢٥٤ - ١٣٢٠هـ) في كتابه الفارسي (اللؤلؤ

والمرجان) الذي خصّصه لنقد واقع المنبر الحسيني.

وتقييماً للكتاب، يقول الشيخ محمد الريشهري في (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام) ج ١ / ص ١٠٣: «لا يمكن اعتماد كتاب مثل الكبريت الأحمر معتبراً أو غير معتبر، رغم كون مؤلفه عالماً، وهو الذي جمع كتابه بعد تتبع كثير؛ ذلك لأن بعض مصادره معتبر وبعضها ضعيف، ورغم أن المؤلف عمد أحياناً إلى نقد بعض الروايات، إلا أن النقل من الكتب الضعيفة دون نقد للمواضيع ليس بقليل هو الآخر».

فظاهر الحال أن هذه الرواية لم ينقحها البيرجندي، ولو نقحها وبحث عن مصدرها لكان على يقين أن الرواية هزيلة لحدثاتها، والكثير من الروايات لم نر لها مصدراً قديماً، ولو وجدنا مصدراً قديماً، لجعلنا الرواية في خانة الروايات المعتبرة أو في خانة الروايات الضعيفة، أما لو كانت الرواية في الكتب الحديثة فنجعلها في خانة المهملات.

الثالثة: عند مراجعة تاريخ معركة صفين، يتضح أن بداؤها في أول صفر سنة ٣٧هـ، وهو ما يعني أن سن أبي الفضل العباس عليه السلام حينها ١١ سنة تقريباً، ومن الصعب أن ينطبق مضمون الرواية مع طفل لا يزال في الحادية عشرة من العمر.

كما أنه لا يوجد دليل على مشاركة العباس في معركة صفين أو المعارك الأخرى مع أبيه لعدم ورود ذلك في الكتب القديمة، أي قبل القرن العاشر. نعم، يوجد دليل على حضوره في معركة صفين بلا

محاربة، حسب الخوارزمي في المناقب، كما سيأتي.

لبس علي ؑ ثياب ولده العباس

ورد في (المناقب) للخوارزمي، ص ٢٢٧: «خرج من عسكر معاوية رجل يقال له: كريب، كان شجاعاً قوياً، يأخذ الدرهم فيغمزه بإبهامه فتذهب كتابته، فنادى: ليخرج إليّ علي. فبرز إليه (مرتفع بن وضاح الزبيدي) فقتله، ثم برز إليه شرحبيل بن بكر فقتله، ثم برز إليه (الحرث بن الحلاج الشيباني) فقتله، فساء أمير المؤمنين ؑ ذلك، فدعا ولده العباس ؑ، وكان تاملاً كاملاً من الرجال، وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه، فلبس علي ؑ ثياب ولده العباس وركب فرسه، وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه، لئلاً يجبن كريب عن مبارزته إذا عرفه، فلمّا برز إليه أمير المؤمنين ؑ ذكره الآخرة، وحذّره بأس الله وسخطه. فقال كريب: لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك، ثم حمل على أمير المؤمنين ؑ، فاتقاه بالدركة، وضربه علي على رأسه فشقه نصفين».

الخوارزمي وكتابه المناقب:

هذه الرواية من الروايات القديمة، من كتاب (المناقب) للخوارزمي، ولا بد من معرفة نبذة مختصرة عن مؤلف الكتاب:

أبو مؤيد الموفق بن أحمد بن أبي سعيد الخوارزمي المكي (ت ٥٦٨هـ تقريباً) المعروف بأخطب خوارزم، وهو من العلماء الأحناف المعتزلة. كان خطيباً بليغاً، ومحدثاً شهيراً، وفقياً خبيراً، وكان له باع

في العلوم المختلفة، بما في ذلك السيرة والتاريخ والأدب، وله تأليفات كثيرة، وقد دفعه حبه لأهل البيت عليه السلام لأن يكتب عدة كتب من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام^(١).

وقد ذكر المؤرخون أن له عدة كتب، منها: ديوان شعر، كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب رد الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، الأربعين في مناقب النبي الأمين ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، الكفاية في نحو علم الإعراب، مناقب أبي حنيفة^(٢).

وقد صدر كتابه (مقتل الحسين عليه السلام) محققاً في مجلد واحد، وصدر ثانياً في جزأين. ويعد كتاباً تاريخياً وروائياً، حيث ذكر في معظم أخباره السلسلة السندية، وقد أخذ أكثر مطالبه - كما صرح بذلك الخوارزمي في عدة مواضع - من كتاب الفتوح لابن أعمش الكوفي، وهذا واضح عندما نقرأ الأراجيز والأشعار في مقتل كربلاء. ولكن الكتاب تفرّد بذكر بعض الأحداث، منها: أن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام من الشهداء في كربلاء، ونقل له رجلاً أيضاً^(٣)، ثم تبع الخوارزمي ابن شهر آشوب^(٤). وروايته عن حضور عمر تناقض ما

(١) أهل البيت عليه السلام في المكتبة العربية، السيد عبد العزيز الطباطبائي، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) مقتل الإمام الحسين، الخوارزمي، ج ٢ / ٢٨.

(٤) المناقب ج ٤ / ١٠٧.

تورده المصادر التاريخية من عدم ذهابه إلى كربلاء، إذ تشير تلك المصادر إلى أنه نَصَحَ أخاه الإمام الحسين ؑ في الذهاب إلى الكوفة، وكانت وفاته ٧٥ أو ٧٧ هـ، وسنذكره آتياً في إرث العباس ؑ.

وعند المقارنة بين أخبار ابن أعثم وبين الروايات التي أوردتها الخوارزمي، نجد بعض الإضافات والاختلافات والاختصارات.

وما يمكن ملاحظته على هذا الكتاب:

- كثرة الأشعار المرافقة للوقائع في حادثة كربلاء، وهذا ما يجعل تفكير الناس بكربلاء خيالياً لا واقعياً.
- وجود روايات من الصعب قبولها، مثل: «.. إن رسول الله ﷺ قال: .. إن يوم عاشوراء سبعون عيداً...»^(١).
- يورد الخوارزمي فيه بأن القاسم بن الحسن ؑ قتل ٣٥ شخصاً، رغم أنه لم يبلغ الحلم. وهذا فيه مبالغة، ويتعارض مع رواية الشيخ الصدوق، الذي يشير إلى أنه قتل ٣ أشخاص، وفي بقية المصادر، مثل: الإرشاد للشيخ المفيد، ج ١ / ١٠٧، وإعلام الوري للطبرسي، ص ٢٤٨، واللهوف للسيد ابن طاووس، ص ١٦٧، أن القاسم لم يقتل أحداً في المعركة.

وبصرف النظر عن مصدر الرواية (كتاب الخوارزمي)، لا تخلو الرواية من تأملات من المهم الإشارة إليها، منها:

(١) حسب التتبع في هذا الكتاب وغيره من الكتب القديمة يتضح أن حضور أبي الفضل العباس عليه السلام في حروب أبيه عليه السلام لم يثبت إلا في صفين، ولا دلالة على مقاتلة الأعداء، وهذا ما يفهم من قولهم: «حضر بعض الحروب، فلم يأذن له أبوه في النزال». ولا يبعد أن عدم مشاركته في القتال يعود لحداثة سنّه، وكونه لا يزال صبيّاً في حينها ولا علاقة لكونه ابناً للإمام علي عليه السلام؛ وإلا فإنّ الإمامين الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية عليه السلام شاركوا في معارك والدهم عليه السلام.

(٢) ورد في الرواية أنّ الإمام عليّاً «لبس ثياب ولده العباس وركب فرسه، وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه، لئلاّ يجبن كريب عن مبارزته إذا عرفه ..». وقد يكون تصوّر ذلك غير واقعي؛ لأنّ معركة صفين بدأت - حسب المصادر التاريخية - في أول صفر سنة ٣٧هـ، وسنّ أبي الفضل العباس عليه السلام حينها ١١ سنة تقريباً، وهو ما يُبعد صحة الرواية ولو جزئياً، ورفض هذه الجزئية لا يعني رفض الجزئية الخاصّة بمقاتلة الإمام علي لكريب.

(٣) ومن المحتمل أن العباس الوارد في الرواية هو العباس بن الحارث بن عبد المطلب، وليس العباس ابن الإمام علي، والمعصّد لهذا الاحتمال هو ما أورده الخوارزمي في المناقب، ص ٢٣١، حيث ذكر أنّ «العباس بن الحارث بن عبد المطلب عندما برز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله العباس، فبرز إليه أخوه حمزة وكان شجاعاً قوياً، فنهاه أمير المؤمنين عن مبارزته،

وقال له: انزع ثيابك وناولني سلاحك، وقف مكانك، وأنا أخرج إليه. فتَنَكَّرَ أمير المؤمنين وبرز إليه وضربه على رأسه فقطع نصف رأسه ووجهه وإبطه وكتفه، فتعجب اليمانيون من هذه الضربة، وهابوا العباس بن الحارث».

العباس يقاتل بجانب إخوته

روي أنَّ معاوية لمَّا نزل بجيشه على الفرات إبَّان معركة صفين وجعلها في حيِّزه، بعث عليها أبا الأعور السُّلمي يحميها ويمنعها. وفي هذه المعركة، أرسل أمير المؤمنين ؑ صعصعة بن صوحان إلى معاوية، يسأله أن يخلِّي بين الناس والماء، فرجع صعصعة فأخبره ؑ بما كان من إصرار جيش الشام على منعهم الماء، فلمَّا سمع عليُّ ؑ ذلك قال: قاتلوهم على الماء. فأرسل كتائب من عسكره، فتقاتلوا، واشتدَّ القتال، واستبسل أصحاب الإمام ؑ وفيهم الإمامان الحسن والحسين وأخوهما العباس، أشدَّ شجاعة، حتى خلَّوا بينهم وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب عليٍّ ؑ.

والملاحظ على هذه الرواية أنها كسابقتها، إذ لا مصدر ولا أثر لها في المصادر الروائية والتاريخية القديمة. وإنما يرويها الشيخ المازندراني في كتاب (معالي السبطين). ولأنه من الكتب المشهورة عند الخطباء، فلا بد من وقفة معه:

نبذة عن (معالي السبطين)

اسم الكتاب: (معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين ؑ)

للشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني (١٣٠٠ - ١٣٨٥هـ). وللمؤلف كتابان آخران، هما: (الكوكب الدرّي) و(شجرة طوبى). وقد عُرف بكتابه المعالي الذي يعدّ من أبرز ما يرجع إليه الخطباء في رواية المقتل.

وفي مجال تقييم الكتاب، يقول الري شهري في كتابه (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام)، ج ١ / ١٠٢: «لم يتجنب في هذا المجال نقل المواضيع الضعيفة والاستناد إلى الكتب والمصادر غير الصالحة للاعتماد؛ مثل روضة الشهداء، وأسرار الشهادة، ومنتخب الطريحي وغيرها».

ويؤيده الشيخ محمد سررودي فيما ذكره في كتابه (جدل ومواقف، ص ١٤٨)، إذ يقول: «قد كان لمعالي السبطين نصيبٌ من المختلقات التي ضجّت بها الكتب السابقة، بل إنها نمت وتكاثرت في هذا الكتاب، ولم يقتصر المؤلّف على بث الموضوعات وإنما زاد عليها عشرات الروايات المختلقة الجديدة؛ مما كرّس طائفةً من التحريفات لم تعهدها الكتب التي سبقت معالي السبطين».

ويقول أيضًا: «والغريب في الأمر أن المؤلّف وجد نفسه مستغنياً عن مصادر منقولاته، ولم يكن يرى أنه بحاجة لها، سوى بعض التنويهات اليسيرة، فقد نقل العديد من الصفحات مكتفياً بقوله: «في الخبر» أو «قالوا» أو «وفي بعض الكتب»، .. فقد اعتمد - بشكل رئيس - على أسرار الشهادة للدربندي ومنتخب الطريحي وبحار الأنوار».

أمثلة لبعض الأحداث التي اختص بها كتاب (معالي السبطين):

- أشرف الإمام الحسين ؑ على الموت (احتضر) ثلاث مرات عندما رأى توجه علي الأكبر إلى ساحة المعركة.
- خروج ليلي من الخيمة حاسرة الرأس بعد شهادة علي الأكبر.
- مقاتلة كل من الحسن والحسين والعباس ؑ في صفين بشراسة.
- من الملاحظات الخاصة بالعباس ؑ في (معالي السبطين)^(١)

مما يؤخذ على كتاب معالي السبطين:

- تفرّده بذكر حضور العباس ؑ «مع أبيه أمير المؤمنين ؑ في الحروب والغزوات وهي معركة النهروان والجمل وصفين، ويحارب شجعان العرب ويجادلهم كالأسد الصاري حتى يجدلهم سريعاً»^(٢). وقد سبقت الإشارة إلى أن ذلك يتعارض مع المصادر التاريخية القديمة، وكذلك مستبعد عند الالتفات إلى عدم ملائمة ما يروى من أحداث تنسب إليه مع عمره في حينها.
- وكذلك روايته لمحاربة العباس ابن الشعثاء وأولاده السبعة في معركة صفين^(٣).
- وذكره بأن الإمام الحسين ؑ لم يجز أخاه العباس ؑ في يوم

(١) راجع (معالي السبطين)، المجلس ١٩، ص ٤٣٦.

(٢) معالي السبطين، ص ٤٣٧.

(٣) معالي السبطين، ص ٤٣٨.

عاشوراء للقتال، بل أرسله ليأتي بالماء، وقيد يديه ورجليه بإتيان الماء وحمل القربة^(١)، مع أنه من البدهاة أن يأذن الحسين عليه السلام لأخيه بالقتال، وهذا ما تثبته الروايات ومصادر حادثة كربلاء التاريخية. وعلى فرض صحة الرواية، فمن الواضح أن التعبير بـ: «تقييد يديه ورجليه» تعبير مجازي، وإن كان هذا معارض بما ورد في المصادر التاريخية القديمة بأنه أذن له.

- ويضاف إلى ذلك ما يرويه صاحب المعالي بأن العباس عليه السلام غاص في أوساطهم وقتل منهم ثمانين فارساً، وقيل ثمانمئة فارس، وقيل أكثر من ذلك^(٢)، والمتأمل يجد فيها مبالغات موضوعة في وصف الشجاعة والإقدام للعباس عليه السلام، لم يكن صاحب الأمالي بحاجة إلى ذكرها في كتابه.
- كما أن صاحب المعالي يشير إلى أن العباس حارب الأعداء ست مرات لتحصيل الماء^(٣)، ولا دليل روائياً على ذلك؛ لعدم ورود هذه الإشارة في المصادر القديمة.
- ويذكر المؤلف أن الحسين عليه السلام رثى أخاه العباس عليه السلام بهذه الأبيات^(٤):

أحق الناس أن يبكي فتى أبكى الحسين بكربلاء

(١) معالي السبطين، ص ٤٣٨.

(٢) انظر: معالي السبطين، ص ٤٣٨.

(٣) معالي السبطين، ص ٤٣٩.

(٤) معالي السبطين، ص ٤٤٨.

.....

.....

مع أن هذه الأبيات للفضل بن محمد بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام^(١).

يقول العباس وهو صريع: «.. فإذا رأي أصحابك وأنا مقتول، فلربما يقل عزمهم ..»، ويعلق صاحب المعالي بقوله: «وهذا يؤيد ما قاله أبو مخنف أن العباس أول مقتول بيوم الطف قبل الأصحاب .. قتل في يوم التاسع»^(٢)، وهو رأي لا يُعتنى به؛ لمخالفته الروايات المتواترة بين المؤرخين ومصادر السيرة القديمة.

حديث الإمام علي عليه السلام لأولاده

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام اختلى بأولاده الحسنين وزينب وأمّ كلثوم ومسح بيده المباركة على رؤوسهم ووجوههم، وهو يبكي بشدة وهم يبكون أيضاً، بحيث دخل سائر أولاده عليه السلام البيت دون إرادة منهم بعد أن كانوا خارجة. فأخذ أمير المؤمنين بيد الإمام الحسن عليه السلام وأوكل أولاده إليه. ثم نظر إلى العباس، فرأى أن بكاءه أشدّ من الآخرين، فدعاه إليه وصاح صياحاً عالياً وبكى بكاءً طويلاً، ثم قال: يا ولدي ومهجتي، عليك بالحسين؛ فإنه أمانة الله وأمانة رسوله وأمانة فاطمة وأمانتي عندك، كنّ عضداً وترساً له، وإفد نفسك له. ثم صاح

(١) انظر: شرح الأخبار، القاضي النعماني المغربي، ج ٣ / ١٩٣.

(٢) معالي السبطين، ص ٤٤٩.

وغشي عليه من كثرة البكاء والصراخ^(١).

وهذه الرواية كسابقاتها، حيث لا وجود لها في المصادر القديمة. مضافاً إلى أن أسلوب الرواية وما تحويه مخالف لمقام الأمير المؤمنين عليه السلام الذي عُرِفَ عنه الصَّبْرُ والتَحَمُّلُ، وإذا به في هذه الرواية يبكي بكاء الضعيف اليائس، كما يفهم من العبارتين التاليتين: «صاح صياحاً عالياً وبكى بكاءً طويلاً»، «ثم صاح وغشي عليه من كثرة البكاء والصراخ».

ولو صحت الرواية، فإن مضمونها لا يناسب هذه المصيبة والفاجعة عند أحد المؤمنين، وهو القائد والمعروف برباطة جأشه فلا شك في تحمله وصبره بل إنه يرقى إلى ما يعلو مستوى الصبر، إلى مرحلة التسليم والرضا. بل إنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وردت الروايات الكثيرة في الصبر والتسليم، منها:

- عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين، صلوات الله عليه: «الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ...»^(٢).
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ

(١) انظر: كتاب (الشعشة الحسينية) أو (شعشة الحسيني)، للشيخ محمد جواد اليزدي المشهدي (ت ١٢٣٢هـ)؛ والذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرك الطهراني، ج ١٤ / ١٩٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢ / ٤٦.

لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: ما أنتم؟، فقالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله، قال: فما حقيقة إيمانكم؟، قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله، فقال رسول الله ﷺ: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله إليه ترجعون^(١).

- روى الشريف الرضي مرفوعاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في وصف أصحاب رسول الله: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا وأبنائنا وإخواننا وأعمامنا وما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيئاً على اللقم^(٢) وصبراً على مضض الألم وجداً في جهاد العدو»^(٣).

- كما روى الشريف الرضي أيضاً مرفوعاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... فلقد كنا مع رسول الله ﷺ وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ومضيئاً على الحق وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح»^(٤).

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢ / ٥٢.

(٢) اللقم: معظم الطريق أو جاذته.

(٣) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، ص ٩١، الخطبة ٥٦.

(٤) نهج البلاغة، ج ١ / ٢٣٦.

- وروي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «الإيمان في عشرة: المعرفة والطاعة والعلم والعمل والورع والاجتهاد والصبر واليقين والرضا والتسليم فأياها فقد صاحبه بطل نظامه»^(١).

كلام علي عليه السلام في فضل العباس عليه السلام

يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: «إن العباس زُقَّ العلم زَقًّا».

ويروي هذا الحديث الدربرندي (ت ١٢٨٥هـ) في (أسرار الشهادة)، ص ٣٢٤ قال: «جاء المأثور عن المعصومين عليه السلام إن العباس زُقَّ العلم زَقًّا».

ثم ينقلها السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه (العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام) ص ١٥٩، وكتابه الآخر (قمر بني هاشم)، نقلاً عن أسرار الشهادة، وينقلها أيضاً الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه (العباس عليه السلام)، ص ٤١.

ومما يؤسف عليه أن السيد عبد الرزاق المقرم يتفاعل مع هذه الرواية كغيرها، وكأنها قطعة السند، فيقول معلقاً عليها: «وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة، فإن الزقَّ يُستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يَقَوَّ على الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام عليه السلام، وهو العارف بأساليب الكلام هذه اللفظة، هنا نعرف أن أبا الفضل عليه السلام كان محل القابلية لتلقي العلوم والمعارف منذ كان طفلاً رضيعاً، كما هو كذلك

(١) مستدرک سفینه البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٧ / ٢٣٣.

بلا ريب»^(١).

وينقلها عن (ثمرات الأعواد) الهاشمي النجفي (ت ١٣٩٦هـ) -
باختلاف طفيف -: «قال أهل السير يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه
قال: إن ولدي العباس زق العلم زقاً».

وأثناء تتبّع ورود هذا الحديث في كتب روايات أهل البيت عليه السلام،
لم نجد له مصدرًا موثوقًا، سوى كتاب (أسرار الشهادة)، وقد مر ذكر
بعض الملاحظات عليه، فلا نعيد.

وظني أن الذي أورد هذه الرواية قرأ الرواية الآتية فاشتبه بها،
وهي: «كان يقال لعبد الله بن العباس حبر هذه الأمة؛ لِسَعَةِ علمه، وقد
كان في صغره لزم عليًا، وكان يزقه العلم زقاً»^(٢).

وإفادة من هذه الرواية وأمثالها، لا بدّ من الوقوف أمام كل رواية،
وإثبات سندها أولاً، ثمّ البحث في دلالتها، وأن يكون الدليل هو
المرشد في استقاء الأفكار والتوجّهات الدينية، لا أن يكون الرأي
والاتجاه الفكري هو الموجه في انتقاء الرواية والأخبار.

كما أنّه يمكن الاستفادة من فحص الروايات قبل البحث في دلالتها
فيتمّ تصنيفها إلى روايات متواترة ومعتبرة، ومقبولة وضعيفة،
ومجهولة، وغيرها من التصنيفات، وبعد ذلك تتمّ دراستها من حيث

(١) العباس، السيد المقرم، ص ١٥٩.

(٢) أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول، ص ٢٨.

الدلالة والمضمون. فهذا المنهج أحسن وأضبط وأعظم بركة وفائدة وأقرب إلى القيم الهادية التي أودعها الله تعالى في دينه القويم.

كلام علي عليه السلام للعباس أثناء الاحتضار

لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان وأشرف علي عليه السلام على الموت، أخذ العباس وضمه إلى صدره الشريف وقال: «ولدي سَتَقَرُّ عيني بك يوم القيامة. ولدي، إذا كان يوم عاشوراء ودخلت المشرعة، إياك أن تشرب الماء وأخوك الحسين عطشان».

نقل هذه الرواية (معالي السبطين) ج ١ / ٤٥٤، وقد سبق الحديث حول مصداقيته فيما يروي من روايات.

وأقرب الظن أن مقطع الرواية: «إياك أن تشرب الماء وأخوك الحسين عطشان» تشير إلى ارتكاز شائع بين المؤمنين وهو: رمي العباس الماء من يده وهو في الفرات والجيش من حوله. وسيأتي الكلام حول هذه الفكرة.

وفاة الإمام علي عليه السلام ومراهقة العباس عليه السلام

ورد في الخبر عن أسباط بن محمد عن مطرف عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم أنه قال: «دخلت على الحسن بن علي، وهو في دار عمرو بن حريث، فقلت له: إن ناساً يزعمون أن علياً يرجع قبل يوم القيامة، فضحك، وقال: سبحان الله، لو علمنا ذلك، ما زوجنا نساء ولا ساهمنا ميراثه.

قالوا: وكان عبد الرحمن بن ملجم في السجن، فلما مات علي، رضوان الله عليه ورحمته وبركاته، ودفن، بعث الحسن بن علي إلى عبد الرحمن بن ملجم، فأخرجه من السجن ليقتله، فاجتمع الناس وجاءوه بالنفط^(١) والبوراري^(٢) والنار، فقالوا: نحرقه. فقال عبد الله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد بن الحنفية: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه.

فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع، ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسمار مَحْمِي فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك بمَلْمُولٍ^(٣) مُضٍّ^(٤)، وجعل يقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ حتى أتى على آخر السورة كلها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه^(٥) ليقطعه، فجزع، ف قيل له: قطعنا يديك ورجليك وسَمَلْنَا عَيْنَيْكَ^(٦) - يا عدو الله - فلم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت، فقال: ما ذاك مني من جزع إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فَوَاقًا^(٧) لا أذكر الله، فقطعوا لسانه ثم جعلوه في

(١) النفط: ما يحرق به من الزيت، وهو ما يعرف اليوم بالكاز.

(٢) البوراري: جمع البارية، وهي: الحصير، والمراد منها في الرواية ما يربط بها الإنسان عندما لا يكون قادرًا على الحركة.

(٣) المَلْمُولُ: المَكْحَال الذي يكحل به.

(٤) المُضُّ: الحار المحرق.

(٥) عولج عن لسانه: يعنى حاول أن يخرج لسانه.

(٦) سَمَلْ عينه: فقأها.

(٧) فَوَاقٍ: بمعنى لحظة.

قوصرة^(١) وأحرقوه بالنار.

والعباس بن علي يومئذ صغير فلم يستأذن به بلوغه^(٢).

مناقشة الخبر:

- يرد على هذا الخبر بعض الملاحظات، من المهم ذكرها:
- العبارة: «سبحان الله، لو علمنا ذلك، ما زوجنا نساءه ولا ساهمنا ميراثه»: رد على من يعتقد بالرجعة، وهم الشيعة! ويبدو أن فكرة الرجعة لم تتبلور في ذلك الوقت.
 - العبارة: «والعباس بن علي يومئذ صغير، فلم يستأذن به بلوغه»: تعني أن العباس عليه السلام لم يفعل ذلك بعقله وإنما بعاطفته الفوارة لصغره. نعم، ورد في (تاريخ مدينة دمشق) و(أسد الغابة) بلفظ آخر، وهو: «.. فلم يستأذن» بمعنى: أنه لم يتأنّ وكان متعجلاً. وهذه الحادثة خلاف لمنهج أهل البيت عليه في التعامل مع المخالفين، كما أن التمثيل بالميت والتشفي به محرّم شرعاً، ومن غير المتصور قيام أئمة أهل البيت عليه بهذه الأفعال المشينة.

(١) القوصرة: تأتي بكلمتين هما: (القَوْصَرَة) بالتشديد و(القَوْصَرَة) بالتخفيف، وهي: وعاء للتمر من قصب وتسمى: خَصْفَة، وفي الرواية تعني: أنه بعد قتله وضع في خصفة (وعاء التمر)، ثم أحرق جسده ووعاؤه.

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، ج ٣ / ٣٩؛ والأخبار الطوال، الدينوري، ص ٢١٥؛ وأنساب الأشراف، البلاذري، ص ٥٠٥؛ وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، ٤٢ / ٥٦٠؛ وأسد الغابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، ٤ / ٣٧. على اختلاف بينها فليراجع.

- وهذه الحادثة تظهر العباس وكأنه يقوم بأفعاله دون وعي، أو باندفاع عاطفي فلا يتنبه للمحظورات الشرعية. وفي المقابل، تظهر ابن ملجم بأنه في درجة عالية من الالتزام الديني وأنه حريص على قراءة القرآن، لقد انقلب - في هذا الخبر - الشيطان إلى ملاك، والملاك إلى شيطان، ما يجعلنا نحكم بكذب الرواية وعدم قبولها.

- وردت الرواية نفسها في (أنساب الأشراف) للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، ص ٥٠٤، إلا أنه زاد في ذيل الرواية ما نصّه: «يقال: إن الحَسَن ضرب عنقه، وقال: لا أمثل به».

وفي هامش التحقيق يقول المعلق الشيخ محمد باقر المحمودي على هذه الزيادة: «هذا القول هو الصواب الموافق لما فطر الله عليه أهل بيت النبوة من علو النفس وتجنبهم عن سفاسف الأخلاق العامة، وانقيادهم لقوانين الشريعة غاية الانقياد. نعم بناء على اعتبار ما ورد في غير واحد من الأخبار من أن أمير المؤمنين قال: (اصنعوا به ما صنع رسول الله لمن أراد قتله، أمر بقتله ثم بإحراقه) .. نلتزم بإحراقه؛ لأنها عقوبة خاصة لمن أراد قتل النبي أو قتل الوصي، لله الخلق والأمر وله الخيرة دون الخلق، وأما غيره من العقوبات، فأهل البيت أتقى وأعدل من أن يحوموا حولها، لا سيما مع نهي أمير المؤمنين ؑ عن المثلة بالرجل».

«القتل ثم الإحراق بالنار» كحكم شرعي

قد يقال: إن جزاء الإحراق بالنار عقوبة لشخص همّ بقتل النبي أو الوصي أو قتلَه فعلاً يحمل في طياته تشويهاً لمقام الرسول ﷺ ووصيه ﷺ، وتشبيهماً بالجبايرة الظالمين.

ويمكن الإجابة عن ذلك بتوضيح مجموعة من النقاط، وهي كما يلي:

الأولى: عندما مراجعة هذه الروايات، نجدها في مصادر الفريقين من الشيعة والسنة، ومن أمثلة ذلك:

ما ورد في الكافي للشيخ الكليني، ج ٧ / ١٩٩: «محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن يوسف بن الحارث، عن محمد بن عبد الرحمن العرزمي، عن أبيه عبد الرحمن، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: أتى عمر برجل وقد نكح في دبره فهم أن يجلد، فقال للشهود: رأيتموه يدخله كما يدخل الميل في المكحلة؟، فقالوا: نعم، فقال لعلي عليه السلام: «ما ترى في هذا؟، فطلب الفحل الذي نكحه فلم يجده، فقال علي عليه السلام: أرى فيه أن تضرب عنقه، قال: فأمر به فضربت عنقه، ثم قال: خذوه فقد بقيت له عقوبة أخرى، قالوا: وما هي؟، قال: ادعوا بطن من حطب. فدعا بطن من حطب فلف فيه ثم أخرجه فأحرقه بالنار، قال: ثم قال: إن لله عبداً لهم في أصلاهم أرحام كأرحام النساء قال: فما لهم لا يحملون فيها؟ قال: لأنها منكوسة، في أدبارهم غدة كغدة البعير فإذا هاجت هاجوا وإذا سكنت سكنوا».

ما ورد في الإرشاد للشيخ المفيد، ج ١ / ٢٢: «جاء الناس إلى أمير المؤمنين ؑ فقالوا له: يا أمير المؤمنين، مُرْنَا بِأَمْرِكَ فِي عَدُوِّ اللَّهِ؛ فَلَقَدْ أَهْلَكَ الْأُمَّةَ وَأَفْسَدَ الْمَلَّةَ، فَقَالَ لَهُمُ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؑ: إِنْ عَشْتُ رَأَيْتَ فِيهِ رَأْيِي، وَإِنْ هَلَكْتُ فَاصْنَعُوا بِهِ مَا يَصْنَعُ بِقَاتِلِ النَّبِيِّ، اقْتُلُوهُ ثُمَّ حَرِّقُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّارِ».

وقد ورد في مسند الإمام أحمد، ج ١ / ٩٢: «حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أبو أحمد، ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال: لما ضرب ابن ملجم علياً ؑ الضربة، قال علي: افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أَنْ يُفْعَلَ بِرَجُلٍ أَرَادَ قَتْلَهُ، فَقَالَ: اقْتُلُوهُ ثُمَّ حَرِّقُوهُ»^(١).

الثانية: ربما يشكل البعض بأن ما يشوه الدين بخصوص هذا الحكم لا يتعلق بإحراق الجسد بالنار ابتداءً، وإنما القتل ومن ثم الإحراق بالنار.

فقد روي عن «صفوان بن سليم أن خالدًا بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق أنه وجد في بعض سواحل البحر رجلاً يُنَكِّحُ كما تنكح المرأة، وقامت عليه بذلك البينة فاستشار أبو بكر في ذلك أصحاب

(١) وانظر كذلك: البداية والنهاية لابن كثير، ج ٧ / ٣٦٣؛ ومجمع الزوائد للهيتمي، ج ٩ / ١٤٥؛ وكنز العمال للمتقي الهندي، ج ١٣ / ١٨٨؛ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٤٢ / ٥٦٠؛ وإعلام الوري بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي، ج ١ / ٣٩١؛ وكشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي، ج ٢ / ٦٥.

رسول الله ﷺ فكان أشدهم فيه يومئذ قولاً علي بن أبي طالب، قال: إن هذا ذنب لم يعص به من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقهما بالنار. فاجتمع رأي صحابة رسول الله ﷺ على أن يحرقه بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن احرقه بالنار»^(١).

ولكن لم تحدد لنا هذه الرواية كيفية حرقه، ولكن في رواية أخرى تظهر لنا كيفية الحكم بالإحراق بالنار، فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام حين تولى الخلافة، حكم على أحد الرجال بالقتل، ومن ثم أن يوضع في بطنه خشب وأن يحرق.

الثالثة: ربما يسأل البعض عن حكمة هذا الفعل، فإنه قد يعزى إلى عدة أمور منها:

- فداحة مثل هذا الفعل.

- عبرة للآخرين كي لا يقوموا بمثل هذا الفعل.

لقد قرأت ما تشير إليه بعض الأبحاث العلمية الحديثة من أنهم ينصحون أهالي في الغرب الذين ثبت أن أقربائهم قد مارسوا مثل هذه الفاحشة بأن يحرقوا جثثهم لوجود بعض الكائنات التي تسبب بأمراض لا تموت إلا بالحرق، فلربما وأقول لربما يكون الحكم عليهم بإحراق أجسادهم بعد قتلهم. راجع مقال (الإحراق بالنار بين

(١) المحلى، ابن حزم، ج ١١ / ٣٨١؛ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٨ / ٢٣٢.

الشبهة والحكم الشرعي) السيد يوسف البيومي الرضوي.

الرابعة: الظاهر أن هذا الحكم راجع إلى حكم الولاية لا الفتوى، فهذا يعود إلى اختيار الحاكم بحسب الظروف والمناخ الزماني والمكاني، فلو رأينا أن هذا الحكم لا يناسب هذا الزمن أو المكان، يُلغى.

والمؤيد كون هذا الحكم للولاية هو المناسب لهذا الحاكم والقائد ورئيس الحكومة، فمثاله ما روي عن الإمام علي ؑ: «إن هَلَكْتُ فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبي، اقتلوه ثم حرقوه بعد ذلك بالنار».

فلو كان حكم القتل والإحراق حكماً أولياً، لكان تعبير الإمام في الرواية: «إن هَلَكْتُ، فاقتلوه ثم حرقوه بالنار»، ولكن الإشارة إلى أن يُصنع به ما فعل بقاتل النبي تحمل في طياتها أن ذلك كان حكماً ولائياً، يرجع في تقديره إلى ما يراه الحاكم باعتباره ولياً لأمر المسلمين.

رواية غريبة

أما ما جاء في كتاب الوافي بالوفيات للصفيدي، ج ١٨ / ١٧٢، فلم يذكر العباس ؑ في الرواية، ولكن لغرابتها نقلها ونقل ما قبلها:

«كان (عبد الرحمن ابن ملجم) من العباد، وقيل: إن عمر بن الخطاب (رض) كتب إلى عمرو بن العاص: أن قرب إلي دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره.

ثم كان من شيعة علي بن أبي طالب بالكوفة، وشهد معه صفين، ثم فعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة، وكذلك النصيرية يعظمونه.

قال ابن حزم: يقولون: إن ابن ملجم أفضل أهل الأرض؛ لأنه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره، وعند الروافض أنه أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة من نرجو له النار ويجوز أن الله تعالى يتجاوز عنه وحكمه حكم قاتل عثمان والزبير وطلحة وسعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبراً منه ونبغضهم في الله تعالى ونكل أمرهم إلى الله.

ولما دفن علي، أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يده ورجلاه وكحلت عيناه ثم قطع لسانه ثم أحرق في قوصرة .. وقيل إنه قطعت يده ورجلاه ولم يتأوه، بل يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه امتنع عن إخراجه فتعربوا في ذلك، فقليل له: قطعت يداك ورجلاك وما أَلِمْتَ ولا اْمْتَنَعْتَ، فما هذا الامتناع من قطع لسانك؟، فقال: لئلا تفوتني تلاوة القرآن شيئاً وأنا حي، فشقوا شذقه وأخرجوا لسانه بكِلاَّب وقطعوه».

وخير ما ننتهي إليه هنا: ما ذكره الري شهري في (موسوعة الامام الحسين ؑ)، ج ٤ / ٣٢٧ بقوله: «وللأسف، فإننا لا نرى في المصادر المعتمدة كلامًا لأمير المؤمنين ؑ يخاطب به العباس أو يدور حوله». ولكن البحث فيما بين يدي من المصادر يفضي إلى وجود رواية في (المناقب) للخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) لها اتصال بين أمير المؤمنين ؑ والعباس، وقد ذكرناها سابقا في (العباس ؑ في صفين)، وذكرنا المناقشة فيها.

العباس عليه السلام مع أخويه الحسين

لم تورد كتب التاريخ والحديث أخبارًا كثيرة عن نشأة العباس في حياة والده أمير المؤمنين عليه السلام أو في حياة أخويه الحسين عليه السلام، ولذلك سنقتصر تحت هذا العنوان على ما ورد من أخبار قليلة.

تغسيل الإمام الحسن عليه السلام

ورد خبر تغسيل الإمام الحسين لجسد أخيه الإمام الحسن عليه السلام بالفاظ متقاربة، وهي كالتالي:

- الذرية الطاهرة النبوية لمحمد بن أحمد الدولابي (ت ٣١٠هـ)، ص ١١٩ - ١٢٠: «وولي غسله الحسين ومحمد والعباس [إخوته من علي بن أبي طالب]».
- كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣هـ)، ج ٢ / ١٧١: «وولي غسله الحسين ومحمد والعباس [أخواه من علي بن أبي طالب عليه السلام]».
- وفي البحار، ج ٤٤ / ١٣٧ (ت ١١١١هـ)، ينقل عن كشف الغمة: «.. وولي غسله الحسين ومحمد والعباس إخوته».
- الأنوار البهية للشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، هامش ص ٩٢:

«ولي غسله الحسين ؑ ومحمد والعباس وإخوته»^(١).

على فرض صحة الرواية أو قوة اعتبارها، فإن تغسيل جسد المعصوم ؑ له فضل وتميز، ومن ثم دلالتها على فضيلة كل من محمد بن الحنفية وأبي الفضل العباس وعظم مقامهما عند الله. ولكن الرواية تشير إلى أن الإمام الحسين ؑ غسل جسد أخيه الحسن بمساعدة إخوته، وهو ما لا يقتضي أن العباس ؑ كان يصب الماء على الجسد الطاهر بالضرورة، فربما كان يساعد بتهيئة الكفن أو ترتيب النعش أو غير ذلك، وهذا خلاف ما يذكره بعض الخطباء من حتمية مشاركته في تغسيل الإمام الحسن ؑ، ومن ثم دلالة ذلك على عصمته^(٢).

(١) لفظ الرواية هنا يظهر عليه الاضطراب؛ لأنه لو عَسَلَ جسد الإمام الحسن ؑ جميع إخوته، لكان المناسب أن يكون اللفظ: «ولي غسله الحسين ؑ وإخوته»، كما أن المتعارف هو مساعدة الغاسل بشخص أو اثنين، ولا يتصور أن يلي غسله ؑ جميع إخوته؛ لأن أمير المؤمنين ؑ له ثمانية وعشرون ولدًا أو ثلاثة وثلاثون ولدًا ذكرًا وأنثى. انظر: تاج المواليد للشيخ الطبرسي، ص ١٨ - ١٩.

(٢) يرى بعض العلماء أن المعصوم لا يلي تغسيل جسده إلا معصوم، وهذا الرأي مناقش، فحضور العباس ؑ لغسل الإمام الحسن ؑ - إذا ثبت - كان مثل حضور الفضل بن العباس ؑ غسل الرسول ﷺ لما أراد أمير المؤمنين ؑ غسل رسول الله ﷺ. استدعى الفضل بن العباس، فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصب عينيه ثم شق قميصه من قبل جيبه، حتى بلغ به إلى سرتة، وتولى غسله وتحنيطه، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه، والملائكة كانت أعوانه أيضًا فغسل في قميصه. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥ / ٢٨٢، «ولي غسله [الرسول ﷺ] علي والفضل يحضنه، والعباس يصب الماء ..».

وتنبغي الإشارة إلى أن بعض الخطباء يشتهر بين أبي الفضل العباس عليه السلام والفضل بن العباس، وهو الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، وهو أحد زعماء المدينة في ثورتها على بني أمية، وأظهر في وقعة الحرة بسالة عجيبة، وقد استشهد بها ٦٣هـ.

موقف العباس في دفن الإمام الحسن عليه السلام

جاء في كتاب (قمر بني هاشم) للمقرم ص ٨٤: «أنه لما رأى العباس عليه السلام جنازة سيّد شباب أهل الجنّة ترمى بالسهم عظم عليه الأمر، ولم يطق صبراً دون أن يجرّد سيفه وأراد البطش بأصحاب (البغلة) لولا كراهية السبط الشهيد الحرب، عملاً بوصية أخيه: لا تهرق في أمري محجمة من دم».

ويذكرها أيضاً في كتابه العباس عليه السلام، باللفظ نفسه.

والملاحظة الغريبة أن الرواية لم ترد في المصادر القديمة أو حتى الجديدة، بل ورد هذا الأمر عن الإمام الحسين عليه السلام لا عن أبي الفضل العباس عليه السلام، فلننظر إلى المصادر التالية:

- الإرشاد للشيخ المفيد، ج ٢ / ١٩: «قال الحسين عليه السلام: «والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء، وألا أهرق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا».

- وقد ذكر هذا الأمر في كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير

الطبري، ص ١٦٢؛ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري، ص ١٦٨؛ والخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي، ج ١ / ٢٤٢؛ وتاريخ اليعقوبي، ج ٢ / ٢٢٥.

فهذا الخبر روته العامة والخاصة بتغيير ببعض عباراته كل بحسب مذهبه. والذي ذكره السيد المقرّم في كتابه (قمر بني هاشم) اشتباه واضح.

بعد رحيل الإمام الحسن ؑ

تخبرنا المصادر التاريخية بأن الإمام الحسين ؑ ومجموعة كبيرة من قرابته انتقلوا إلى مكة بعد رحيل أخيه الإمام الحسن ؑ، وكان من بينهم أخوه العباس ؑ. يقول الدينوري في الأخبار الطوال، ص 228: «فلما أمسوا، وأظلم الليل مضى الحسين ؑ أيضًا نحو مكة، ومعه أختاه: أم كلثوم، وزينب وولد أخيه، وإخوته أبو بكر، وجعفر، والعباس، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحنفية، فإنه أقام. وأما عبد الله بن عباس، فقد كان خرج قبل ذلك بأيام إلى مكة».

ويؤيّد الشيخ الصدوق في الأمالي، ص 217، إذ يقول: «ثم سار في أحد وعشرين رجلًا من أصحابه وأهل بيته، منهم أبو بكر بن علي، ومحمد بن علي، وعثمان بن علي، والعباس بن علي، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وعلي بن الحسين الأكبر، وعلي بن الحسين الأصغر».

ويذكر ذلك أيضًا الشيخ المفيد في الإرشاد، ج 2 / 34، إذ أشار إلى أن الإمام الحسين «خرج من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، متوجهًا نحو مكة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية، رضوان الله عليه».

وهكذا في روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ص 171 - 172، إذ ينقل بأنه عليه السلام «خرج من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجهين نحو مكة، ومضى بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية».

الفصل الثالث

معركة التضحية والفداء

- من مكّة إلى كربلاء
- كربلاء محطّ الرحال
- معركة البطولة والتضحية في يوم عاشوراء
- استشهاد العباس عليه السلام
- أحداث ما بعد المعركة
- زيارة العباس عليه السلام

من مكة إلى كربلاء

سفر الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة

مما ذكره الطبري في تاريخه، ج ٤ / ٢٨٦ قوله: «قال أبو مخنف: .. كان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ٦٠هـ ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة: شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية، في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل ..».

وذكره أيضًا كتاب (البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ١٧١)، وكتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد ٢ / ٣٥.

ومن المعلوم أن خروج الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء رغبة منه في الذهاب إلى الكوفة؛ لأسباب سياسية ودينية وغيرهما. إذ كان الإمام الحسين عليه السلام يرى في الحكم الأموي تهديدًا لنقاء الدين الإسلامي ولاستقامة المسلمين، وهو ما دفعه للثورة طلبًا للإصلاح، كما هو صريح عبارته عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً

ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ..». وخوفًا منه ؑ من سفك دمه الشريف في مكة المكرمة البلد الحرام، خرج منها متوجهًا إلى الكوفة؛ لكثرة الموالين لآل البيت ؑ فيها.

وكان العباس ؑ على علم بأن خروجهم من المدينة إلى مكة ثم خروجهم إلى الكوفة، وإعلان مناهضتهم لحكم يزيد هو خروج نحو الشهادة لا محالة؛ لإخبار الحسين ؑ لآل بيته بذلك، وهو ما تذكره مجموعة من الروايات، منها:

- «عن زرارة، عن أبي جعفر ؑ قال: كتب الحسين بن علي من مكة إلى محمد بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد، فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام»^(١).
- «.. سار من المدينة إلى مكة، فأتاه كتب أهل الكوفة وهو بمكة فتجهز للمسير فنهاه جماعة، منهم: أخوه محمد ابن الحنفية وابن عمر وابن عباس وغيرهم. فقال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأمرني بأمر فأنا فاعل ما أمر ..»^(٢).

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ١٥٧.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٢ / ٢٠ - ٢١. وانظر: موسوعة الإمام الحسين ؑ للشيخ الشهري، ج ٣ / الفصل السابع: تأمر يزيد لقتل الإمام ؑ في مكة؛ وهامش كتاب

وغيرهما من الروايات المتعددة، المطمئن إلى صدورهما.

بهذه القرائن يظهر علم أهل البيت عليه السلام بما سيحدث لهم في واقعة كربلاء وأنهم ستنالهم الشهادة حتمًا، وبالخصوص أن العباس عليه السلام أكبر إخوان الإمام الحسين عليه السلام، وهو عضده، والمعتمد عليه في كربلاء، فكيف يعلم غيره وهو لا يعلم.

تهيئة الحسين عليه السلام للخروج

روى عبد الله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جده، أنه قال: «خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام، وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته فقرأه فعرف معناه، فقال: انظرني إلى ثلاثة أيام، فبقيت في المدينة ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، فقلت في نفسي: أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز [الحسين عليه السلام]، كيف يركب وكيف جلالة شأنه.

فأتيت إلى باب داره، فرأيت الخيل مسرجة، والرجال واقفين، والحسين عليه السلام جالس على كرسي، وبنو هاشم حافون به، وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله، ورأيت نحوًا من أربعين محملًا، وقد زينت المحامل بملايس الحرير والديباج.

قال: فعند ذلك أمر الحسين عليه السلام بني هاشم بأن يركبوا محارمهم على المحامل، فبينما أنا أنظر وإذا بشاب قد خرج من دار الحسين

اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس، ص ٩٩.

عليه السلام وهو طويل القامة وعلى خده علامة ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: تنحوا يا بني هاشم. وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار وهما تجران أذيا لهما على الأرض حياءً من الناس، وقد حفت بهما إماءهما، فتقدم ذلك الشاب إلى محمل من المحامل وجثى على ركبتيه، وأخذ بعصديهما وأركبهما المحمل، فسألت بعض الناس عنهما، فقيل: أما إحداهما فزينب، والأخرى أم كلثوم بنتا أمير المؤمنين. فقلت: ومن هذا الشاب؟، فقيل لي: هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين.

ثم رأيت بنتين صغيرتين، كأن الله تعالى لم يخلق مثلهما، فجعل واحدة مع زينب، والأخرى مع أم كلثوم، فسألت عنهما، فقيل لي: هما سكينه وفاطمة بنتا الحسين عليه السلام. ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع، ومعه امرأة، وقد حفت بها إماءها، فأركبها ذلك الغلام المحمل. فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أما الغلام، فهو علي الأكبر ابن الحسين عليه السلام، والامراة أمه ليلى زوجة الحسين عليه السلام. ثم خرج غلام وجهه كفلقة القمر، ومعه امرأة، فسألت عنها، فقيل لي: أما الغلام، فهو القاسم بن الحسن المجتبي، والمرأة أمه.

ثم خرج شاب آخر وهو يقول: تنحوا عني يا بني هاشم، تنحوا عن حرم أبي عبد الله. فتنحى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهي تمشي على سكينه ووقار، وقد حفت بها إماءها، فسألت عنها، فقيل لي: أما الشاب، فهو زين العابدين ابن الإمام، وأما المرأة فهي أمه شاهزنان بنت الملك كسرى زوجة الإمام،

فأتى بها وأركبها على المحمل، ثم أركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل.

فلما تكاملوا، نادى الإمام عليه السلام: أين أخي، أين كبش كتيبي، أين قمر بني هاشم؟، فأجابه العباس: ليك، ليك، يا سيدي. فقال له الإمام عليه السلام: قدم لي يا أخي جوادي، فأتى العباس بالجواد إليه وقد حفت به بنو هاشم، فأخذ العباس بركاب الفرس حتى ركب الإمام، ثم ركب بنو هاشم، وركب العباس وحمل الراية أمام الإمام^(١).

وتعليقاً على هذه الرواية، فإنها لا يمكن اعتمادها؛ وذلك لأمرين: الأول: إنها حديثة العهد، كغيرها من الروايات التي نقلها كتاب أسرار الشهادة. والثاني: إن المتن مرفوض؛ لأنها لا تنسجم مع الإمام الحسين عليه السلام في كثير من العبارات، مثل:

- «زينت المحامل بملابس الحرير والديباج».
 - «الحسين عليه السلام جالس على كرسي وبنو هاشم حافون به».
 - «عليها آثار الملوك».
- إن هذه العبارات مبالغت لا تنطبق على ما هو معروف من سيرة الإمام عليه السلام.

ويضاف إلى ذلك، أن الراوي ينظر إلى النساء وحشمتهم كغيرهم

(١) انظر: معالي السبطين، ج ١ / ٢٢٠؛ وأسرار الشهادة، ص ٣٦٧.

من الرجال، ويسأل عن اسم المرأة ويجاب له، وهو ما لا يتلاءم والحشمة التي كان يتعامل بها مع أهل البيت ؑ.

مسير الإمام الحسين ؑ من مكة إلى كربلاء

ما تفيدته الروايات التاريخية أنّ قافلة الإمام الحسين ؑ غادرت مكة متّجهةً إلى الكوفة بعد إقامةٍ في مكة دامت أربعة أشهر وخمسة أيّام، وذلك في يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ، إلّا أنّ الإمام الحسين ؑ لم يكمل مسيره إلى الكوفة، وإنما أُجبر على النزول في كربلاء بأمر من عسكر ابن زياد عندما بلغ أطراف الكوفة.

الجدير بالذكر أنّ الإمام ؑ سار في بداية انطلاقه باتّجاه التنعيم الواقع في الشمال الغربي من مكة المكرمة على طريق المدينة، بدلاً من انطلاقه باتّجاه الشمال الشرقي ومنزل الصفاح، الذي هو أوّل منزل في طريق مكة إلى الكوفة، وبذلك فقد ازدادت المسافة بحوالي تسعة كيلومترات.

ومن المحتمل أن يكون سبب اتّخاذه لهذا الإجراء هو تضليل الجنود الذين كانوا يحولون دون تحرّكه باتّجاه الكوفة. أمّا المنازل التي اجتازتها هذه القافلة، فهي حسب التسلسل كما يلي:

مكة ◀ التنعيم ◀ الصفاح ◀ بستان ابن عامر ◀ ذات عرق ◀ غمرة ◀ المسلح ◀ الأفيعية ◀ معدن بني سليم ◀ العمق ◀ السليلية ◀ الرّبذة ◀ مغيثة الماوان ◀ النقرة ◀ الحاجر ◀ سميراء ◀ توز ◀ فيد ◀ الأجر ◀ الخزيمية ◀ زرود ◀ الثعلبية ◀ البطان ◀ الشقوق

◀ زبالة ◀ القاع ◀ العقبة ◀ واقصة ◀ شراف ◀ ذو حسم ◀ البيضة
◀ عذيب الهجانات ◀ الرهيمة ◀ قصر بني مقاتل ◀ الطفّ ◀
كربلاء.

واستنادًا إلى الحسابات التي أُجريت، فقد اجتازت قافلة الإمام
هذه المنازل بعد أن طوت مسافة بلغت حوالي (1447 كيلومترًا) في
مدّة استغرقت خمسة وعشرين يومًا، ودخلت كربلاء في اليوم الثاني
من محرّم عام ٦١هـ^(١).

وقد حدّد المؤرخون بأن نزول الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء كان
يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين^(٢)، وخالف في ذلك
صاحب الفصول المهمّة، ص ١٨٨، إذ يقول بأن ذلك كان يوم
الأربعاء الثامن من المحرم. فيما يؤكّد ذلك ابن شهر آشوب في
المناقب، إذ يقول، ج ٤ / ٩٧: «فساقوا [الحسين وعسكره] إلى
كربلاء يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين، ثم نزل
وقال: هذا موضع الكرب والبلاء، هذا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا،
ومقتل رجالنا، وسفك دمائنا».

(١) يراجع: موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، ج ٣ / ٣٠٧.

(٢) الإرشاد، ج ٢ / ٨٤؛ وتاريخ الطبري، ج ٥ / ٤٠٩؛ والملهوف، ص ١٣٩؛ وأنساب
الأشراف ج ٣ / ٣٨٥؛ والفتوح، ج ٥ / ٨٣.

العباس ؑ كفيل السيدة زينب ؑ

من الأمور التي يردها الخطباء أنّ العباس ؑ كان كفيل أخته السيدة زينب ؑ، وهو ما يفيدونه من مجموعة من الروايات، منها:

الرواية الأولى المذكورة في كتاب (الخصائص العباسية، ص ٧٣): «قيل إنه لما مضت أيام على ولادة أبي الفضل العباس ؑ، جاءت السيدة زينب ؑ إلى أبيها الإمام أمير المؤمنين ؑ يوماً وهي تحمل أخاها العباس ؑ، وقد ضمته إلى صدرها، وقالت له: أبه يا أمير المؤمنين، ما لي أرى قلبي متعلقاً بهذا الوليد أشدّ التعلق، ونفسي منشدة إليه أكبر الانشداد؟، فأجابها أبوها الإمام أمير المؤمنين ؑ بلطف وحنان قائلاً: وكيف لا تكونين، يا أبه، كذلك وهو كفيلك وحاميك؟، فقالت السيدة زينب ؑ بتعجب: إنه كفيلي وحاميّني؟!

فأجابها ؑ بعطف وشفقة: نعم، يا بُنَيَّة، ولكن ستفارقينه ويفارقك.

فقالت السيدة زينب ؑ باستغراب: يا أبتاه، أتركني هو أم أتركه أنا؟، فقال الإمام أمير المؤمنين ؑ وهو يجيئها بلهفة ولوعة: بل تركينه، يا بُنَيَّة، وهو صريع على رمضاء كربلاء، مقطوع اليدين من الزندين، مفضوخ الهامة بعمد الحديد، ظامٍ إلى جنب الفرات.

فلم تتمالك السيدة زينب ؑ لما سمعت ذلك حتّى أعولت وصاحت: وا أخاه، وا عبّاساه».

الرواية الثانية المذكورة في كتاب (الخصائص العباسية ٢٢٣):

«ورد أنَّ السيِّدة زينب عليها السلام لما رأت أباهَا أمير المؤمنين عليه السلام قد جمع أولاده وأهل بيته ساعة الاحتضار، وأخذ يودِّعهم ويوصيهم، ويعيِّن الوصيَّ والإمام من بعده عليهم، تقدَّمت إليه وقالت بكلِّ حزن وأسى على ما كانت تراه بأبيها، وعلى ما أخبرها به من وقعت كربلاء: أُريد، يا أبتاه، وأنت بعدُ في الحياة أن تختار لي من إخوتي مَنْ يواسيني في رخائي وشدِّي، ويكفلني في سفري وحضري.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام بكلِّ عطف وحنان: (هؤلاء إخوتك ورجال أهل بيتك، فاختاري منهم مَنْ تريدن، فإنَّهم أكفاء لما ترومين).

فقلت عليها السلام وببصيرة كاملة: يا أبتاه، إنَّ الحسن والحسين عليهما السلام أئمَّتي وسادتي، وعليَّ أن أخدمهما وأقوم بحمايتهما، وأن أواسيهما وأؤثرهما على نفسي، ولكنِّي أريد من إخوتي مَنْ يخدمني ويواسيني، ويقوم بحمايتي وكفالتي.

فقال عليه السلام لها، وهو يرقُّ على حالها ومصابها بأبيها: (اختاري منهم مَنْ شئت).

فأجالت السيِّدة زينب عليها السلام ببصرها على إخوتها حتَّى إذا وقع نظرها على أخيها أبي الفضل العباس عليه السلام، لم تتجاوزهُ إلى غيره، وإنَّما التفتت إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وأشارت بيدها إلى أخيها أبي الفضل العباس عليه السلام، وقالت: يا أبتاه، أريد أخي هذا.

عندها التفت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده أبي الفضل

العبّاس ؑ، وأشار عليه بالدنو منه، فلما دنا منه أخذ بيده ووضع يد السيدة زينب ؑ في يده، وقال : (ولدي عبّاس، عليك بأختك هذه؛ فإنّها بقيّة أمّها الزهراء ؑ)، فلا تقصّر في خدمتها ورعايتها، ولا تتوان في حفظها وحمايتها).

فقال أبو الفضل العبّاس ؑ، وقد تحادرت دموعه على خديه: يا أبتاه، لأنعمنك عيناً، ولأكوننّ عند حسن ظنك، فإنّي سأبذل قصارى جهدي، وغاية جدّي ومجهودي في حفظها وحراستها، وأرعى حرمتها وحقّها.

وهنا، أخذ الإمام أمير المؤمنين ؑ يطيل النظر إلى ولده العبّاس ؑ وإلى ابنته السيدة زينب ؑ، ويبكي من موقفهما وموافقتهما، وكأنّه يستعرض ما سيجري عليهما، ويتذكّر ما سيصيبهما من الشهادة والأسر في كربلاء).

وهذان الروايتان تُناقِلان على الألسن كثيراً، ويبدو أنهما لم تردا في المصادر قديماً، وإنما ظهرت منذ مئة سنة أو مئة وخمسين سنة فقط، ولم توجد إلا كتب المعاصرين.

ولا يبعد أن العبّاس ؑ سمي بـ «الكفيل» انطلاقاً من انتشار هاتين الروايتين، إذ المقصود من ذلك أنه من كفّل أخته السيدة زينب ؑ في السفر ورعاها أثناء المسير.

إنّ ما توحيه هاتان الروايتان ومسمّى «الكفيل» يظهر وجود علاقة خاصة بين العبّاس ؑ والسيدة زينب ؑ، ولا دليل عليها سوى

هتين الروائيتين، بل إن البحث والتتبع لمجموعة من المواقف، وبخاصة في واقعة كربلاء يظهر علاقة خاصة بين الإمام الحسين عليه السلام والسيدة زينب رضي الله عنها، وهاتان الروائيتان من القصص الكثيرة التي لا تصمد أمام النقد التاريخي والروائي.

ولعدم اعتماد مثل هذه الروايات، يستنكر البعض إطلاق اسم الكفيل على العباس عليه السلام، فيقول رشيد السراي، في مقال تحت عنوان: «هل كان العباس كفيلاً؟»: «إن موضوع الكفالة منتشر بين الخطباء والشعراء بشكل كبير وهو مادة دسمة للبعض منهم يتبحر فيه ويسهب كما يريد!، وليت الأمر أنتهى عند هذا الحد بل إن العتبة العباسية - وهي الجهة المختصة بهذا الأمر أكثر من غيرها والمؤتمنة على الجانب التاريخي والديني في المسألة - تعتمد لقب الكفيل كلقب أهم للعباس عليه السلام، وهذا واضح في مشاريعها ومنتجاتها فموقعها الإلكتروني المخصص للعباس عليه السلام اسمه: (شبكة الكفيل العالمية)، ولديها أيضاً (متدى الكفيل)، ولديها أيضاً إذاعة الكفيل، ومشتل الكفيل، ومتحف الكفيل، ومستشفى الكفيل التخصصي، ومعهد الكفيل، وشركة الكفيل، ودار نشر الكفيل. والغريب أنها - أي العتبة العباسية - في سيرتها المعروضة في مواقعها للعباس عليه السلام لا تذكر نصوص الكفالة، ولا لقب الكفيل ضمن ألقابه».

إطالة على كتاب (الخصائص العباسية)

كتاب (الخصائص العباسية) للشيخ محمد إبراهيم الكلبي النجفي (١٣٠١ - ١٣٦٢هـ)، وقد بذلتُ جهداً كبيراً في البحث عن

ترجمته، دون الحصول على أكثر من هذه المعلومة.

فقد خلت مقدمة الكتاب من ترجمة المؤلف، ولم تتضمن إلا ذكر إجازة له، تخلو من سيرته والتعريف به، كمحل ولادته ووفاته ودراسته وأساتذته وتلامذته ومؤلفاته، كما هي العادة. نعم، ذكر المترجم - في مقدمة الإجازة - أنه نزيل الري. وبخصوص الكتاب، لا توجد إشارة في المقدمة ولا في باقي الكتاب إشارة إلى النسخة التي تم الاستناد عليها في إعادة طباعة الكتاب، إن كان مطبوعاً أو مخطوطاً.

وما دامت حال مؤلف الكتاب مجهولة، فإنّ ذلك يضعف الروايتين الخاصّتين بكفالة العباس ؑ أكثر.

كربلاء محطّ الرحال

مفاوضات ما قبل المعركة

ورد في كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي، ج 5 / 92 - 93: «ثم أرسل الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد: إني أريد أن أكلمك، فآلَقَنِي الليلة بين عسكري وعسكرك. قال [الراوي]: فخرج إلى عمر بن سعد في عشرين فارسًا وأقبل الحسين في مثل ذلك، فلمّا التقيا، أمر الحسين أصحابه ففتحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر عليه السلام، وأمر عمر بن سعد أصحابه ففتحوا عنه، وبقي معه حفص وابنه و غلام له يقال له: لاحق. فقال له الحسين عليه السلام: ويحك يا بن سعد، أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني؟، وأنا ابن من علمت، يا هذا، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاترك هؤلاء وكن معي، فإني أقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله، أخاف أن تُهْدَمَ داري، فقال له الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيرًا منها من مالي بالحجاز. قال [الراوي]: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: ما لك، ذبحك الله من على فراشك سريعًا عاجلاً ولا غفر الله

لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو ألا يأكل من بر العراق إلا يسيراً»^(١).

ويشير السيد الجلالي في كتابه (العباس ابن أمير المؤمنين)، ص 170، إلى أن المؤرخين حدّدوا هذا اللقاء بأنه كان قبل اليوم السابع من محرم، أي قبل منع الماء عن الحسين ؑ وأصحابه. وفي تنحية جميع الأصحاب والاكتفاء في هذه المفاوضات بحضور الإمام الحسين وأخيه العباس ؑ دلالة على موقعية العباس ؑ في اتخاذ القرارات وتحديد المواقف.

العباس ؑ ودوره البطولي في السقاية

للعباس ؑ دور كبير فيما يتعلّق بعملية السقاية في معركة كربلاء، وبخاصّة في اليوم السابع وما تلاه حتّى يوم المعركة (العاشر من المحرم)، ومن المهمّ تحديد هذا الدور حسبما تورده المصادر التاريخية التي بين يدينا، وهو ما نذكره في هذه النقطة، وذلك كتالي:

يورد الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ٨٦ عن «كتاب ابن زياد في الأثر إلى عمر بن سعد: أن حيل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمئة فارس، فنزلوا على

(١) انظر: مقتل الحسين ؑ للخوارزمي، ج ١ / ٢٤٧، فقد أورد الخبر مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

الشرية وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يستقوا منه قطرةً، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام».

وورد في الأخبار الطوال للدينوري، ص ٢٥٥: أنه «لما اشتد بالحسين وأصحابه العطش، أمر أخاه العباس بن علي - وكانت أمه من بني عامر بن صعصعة - أن يمضي في ثلاثين فارسًا وعشرين راجلاً، مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء، فيحاربوا من حال بينهم وبينه. فمضى العباس نحو الماء وأمامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة، فمنعهم عمرو بن الحجاج، فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها، واقتحم رجالة الحسين الماء، فملأوا قربهم، ووقف العباس في أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين».

ويروي الطبري في تاريخه، ج ٤ / ٣١٢، عن أبي مخنف أنه قال: «ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش، دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارسًا وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم إمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: مَنْ الرَّجُلُ، فَجِئْ ما جاء بك؟، قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلائموننا عنه. قال: فاشرب هنيئًا، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان وَمَنْ ترى مِنْ أصحابه.

فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا

المكان لنمنعهم الماء. فلما دنا منه أصحابه، قال لرجاله: املؤوا قربكم. فشد الرجاله، فملؤوا قربهم، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال، فكفؤهم ثم انصرفوا إلى رحالهم، فقالوا: امضوا.

ووقفوا دونهم فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، واطردوا قليلاً ثم إن رجلاً من صداء طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج، طعنه نافع بن هلال، فظن أنها ليست بشيء، ثم إنها انتقضت بعد ذلك، فمات منها وجاء أصحاب الحسين بالقرب فأدخلوها عليه».

كما ينقل الأصفهاني في مقاتل الطالبين، ص ٧٨، عن أبي مخنف أنه قال: «حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: لما اشتد العطش على الحسين، دعا أخاه العباس بن علي، فبعثه في ثلاثين راكباً وثلاثين راجلاً وبعث معه بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء، فاستقدم أمامهم نافع بن هلال الجملي، فقال له عمرو بن الحجاج: مَنْ الرَّجُلُ؟، قال: نافع بن هلال. قال: مرحباً بك يا أخي، ما جاء بك؟، قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه، قال: اشرب، قال: لا والله، لا أشرب منه قطرةً والحسين عطشان، فقال له عمرو: لا سبيل إلى ما أردتم، إنما وضعونا بهذا المكان لنمنعكم من الماء.

فلما دنا منه أصحابه، قال للرجاله: املؤوا قربكم، فشدت

الرجالة، فدخلت الشريعة، فملؤوا قربهم، ثم خرجوا ونازعهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال الجملي جميعاً فكشفوه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، وقالوا للرجالة: انصرفوا، فجاء أصحاب الحسين عليه السلام بالقرّب حتى أدخلوها عليه».

ويروي ابن قتيبة الدينوري في كتابه (الإمامة والسياسة)، تحقيق الزيني، ج 2 / 5 - 6، أن الحسين وأصحابه أرادوا الماء، «فحالوا بينهم وبينه. فقال له شهر بن حوشب: لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم، فقال عباس بن علي: يا أبا عبد الله، نحن على الحق فنقاتل؟، قال: نعم. فركب فرسه، وحمل بعض أصحابه على الخيول، ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا وسقوا».

وقريب من ذلك ما يرويه ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح، ج 5 / 92 أن العطش «اشتد من الحسين وأصحابه وكادوا أن يموتوا عطشاً، فدعا بأخيه العباس عليه السلام وصير إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربةً، فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجاج: من هذا؟، فقالوا: رجال من أصحاب الحسين يريدون الماء، فاقتتلوا على الماء قتلاً عظيماً فكان قوم يقتتلون وقوم يملؤون القرب حتى ملؤوها. فقتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد. ثم رجع القوم إلى معسكرهم، وشرب الحسين من القرب ومن كان معه».

وقال الخوارزمي، ج 1 / 346: «فلما اشتد العطش بالحسين

وأصحابه، دعا أخاه العباس، وضمَّ إليه ثلاثين فارسًا وعشرين راجلًا وبعث معهم عشرين قربةً في جوف الليل، حتى دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجاج: مَنْ هذا؟، فقال له نافع بن هلال الجملي: أنا ابن عم لك من أصحاب الحسين، جئتُ حتى أشرب من هذا الماء الذي منعمونا عنه، فقال له عمرو: اشرب هنيئًا مريئًا. فقال نافع: ويحك، كيف تأمرني أن أشرب من الماء والحسين ومن معه يموتون عطشًا؟، فقال: صدقتَ قد عرفتَ هذا، ولكن أمرنا بأمر ولا بد لنا أن ننتهي إلى ما أمرنا به. فصاح نافع بأصحابه، فدخلوا الفرات وصاح عمرو بأصحابه ليمنعوا، فاقتتل القوم على الماء قتالًا شديدًا، فكان قوم يقاتلون وقوم يملؤون القرب حتى ملؤوها وقتل من أصحاب عمرو بن الحجاج جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد، ثم رجع القوم إلى معسكرهم بالماء، فشرب الحسين ومن كان معه، ولقب العباس يومئذ: «السقاء»^(١).

وما يمكن الخروج به مما ذكره المؤرخون النتائج التالية:

منع الماء عن الإمام الحسين ؑ وأصحابه بدءًا من اليوم السابع من المحرم سنة ٦١هـ، وهو اليوم الذي اشتد العطش فيه على معسكر الإمام الحسين ؑ أو على بعضهم. وكان المنع بأمر من رسول يحمل كتابًا من عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد بن الوقاص، يأمر

(١) انظر أيضًا: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣ / ٢٤٧؛ وروضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ١٨٢.

عسكره بأن يمنعوا الحسين عليه السلام وأصحابه من الماء، حتى وإن رضخوا للأوامر، «فلا يذوقوا منه قطرة»، حسب تعبير الرسول.

ويتفق المؤرخون على أن عدد من ذهب لتحصيل الماء بأمرٍ من الإمام الحسين عليه السلام: ٥٠ شخصًا: ٣٠ راكبًا، و٢٠ راجلًا، مع ٢٠ قربة. في مقابل ٥٠٠ شخص.

أن أصحاب الإمام الحسين ذهبوا ليلاً ليفاوضوا المعسكر المقابل للسماح لهم بالحصول على الماء، ولكنهم أصروا على المنع، فاقتتلوا قتالًا شديدًا. وقد قاتل كل من العباس عليه السلام ونافع بن هلال مقاتلة شرسة، وانقسم أصحاب الحسين عليه السلام فرقتين: قوم يقاتلون، وقوم يملؤون القرب، وانتهت الحالة بملء القرب، ولم يُقتل من أصحاب الحسين عليه السلام أحد، وأما أصحاب عمرو بن الحجاج فقد طعن شخص واحد من (صداء)^(١)، وانتكس حاله بعد أن هدأ، ثم مات من الطعنة.

تحديد القائد الميداني لجلب الماء:

ربما يطرح تساؤل حول ما ذكره تاريخ الطبري من استقدام نافع بن هلال الجملي باللواء، فما سبب عدم أخذ أبي الفضل العباس عليه السلام للواء؟، هل لأن نافعًا أكثر شجاعة من العباس عليه السلام، على فرض تحققه في الخبر؟

(١) صداء: من قبائل آل مذحج في اليمن.

ويجاء عنه: بأن هذا الخبر دليل على أن العباس عليه السلام أكثر شجاعة من نافع وأقوى منه؛ لأن إعطاء اللواء لا يكون غالباً لرئيس الجيش، وإنما الرئيس هو مَنْ يأمر ويطاع، ومَنْ يُؤْخَذُ بطاعته: حامل اللواء. فكما أن الرئيس هو الإمام الحسين عليه السلام في الحرب الكبيرة، والعباس عليه السلام يطيعه ويأخذ اللواء، فكذلك يكون العباس عليه السلام، هو الرئيس في الحرب الصغيرة، وكذلك نافع مروّوس، والعباس رئيس.

وهذا على فرض أن العبارة: «إمامهم»، بكسر الهمزة، والمعنى: إن الذي قدّم نفسه باللواء هو إمامهم نافع. فيكون رئيس الجيش؛ لأن الإمام لا يكون غيره إلا مأموماً.

ويحتمل أن تكون العبارة: «أمامهم»، والمعنى: إن الذي قدّم نفسه أمام الجيش باللواء هو نافع. فيكون مروّوساً من قبل أبي الفضل العباس عليه السلام.

ولعلّ الأقرب هو الاحتمال الثاني، لما ذُكر في التأمل الأول، وهو ما رجّحه بعض الباحثين، ويمكن مراجعة موسوعة الإمام الحسين عليه السلام للريشهري، ج ٤ / ٤٧، وقاموس الرجال للتستري، ج ١٠ / ٣٣٧.

كما أن الحدث يقتضي أن تكون عبارة: «أمامهم» هي الأقرب؛ لأن أول من دعاه الإمام الحسين عليه السلام أبا الفضل العباس عليه السلام بما هو ظاهر في عبارة كتاب تاريخ الطبري: «ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش، دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً...».

تشابه بين شخصيتين

يوجد تشابه بين شخصيتين: (نافع بن هلال) و(هلال بن نافع)، أما الأول فهو من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، والثاني من جيش عمر بن سعد:

نافع بن هلال

هو: نافع بن هلال بن نافع الجملي المرادي المذحجي، كان سيداً شريفاً شجاعاً، من حَمَلَة الحديث، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد حروبه الثلاثة، واستشهد مع الحسين عليه السلام وتشرف بسلام زيارة الناحية المقدسة، وهو ممن ذكره الحسين عليه السلام حين الاستنصار، كما نقله أبو مخنف في مقتله. كما أن مجيئه مع العباس عليه السلام في جوف الليل لطلب الماء، وكلماته مع عمرو بن الحجاج، وكيفية قتاله وشهادته، كل ذلك يشهد بفضله ومكانته العالية.

وهو غير هلال بن نافع الذي كان واقفاً في أصحاب عمر بن سعد. واستأذنه لورود الماء للحسين عليه السلام ونقل كيفية احتضاره عليه السلام ^(١).

يروى الطبري عن نافع بن هلال بأنه «كان قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول:

أنا الجملي أنا على دين علي

(١) انظر: مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج ٨ / ٥٨.

فقتل اثني عشر من أصحاب ابن سعد سوى من جرح، فَضْرَبَ حَتَّى كُسِرَتْ عَضْدَاهُ وَأُخِذَ أَسِيرًا. فأخذه شمر ومعه أصحاب له يسوقون نافعًا حتى أتى به عمر، فقال له: (ويحك، ما حملك على ما صنعت بنفسك؟)، قال: (إن ربي يعلم ما أردت)، والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: (والله، لقد قتلْتُ منكم اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني)، فقال شمر لعمر: (اقتله)، قال: (أنت جئت به، فإن شئت فاقتله)، فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: (أما والله، أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على أيدي شرار خلقه)، فقتله.

رجز نافع

المعروف والمشهور عند المؤرخين القدامى أن نافعًا لما همَّ إلى القتال، ارتجز بقوله:

أَنَا الْجَمَلِي أَنَا عَلَى دِينَ عَلِي

مع أن صدر الرجز فيه خلل، والمؤكد أن نافعًا لم يأتِ بالخلل. ولو أريد تصحيح البيت عروضيًا، فمن الممكن تعديله إلى:

أَنَا هَالَالُ الْجَمَلِي أَنَا عَلَى دِينَ عَلِي

ولكن - حسب الظاهر - الذي روى البيت اشتبه باسمه فخلط بين (نافع بن هلال) وبين (هلال بن نافع)، والأخير من أعداء الإمام

الحسين عليه السلام. ولحلّ المشكلة، حاول الطبري في تاريخه، ج ٤ / ٣٣٦؛ وابن كثير في البداية والنهاية، ج ٨ / ١٩٩، حذف الاسم (هلال) من الرجز.

أما الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ١٠٣، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٤٥ / ١٩، والشيخ الطبرسي في إعلام الوري، ج ١ / ٤٦٢، فقد أوردوا الرجز بلفظ آخر، وهو:

إنّا ابن هلال البجلي أنا على دين علي

وقد علّق المهمّش على كتاب البحار بأن الرجز قد يكون: هلال بن حجاج، فقال:

أنا هلال البجلي أنا على دين علي
ودينه دين النبي

مع أن الشيخ الصدوق عندما وصف دور (هلال بن حجاج) في المعركة في الأمالي، ص ٢٢٥، قال: «ثم برز من بعده هلال بن حجاج وهو يقول:

أرمي بها معلمة أفواقها والنفس لا ينفعها إشفاقها

أما الخوارزمي في المقتل، ج ٢ / ١٤، فقد رواه بلفظ:

أنا على دين علي ابن هلال الجملي

وحاول الشيخ محمد السماوي في إِبصار العين، ص ١٤٩، فقد
أورده بلفظ:

أنا الهزبر الجملي أنا على دين علي

ويبدو أن هذا البيت مختلق، ولا يحتمل أن يكون لهلال بن
حجاج، إذ لم تشر كتب الأنساب إلى أنه بجلي أو لا.

هلال بن نافع

يروى السيد ابن طاووس في اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٧٥ -
٧٦ عن هلال بن نافع أنه «قال: إني كنت واقفاً مع أصحاب عمر بن
سعد إذ صرخ صارخ أبشر أيها الأمير، فهذا شمر قتل الحسين. قال:
فخرجت بين الصَّفَّين، فوقفت عليه وإنه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت
قَطَّ قتيلاً مضمَّحاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهًا، ولقد شغلني نور
وجهه وجمال هيأته عن الفكرة في قتله.

فاستسقى في تلك الحال ماءً، فسمعت رجلاً يقول: والله لا تذوق
الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها. فسمعته يقول: يا ويلك،
أنا لا أرد الحامية ولا أشرب من حميمها، بل أردُ على جدي رسول
الله ﷺ وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب
من ماء غير آسنٍ وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي.

قال: فغضبوا بأجمعهم، حتى كأن الله لم يجعل في قلب واحد
منهم من الرحمة شيئاً، فاجتزوا رأسه وإنه ليكلّمهم فتعجبت من قلة

رحمتهم، وقلتُ: والله لا أجامعكم على أمر أبداً».

عدد القتلى في المعركة الصغرى

تفاوتت المصادر التاريخية حول عدد قتلى طرفي المعركة، وذلك على أنواع ثلاثة:

(١) لم تعتن بعض المصادر التاريخية بذكر قتلى أي من الطرفين، كما هي الحال مع الأخبار الطوال للدينوري، ص ٢٥٥؛ ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٧٨؛ والإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، ج ٢ / ٥ - ٦.

(٢) بينما يكتفي بعضها بإشارة بسيطة إلى بعض من قتلوا في المعركة، كما هي الحال مع تاريخ الطبري، ج ٤ / ٣١٢، الذي يذكر بأن شخصاً قد طعن ثم مات بعد انتهاء الحرب.

(٣) وفي بعضها إشارة إلى قتل مجموعة من جيش عبيد الله بن الحجاج فقط دون الجيش الثاني، كما هي الحال مع كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي، ج ٥ / ٩٢؛ والخوارزمي ج ١ / ٣٤٦.

ويظهر من التتبع أن الخوارزمي يتبع في آرائه خطى ابن أعثم في أحداث كربلاء، بل إنه يصرح بهذا الأمر. ولذلك يعدّ ابن أعثم هو مصدر الرأي الثالث، كما أنه لم يحدد العدد بالدقة، وإنما ذكر أنهم جماعة، والجماعة تنطبق على الثلاثة وعلى المئة.

أما الرأي الرابع، أن المقاتلة لم تكن بالجدية التي تسفك بها

الدماء، فلو كان كذلك، فمن المتوقع أن تحصّد الكثير من الأرواح، خصوصاً أن عدد جيش الحجاج خمسمئة مقاتل، مقابل خمسين شخصاً فقط، فالأقرب للواقع هو الرأي الثاني لتحديد عدد القتلى.

العباس ؑ يرمي الماء من يده

الرواية الأولى:

ورد في مقتل الحسين ؑ المنسوب لأبي مخنف الأزدي، ص ١٧٨، أن العباس ؑ «قال: لقد ضاق صدري وسئمت الحياة، فقال له الحسين ؑ: إن عزمّت، فاستسقي لنا ماءً، فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة، قالوا: واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين ؑ، فرمى بها».

وردت هذه الرواية في مقتل المنسوب لأبي مخنف، وهو يختلف عن الكتاب الفعلي له، ولذلك سنفضّل الحديث عنه الآن:

مقتل الإمام لأبي مخنف (ت ١٥٧هـ):

فالمؤلف هو: أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة الأزدي الغامدي الأزدي، كان جده مخنف بن سليم من أصحاب رسول الله ﷺ، وبعد رحيله ﷺ، صحب الإمام علياً وقتل وهو يقاتل إلى جانبه في حرب الجمل.

يعدّ كتابه من أقدم ما كتب في مقتل الحسين ؑ، ويتميّز عن بقية

المقاتل أنه يروي بواسطة أو واسطتين فقط عن أحداث كربلاء، وبخاصة أنه يعدّ من المؤرّخين الموثوق بهم لدى الفريقين. وتصنّفه كتب الرجال ضمن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

وقد ورد ذكر اسمه في كتب رجال الإمامية ومدحه كبار علمائها، نذكر بعضهم:

- قال الشيخ النجاشي في رجاله، ص ٣٢٠: «أبو مخنف: شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يُسكَنُ إلى ما يرويه».
- وقال عنه الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب، ج ١ / ١٩٨ - ١٩٩: «من أعظم مؤرّخي الشيعة، ومع اشتهاه تشييعه، اعتمد عليه علماء السُنّة في النقل عنه، كالطبري وابن الأثير وغيرهما، وليعلم أنّ لأبي مخنف كتباً كثيرة في التاريخ والسير».
- وقال عنه السيد الخوئي في معجم رجال الحديث، ج ١٥ / ١٤٢: «ثقة مسكون إلى روايته».
- وقد طعن فيه بعض أهل السنة والجماعة، منهم: الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ٣ / ٤١٩: «أخباري تالف، لا يوثق به ... وقال ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم».
- وكذلك الفيروز آبادي في القاموس المحيط، ج ٣ / ١٣٩: «إنّ أبا مخنف أخباري شيعي تالف متروك».

معنى الأخباري هو ذكر أخبار أهل البيت عليه السلام من الفضائل والأخبار التي تُظهِرُ حبهم عليه السلام، كما أنّ ما يريده القدامى من أهل السنة

من مسمّى «الشيعي» و«التشيّع»: الميل إلى أهل البيت ؑ سواء كان إمامياً أو سنياً، فيما يقصرون مسمّى «الرافضي» على من كانت عقيدته عقيدة أهل البيت ؑ، فيختص الرافضي في كلامهم بالإمامي.

يقول الشيخ اليوسفي الغروي في مقدّمة كتابه (وقعة الطف)، ص ٢٨: «إن أحداً من العامة لم يرمه بالرفض، كما هو المعروف من مصطلحهم؛ لأنهم لا يقصدون بالتشيّع سوى الميل إلى أهل البيت ؑ، وأمّا من علموا منه اتّباع أهل البيت ؑ في مذهبه، فإنهم يرمونه بالرفض لا التشيّع فحسب، وهذا هو الفارق في مصطلحهم بين الموردين».

ولذلك، قد يرجّح أن أبا مخنف كان ميّلاً لأهل البيت ؑ، ولم يكن من أتباعهم مذهبيّاً، وهو ما يرجّحه الشيخ اليوسفي في (معركة الطف)، ص ٣٠، إذ يقول: «إنه لا ينبغي التأمّل في كونه شيعياً لا إمامياً». وذهب الريشهري في موسوعة الإمام الحسين ؑ، ج ١ / ٩١ إلى أنه إمامي، على الأرجح.

وذكر له الشيخ النجاشي العديد من المصنّفات، منها: «كتاب الجمل، كتاب صفّين، كتاب النهروان، كتاب أخبار محمد بن أبي بكر، كتاب مقتل محمد بن أبي بكر، كتاب مقتل أمير المؤمنين ؑ، كتاب أخبار زياد، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل الحسن ؑ، كتاب مقتل الحسين ؑ، كتاب أخبار المختار، كتاب أخبار ابن الحنفية، كتاب أخبار الحجاج بن يوسف الثقفي».

الكتاب:

يسمى كتابه: ب (مقتل الحسين عليه السلام)، والكتاب ثابت له، فقد ذكره جملة كبيرة من العلماء والأدباء ونسبوه إليه، ويمكن ذكر مجموعة منهم:

- محمد بن عمر الواقدي (ت 207هـ).
- ابن قتيبة (ت 276هـ)، في كتابه الإمامة والسياسة.
- محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) في تاريخه.
- ابن عبد ربّه (ت 328هـ) في العقد الفريد.
- علي بن الحسين المسعودي (ت 345هـ) في مروج الذهب، وأخبار الزمان.
- الشيخ المفيد (ت 413هـ) في الإرشاد، وكذلك في النصر في حرب البصرة.
- الشهرستاني (ت 548هـ) في الملل والنحل.
- الخوارزمي (ت 568هـ) في مقتل الحسين عليه السلام.
- وابن عساكر (ت 571هـ) في تاريخ دمشق.
- ابن الأثير (ت 630هـ) في الكامل.
- سبط ابن الجوزي (ت 654هـ) في تذكرة الخواص.
- أبو الفداء (ت 732هـ) في المختصر في أخبار البشر.

ومما يؤسف عليه اختفاء أصل الكتاب، ولا يمكن التوصل إلّا إلى قسم منه، عبر جمع ما يرويه عنه هؤلاء المؤرّخون. أما هو مطبوع

ومتداول بين الناس تحت عنوان: «مقتل أبي مخنف»، لا يمكن الجزم بصحة نسبته إلى أبي مخنف، بل إنّ المقارنة بين مروياته ومرويات الطبري عنه تكشف عدم صحة نسبته إليه.

ومن شواهد اضطراب الكتاب وعدم صحة نسبته إلى أبي مخنف النقاط التالية:

- ورد فيه، ص 12: «وروى الكليني في حديث أن معاوية لما حضرته الوفاة...»، فليت شعري كيف يروي أبو مخنف الكتوفي 157هـ عن الكليني المتوفى 329هـ؟
 - انفرد بحديث مقتل مسلم بن عقيل، بنقل خبر: «حفر حفيرة له، وقع فيها، فأخذ مكتوفاً إلى ابن زياد».
 - انفرد بنقل خبر ركوب الإمام سبعة أفراس ونزوله منها وتوقفها وعدم تقدّمها أثناء سرده لأحداث نزول الإمام الحسين عليه السلام بكر بلاء.
 - شعر أم البنين الذي أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل المتوفى 315هـ، إذ يسبقه أبو مخنف في تاريخ الوفاة!
 - يحتوي الكتاب في طياته على كلمات من استعمال المتأخرين من العرب الناطقين باللغة الدارجة، مما لا يناسب أبا مخنف؛ كقوله: «نهزم قدامه»، و«راحت أنصاره»، و«يتحرّش»، ... وغيرها.
- وقد بادر عدّة من الباحثين المعاصرين إلى جمع ما رواه الطبري

وغيره من المصادر التاريخية عن أبي مخنف، للوصول إلى نسخة مقبولة من كتابه يمكن الوثوق بها، منهم: محمد باقر المحمودي، وحسن الغفاري، ومحمد هادي اليوسفي الغروي، ونشروه تحت العناوين التالية: عَبرَات المُصْطَفِينَ، ومقتل الحسين عليه السلام، ووقعة الطفّ.

الرواية الثانية:

يرويه الطريحي في المنتخب، ص ٣٠٧، إذ ورد فيه: «... وأراد أن يشرب، فذكر عطش الحسين وعياله وأطفاله، فرمى الماء من يده، وقال: والله لا أشربه وأخي الحسين وعياله وأطفاله عطاشى لا كان ذلك أبداً، ثم ملأ القربة، وحملها على كتفه الأيمن...».

يعد المنتخب للطريحي أقدم من روى رمي العباس الماء من يده، إذ لم نجد لها - حسب تتبع ما بين يدينا من مصادر - فيما سبقه من الكتب المعتمدة وغير المعتمدة. وقد تمت الإشارة إلى أن كثيراً من الزيادات وقعت في مصادر القرن العاشر وما تلاه، وهو ما يرجح عدم صحة الرواية، أيضاً، لكثرة ما اختلق من روايات في هذه الفترة الزمنية.

كتاب المنتخب للطريحي (ت ١٠٨٥هـ)

اسم الكتاب: «المنتخب في جمع المراثي والخطب»، ويعرف بـ (مجالس الطريحي)، و(المجالس الفخرية)، و(كتاب الفخري)، و(المنتخب الكبير)، و(منتخب الطريحي).

ومؤلفه: الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي

النجفي (٩٧٩ - ١٠٨٥هـ). فقيه إمامي، وعالم لغوي، وشاعر وأديب، وله مجموعة من المؤلفات التي تعد من الكتب المهمة، كمعجم مجمع البحرين. والطريحي محل توثيق عند عدد كبير من رجالي الشيعة ومُحدثيهم.

ولا يمكن وصف منتخب الطريحي بكتاب سيرة ولا بالمقتل، كما لا يمكن اعتباره كتاباً روائياً، وإنما هو مجموعة نثرية وشعرية أعدها الشيخ الطريحي ؑ لتكون مجالس حسينية معدة لخطباء المنبر الحسيني.

اعتمد عليه كثيرٌ من كتّاب السيرة في تصانيفهم حول عاشوراء والإمام الحسين ؑ، وقد دعت شهرته إلى عدم التروّي عند النقل عنه، الأمر الذي أدّى إلى تكريس المرويات التاريخية التي يرويها الطريحي دون تتبّع لصحّتها لدى الكثير. وقد غفل جُلّ كتّاب السيرة عن أنّ المنتخب هو المصدر للعديد من المرويّات ضعيفة السند، أو على الأقل فإنّ انتشاره الواسع أدّى إلى تفشيها بشكل كبير.

أما رأي أكثر علمائنا المحققين حول كتابه، فالتوقف، منهم:

- الميرزا محمد أرباب القمي، يقول حوله: «وفيه [منتخب الطريحي] مسامحات كثيرة لا تخفى على أولي العلم»، وفي موضع آخر يقول: «والرواية المنقولة فيه لا يُعتمد عليها». ويكتب الميرزا في سياق آخر بعد إثباته تواتر حديث الكساء: «وبخصوص حديث الكساء المعروف في زماننا، فلم يرد في الكتب المعتبرة،

وهو من متفردات منتخب الشيخ الطريحي، ونصّه لا يخلو من إشكال، ولا يخفى على أهل العلم ما عليها متفردات المنتخب»^(١).

- الشيخ الريشهري، يقول فيه: «جاءت معظم [أحداث] الكتاب دون ذكر مصدر، كما أنه ذكر أحاديث بشكل مرسل، وامتزج الغث والسمين، ولذلك لا ينسجم مع هدف المؤلف وأسلوبه»^(٢).

ويظهر من تصفّح الكتاب أن الشيخ الطريحي اعتمد كثيرًا على كتاب روضة الشهداء للملا الكاشفي، وقد سبقت الإشارة إلى ضعف هذا الكتاب وعدم أهليته للاعتماد عليه.

ولبيان قيمة الكتاب من الناحية العلمية، نعرض لبعض الأمثلة التي انفرد بذكرها المنتخب، ولا مصدر تاريخي لها سواه:

- ما رواه عن الإمام الحسين عليه السلام في الاستغاثة وطلب المعونة: «هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار» و«اسقوني شربة من الماء».

- تألف جيش ابن سعد من سبعين ألف راكب!.

- انفراده بذكر عرس القاسم ابن الإمام الحسن.

(١) جدل ومواقف، ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٢) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ محمد الريشهري، ج ١ / ٩٦.

- انفراده بذكر قصة العوذة المربوطة في يد القاسم.
- ما يرويه من أن الإمام الحسين ؑ جعل يقاتل الأعداء حتى قَتَلَ ما يزيد على عشرة آلاف فارس، ولا يبين النقص فيهم لكثرتهم. وهو عدد مبالغ فيه جدًا.
- انفراده بذكر رواية عن زينب ؑ أنها نطحت جبينها بمقدم المحمل في الكوفة.
- انفراده بذكر قصة حديث الكساء المطول. والملاحظة بخصوص ذكر بعض الأحداث فيه، وليس الحديث بصورة عامّة، فحديث الكساء المختصر من الأمور المطمئن بها عند الفريقين.

الرواية الثالثة:

يرويه العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٤٥ / ٤١، وهي: «... وقتل منهم - على ما روي - ثمانين رجلًا حتى دخل الماء. فلَمَّا أراد أن يشرب غرفة من الماء، ذكر عطش الحسين وأهل بيته، فرمى الماء وملاً القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجه نحو الخيمة ..».

لم يذكر صاحب البحار مصدرًا واضحًا سوى ما يسميهم: «بعض تأليفات أصحابنا»، ويبدو أن الرواية انتشرت بصورة واسعة في هذا القرن (الحادي عشر الهجري).

كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)

اسم الكتاب: (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار)،

وهو أحد كتب الحديث المشهورة لدى الإمامية.

مؤلفه: الشيخ محمد باقر المجلسي (١٠٣٧هـ - ١١١١هـ). وقد كتبه المجلسي أيام الدولة الصفوية التي تولى فيها منصب: شيخ الإسلام، وهو ما يعادل مفتي البلاد في الدول الإسلامية اليوم. يعد بحار الأنوار أكبر كتب الحديث الإمامية، حيث يتكون من ١١٠ مجلدات.

وقد مدح الكتاب مجموعة من علماء الإمامية، منه:

- الشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة، ج ٣ / ١٦، يقول: «هو الجامع الذي لم يكتب قبله ولا بعده جامع مثله؛ لاشتماله - مع جمع الأخبار - على تحقيقات دقيقة وبيانات وشروح لها، غالبًا لا توجد في غيره».
- روح الله الخميني، يقول: «بحار الأنوار يشتمل على أربعمئة كتاب ورسالة؛ ويعد لوحده بمثابة مكتبة كاملة»^(١).
- العلامة الطباطبائي، إذ يقول في حقّه: «يعدّ بحار الأنوار من ناحية جمع الأخبار والروايات دائرة معارف شيعية، وإن ذوق المؤلف في تبويب الكتاب وتصنيفه يثير الإعجاب، ومتابعته للآيات المتعلقة بالأبواب والموضوعات تحير العقول»^(٢).

(١) كشف الأسرار، الإمام الخميني، ص ٣١٩.

(٢) مهر تابان، محمد حسين الحسيني الطهراني، ص ٣٦.

وفي مقابل الإطراء على الكتاب، ثمة من انتقد الكتاب، وذلك لوجود ملاحظات علمية ومنهجية عدّة حوله. ونقد الكتاب لا يعدّ تقليلاً من أهميته، وإنما هو أمر متوقّع لكتاب في حجمه تصدّى فيه مؤلفه إلى جمع الأخبار الواردة عن أهل البيت ؑ، ومن طبيعة الأحاديث والأخبار الواردة عنهم ؑ أن تخضع للموازن العلمية في النقد والجرح والتعديل. ولأنّه موسوعة كبيرة، لا يمكن تناوله كاملاً، ولذلك نحصر حديثنا على المجلدين الرابع والأربعين والخامس والأربعين؛ لاختصاصهما بالإمام الحسين وواقعة كربلاء. إذ يمكن الإشارة إلى بعض الملاحظات، منها:

نقل بعض الأحاديث الضعيفة والشاذّة؛ وذلك بسبب جمعه لأخبار حادثة عاشوراء من مصادر متفاوتة القيمة العلمية، إذ يوجد في بعضها روايات ضعيفة ومجهولة وأخرى شاذّة. مع أنّه من عادة الشيخ المجلسي ذكر المصادر، إلا أنّه أغفلها في أحداث كربلاء، فكثير منها لم ينقلها عن مصادر معلومة. فعلى سبيل المثال: ما ذكره حول محاولة العباس ؑ لشرب الماء، ومن ثمّ تذكره لعطش أخيه الحسين وأهل بيته، ورمي الماء بعدها، وملء القربة وحملها.

ففي هذه الحادثة، مثلاً، يذكر الأحداث الطويلة دون إسناد، ويكتفي بقوله: إنه يرويها عن «بعض تأليفات أصحابنا». وهذا تضعيف في الكتب الناقلة، لعدم ذكرها في المصادر المعتمدة. وسترد أمثلة في ثنايا الكتاب.

ولذلك يؤخذ على المجلسي رحمته الله نقله لمثل هذه الأحداث دون الرجوع إلى المصادر الموثوقة، وبخاصة مع ملاحظة الفاصل الزمني الطويل بين وقت وقوع الحادثة وبين كتابته للبحار، مع ما يلاحظه المتتبع من احتواء بعض الأحداث على أمور خيالية من الصعب الوثوق في صحتها، مع أنّ بعضها قد تداولته الألسن بغرض الإبكاء واستدراار الدمعة، أو إظهار المظلومية آل محمد عليهم السلام.

الرواية الرابعة:

يرويه الشيخ عبد الله البحراني في كتابه (العوالم)، ص ٢٨٤، إذ ورد فيه: «.. فلما أراد أن يشرب عَرَفَةً من الماء، ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته، فرمى الماء وملاً القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجه نحو الخيمة..».

وقد عاصر الشيخ عبد الله البحراني الشيخ المجلسي، إذ إن وفاة الأول سنة ١١٣٠هـ، والثاني سنة ١١١١هـ. ويُعدّ الشيخ البحراني من تلامذة العلامة المجلسي البارزين، ولذلك نجد نقلاً حرفياً في كتاب المعالم عن كتاب البحار.

ومن المظنون قوياً أن خطباء المنبر الحسيني كان لهم انتشارهم وحظوتهم الاجتماعية في زمان العلامة المجلسي، وبسبب حالة الانفعال العاطفي أثناء الخطابة، وبغرض إبكاء الناس واستدراار الدمعة، كما يعبرون في أدبياتهم، ظهرت على ألسنتهم الكثير من الأوصاف والمبالغات التي لم تكن موجودة في المصادر التاريخية

الموثوقة، ويبدو أنها انتقلت إلى مجموعة من المصادر التاريخية التي ظهرت في عصر المجلسي وما تلاه، ومن بينها كتاب البحار، والكتب التي نقلت عن هذه المصادر التي ظهرت في هذا العصر، ككتاب العوالم، محل البحث.

ولذلك يؤخذ على المجلسي ؑ نقله لبعض أحداث كربلاء ووقائعها الخاصة بالإمام الحسين ؑ وأنصاره ؑ دون الرجوع إلى المصادر الموثوقة، وبخاصة مع ملاحظة الفاصل الزمني الطويل بين وقت وقوع الحادثة وبين كتابته للبحار، مع ما يلاحظه المتتبع من احتواء بعض الأحداث على أمور خيالية من الصعب الوثوق في صحتها، مع أن بعضها قد تداولته الألسن بغرض الإبكاء أو إظهار مظلومية آل محمد ؑ.

سحب الرواية الضعيفة على أخرى صحيحة

لا مصدر للرواية السابقة سوى مصادر تاريخية ظهرت في القرن العاشر أو القرن الحادي عشر، ولذلك يُحكم بضعفها، ويبدو أنها قد تكون مسحوبة عن رواية أخرى مشابهة لها، وهي رواية تسلط الضوء على نافع بن هلال، وظني أن هذه الرواية هي التي اشتبه العلماء والخطباء بينها وبين الرواية السابقة، وهي مروية في (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٧٨، إذ ورد فيه عن «أبي مخنف أنه قال: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: لما اشتد العطش على الحسين، دعا أخاه العباس بن علي، فبعثه في ثلاثين راكباً

وثلاثين راجلاً وبعث معه بعشرين قربة، فجاؤوا حتى دنوا من الماء، فاستقدم أمامهم نافع بن هلال الجملي. فقال له عمرو بن الحجاج: مَنْ الرجل؟ قال: نافع بن هلال، قال: مرحباً بك يا أخي، ما جاء بك؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلائتمونا^(١) عنه، قال: اشرب، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان، فقال له عمرو: لا سبيل إلى ما أردتم، إنما وضعونا بهذا المكان لنمنعكم من الماء».

قد يقال إن الروایتين تدلان على وجود حدثين:

الرواية الأولى: تدلّ على وجود جماعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يريدون تعبئة القرب بالماء مع وجود العباس ونافع، وقوله: «والله لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان» ومنعهم من الماء ثم محاربتهم ومجيئهم إلى الحسين عليه السلام بالقرب بعد تحصيل ماء القرب، وهو يوم السابع من محرم.

والرواية الثانية: عند رجوع الحسين عليه السلام إلى الخيام، وذهاب العباس بمفرده إلى المشرعة، وتمكّنه من الوصول إلى الماء، وتذكر عطش الحسين وأهل بيته، ورميه للماء ومن ثمّ ملئه للقربة، ومحاربة الأعداء بغية الوصول إلى أخيه الحسين عليه السلام، ولكنه لم يصل بسبب استشهاده عليه السلام.

(١) حلائتمونا، أي: طردتمونا.

وجواباً عن هذا التساؤل، نشير إلى أن هذه المصادر تتحدث عن واقعتين، أولاهما يرويها أبو الفرج الأصفهاني في مقاتله عن أبي مخنف، وأبو مخنف شخصية قريبة العهد زمنياً من الحدث، بينما الحادثة الثانية، يرويها صاحب البحار البعيد زمنياً عن وقت حدوثها، فيما لو حدثت، ولذلك يترجّح سحب فكرة مواساة الإمام الحسين ؑ وعدم شرب الماء من نافع إلى العباس ؑ.

ومن المهمّ بيان أنه، وإن صح هذا الحدث، فلا يكون كما يتخيله الناس، بأن يفرّق العباس ؑ الجيوش، ثم يتعدوا عنه، ومن ثم يصل إلى الفرات وينزل من فرسه ليملاً القربة، وبعدها يتذكّر عطش الإمام الحسين ؑ، ويرمي الماء؛ لأن جيش عمر بن سعد لا يتصوّر أن يتركوا العباس ؑ دون أن يحاربوه أن يمنعوه من الماء، وهو ما يجعلنا نجعل حقيقة ما وقع.

من أحداث يوم التاسع

جيش يزيد يعرض الأمان على العباس وإخوته ؑ

يروي الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ٨٩، ما عرضه جيش يزيد على العباس وإخوته، فيقول: «جاء شمرٌ حتّى وقفَ على أصحابِ الحسين ؑ، فقال: أين بنو أُختينَا؟، فخرجَ إليه العباسُ وجعفرُ [وعبد الله] وعثمانُ بنو عليّ بن أبي طالبٍ ؑ، فقالوا: ما تريدُ؟، فقال: أنتم، يا بني أُختي، آمنون. ففألتَ له الفتيةُ: لعنكَ اللهُ ولعنَ أمانَكَ، أتؤمننا وابنُ رسولِ اللهِ لا أمانَ له؟!».

كما أورد الطبري في تاريخه، ج ٤ / ٣١٤، أن: «أبا مخنف قال: عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري قال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب، قام هو وعبد الله بن أبي المحل وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العباس وعبد الله وجعفرًا وعثمان، فقال عبد الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير، إن بني أختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت، قال: نعم، ونعمة عين.

فأمر كاتبه فكتب له أماناً فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: (كزمان)، فلما قدم عليهم، دعاهم فقال: هذا أمان، بعث به خالكم. فقال له الفتية: أَقْرِئْ خَالَنَا السَّلامَ، وقل له: أَنْ لَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَمَانِكُمْ، أَمَّا اللَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَمَانَ ابْنِ سَمِيَّةَ. قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلَمَّا قدم به عليه فقرأه، قال له عمر: مَالِكَ وَيْلَكَ لَا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ وَقَبِحَ اللَّهُ مَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّكَ أَنْتَ ثَنَيْتَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا كَتَبْتَ بِهِ إِلَيْهِ، أَفَسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرًا كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَصْلَحَ، لَا يَسْتَسْلِمُ - وَاللَّهِ - حُسَيْنٌ، إِنْ نَفَسًا أَبِيَّةَ لَبِئْسَ جَنِيه.

فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟، أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه؟، وإلا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر؟، قال: لا، ولا كرامة لك، وأنا أتولى ذلك. قال: فدونك، وكن أنت على الرجال. قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، قال: وجاء شمر

حتى وقف على أصحاب الحسين. فقال: أين بنو أختنا؟، فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليؑ، فقالوا له: مالك وما تريد؟، قال: أنتم يا بني أختي، آمِنُونَ، قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، لئن كنتَ خالناً أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!^(١).

توضيح

أولاً: يظهر من الروایتين أن رفض العباس وإخوته للأمان وقع في قصتين لا قصة واحدة:

القصة الأولى: وقعت بين عبيد الله بن زياد وبين عبد الله بن أبي المحل بن حزام، حيث تحاورا وهما في الكوفة، فأقرّا أن يكتب عبد الله بن أبي المحل كتاباً يطلب فيه أماناً للعباس ؑ وإخوته؛ لأنهم أبناء عمته، فبعث هذا الكتاب مع مولى له، اسمه مردّد بين: (كرمان وكرمان وعرفان)؛ ليوصله لكربلاء فيراه العباس ؑ وإخوته، ولما رأوا الكتاب، قالوا: «لا حاجة لنا في أمانكم».

القصة الثانية: بعد هذه الحادثة، جاء شمر إلى أصحاب الحسين ؑ فقال لهم: أين بنو أختنا؟، فجاء العباس ؑ وإخوته إليه، فقال لهم: «أنتم آمنون بشرط ألا تكونوا مع الحسين ؑ»، فكان جوابهم:

(١) يراجع أيضًا: جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ؑ، ابن الدمشقي، ج ٢ / ٢٨٠ - ٢٨١؛ وإعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج ١ / ٤٥٤؛ وكتاب الفتوح، ابن أعثم الكوفي، ج ٥ / ٩٣ - ٩٤؛ والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٤ / ٥٦؛ والبداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ / ١٩٠.

«أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!».

ثانيًا: يظهر من سلسلة آباء (عبد الله بن أبي محل بن حزام) أن أم البنين بنت حزام عمته، ومن ثم، يكون ابن خال العباس عليه السلام وإخوته. وأما نسب شمر بن الجوشن الكلابي لأم البنين الكلابية، فإنهما يلتقيان في قبيلة كلاب. لذلك يصح قول شمر: «أين بنو أختنا؟» في حقّ العباس عليه السلام وإخوته.

ثالثًا: يعدّ هذا الموقف من المواقف المشرفة والنبيلة للعباس عليه السلام وإخوته، فإنهم رفضوا الأمان من القتل، وفضّلوا البقاء مع أخيهام الإمام الحسين عليه السلام وفدائهم له بأرواحهم، وقد استشهدوا في ذلكم السبيل.

حديث زينب مع العباس عليه السلام

جرى حديث بين العباس وأخته زينب عليها السلام بعد رجوعه من محادثة الشمر التي رفض فيها ما عُرِضَ من أمانٍ له ولإخوته الأشقاء. وقد روي بأن أبا الفضل العباس عليه السلام رجع يتهدرس كالأسد الغضبان، وأنّ الحوراء عليها السلام استقبلته وقد سمعت كلامه مع الشمر، فقالت له: «أخي، إن أحدثك بحديث؟»، قال: «حدثي يا زينب، لقد حلا وقت الحديث».

قالت: «اعلم، يا بن والدي، لما ماتت أمنا فاطمة عليها السلام، قال أبي لأخيه عقيل: أريد منك أن تختار لي امرأة، من ذوي البيوت والشجاعة حتى أصيب منها ولدًا ينصر ولدي الحسين بطف كربلاء. وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصر يا أبا الفضل».

فلما سمع العباس ؑ كلامها، تمطى في ركاب سرجه حتى قطعتهما، وقال لها: «أفي مثل هذا اليوم تشجعيني وأنا ابن أمير المؤمنين ؑ؟»، فلما سمعت كلامه سرت سرورًا عظيمًا^(١).

والرواية المروية - كما وردت في المصدر - لم تنقل عند مصادر سابقة، إذ لا يزيد تأليف الكتاب على مئة سنة، وعلى فرض قديمها فيُسَمَّ منها رائحة الوضع.

محادثة العباس ؑ للأعداء

تظهر العديد من المواقف محورية الدور الذي قام به وأداء العباس ؑ في معركة كربلاء التي كان لها - وما تزال - حضورها في الفكر والوجدان الإسلامي بصورة عامة، ولدى أتباع مدرسة أهل البيت بصورة خاصة.

ومن ذلك ما ترويه المصادر التاريخية حول الأحداث التي سبقت المعركة، وبالخصوص يوم التاسع، ومنها ما يرويه الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ٨٩: «ثُمَّ نَادَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: يَا خَيْلَ اللَّهِ، ارْكَبِي وَأَبْشِرِي. فَارْكَبَ النَّاسُ ثُمَّ زَحَفَ نَحْوَهُمْ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَحُسَيْنٌ ؑ جَالِسٌ أَمَامَ بَيْتِهِ، مُحْتَبٍ بِسَيْفِهِ^(٢) إِذْ خَفَقَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ،

(١) ثمرات الأعواد، السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي، ج ١ / ١٦٧، وقد مر الحديث عن تقييم الكتاب، فراجع. وقد وردت الرواية نقلًا عن هذا المصدر في كتاب (ليلة عاشوراء في الحديث والأدب)، للشيخ عبد الله الحسن، ص ١٨.

(٢) احتبى بالثوب: أداره على ساقيه وظهره وهو جالس على أليتيه وضم فخذه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند.

وَسَمِعَتْ أُخْتُهُ الصَّيْحَةَ، فَدَنَتْ مِنْ أَخِيهَا، فَقَالَتْ: يَا أَخِي، أَمَا تَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ قَدْ اقْتَرَبَتْ، فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ عليه السلام رَأْسَهُ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السَّاعَةَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ تُرَوِّحُ إِلَيْنَا. فَلَطَمَتْ أُخْتُهُ وَجْهَهَا، وَنَادَتْ بِالْوَيْلِ، فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ لَكَ الْوَيْلُ يَا أُخِيَّةُ، اسْكُتِي رَحِمَكَ اللَّهُ. وَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: يَا أَخِي، أَتَاكَ الْقَوْمُ، فَهَهِزْ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبَّاسُ، ارْكَبْ - بِنَفْسِي أَنْتَ يَا أَخِي - حَتَّى تَلْقَاهُمْ، وَتَقُولَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ وَمَا بَدَأَ لَكُمْ؟، وَتَسْأَلَهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِمْ.

فَاتَاهُمُ الْعَبَّاسُ فِي نَحْوِ مِنْ عِشْرِينَ فَارِسًا، فِيهِمْ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ وَحَبِيبُ بْنُ مُطَاهِرٍ، فَقَالَ لَهُمُ الْعَبَّاسُ: مَا بَدَأَ لَكُمْ، وَمَا تُرِيدُونَ؟. قَالُوا: جَاءَ أَمْرُ الْأَمِيرِ أَنْ نَعْرِضَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِهِ أَوْ نُنَاجِزْكُمْ. قَالَ: فَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَأَعْرِضَ عَلَيْهِ مَا ذَكَرْتُمْ. فَوَقُفُوا وَقَالُوا: الْفَهْ فَأَعْلِمَهُ ثُمَّ الْقِنَا بِمَا يَقُولُ لَكَ. فَاَنْصَرَفَ الْعَبَّاسُ رَاجِعًا يَرْكُضُ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام يُخْبِرُهُ الْخَبِيرَ.

وَوَقَفَ أَصْحَابُهُ يُخَاطِبُونَ الْقَوْمَ وَيَعْطُونَهُمْ وَيَكْفُونَهُمْ عَنْ قِتَالِ الْحُسَيْنِ. فَجَاءَ الْعَبَّاسُ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلَى الْغَدْوَةِ، وَتَدْفَعَهُمْ عَنَّا الْعِشْيَةَ، لَعَلَّنَا نُصَلِّيَ لِرَبَّنَا اللَّيْلَةَ وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ الصَّلَاةَ لَهُ وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ وَالِدُعَاءَ وَالِاسْتِغْفَارَ.

فَمَضَى الْعَبَّاسُ إِلَى الْقَوْمِ وَرَجَعَ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَمَعَهُ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ يَقُولُ: إِنَّا قَدْ أَجَلْنَاكُمْ إِلَى غَدٍ، فَإِنْ اسْتَسْلَمْتُمْ سَرَّحْنَاكُمْ

إِلَى أَمِيرِنَا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَسْنَا تَارِكِيكُمْ وَأَنْصَرَفَ».

دلالة الحادثة على مكانة العباس عليه السلام عند الإمام الحسين عليه السلام:

مما خاطب به الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام في هذه الحادثة مناداته بقوله: «بنفسي أنت»، وقد وردت هذه العبارة في أكثر من مصدر تاريخي، فمن ذلك ما يرويه الطبري في تاريخه، ج ٤ / ٣١٥: «وقال العباس بن علي عليه السلام: يا أخي، أتاك القوم، فنهض الحسين عليه السلام، ثم قال: يا عباس، اركب - بنفسي أنت، يا أخي - حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم، وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم».

ويرويه الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ٩٠: «وقال له العباس بن علي رحمة الله عليه: يا أخي، أتاك القوم، فنهض ثم قال: (يا عباس، اركب - بنفسي أنت يا أخي - حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم، وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم)».

وكذلك الشيخ الطبرسي في إعلام الوري، ج ١ / ٤٥٤: «قال: (يا عباس، اركب - بنفسي أنت، يا أخي - حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم؟...)»

وقد وردت أيضاً في المصادر التالية، حسب موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، من إعداد لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، هامش ص ٤٧٤:

- مقتل الخوارزمي، ج ١ / ٢٤٩

- الكامل في التاريخ، ج ٢ / ٥٥٨.

- اللهوف، ص ٨٨
- البداية والنهاية، ج ٨ / ١٩٠.
- بحار الأنوار، ج ٤٤ / ٣٩١.
- العوالم، ج ١٧ / ٢٤٢.
- وقعة الطف، ص ١٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وعبارة: «بنفسي أنت» تشير إلى مقام عالٍ وصل إليه العباس عليه السلام؛ لأن التعظيم من الإمام الحسين عليه السلام له بهذه العبارة دليل على علو مرتبته وصفاء العقيدة والعلم والعمل.

من أحداث ليلة عاشوراء

تحريك شرارة ثورة كربلاء

من المسائل التاريخية المهمة: بحث أسباب واقعة كربلاء، ووصول الأمر إلى مرحلة إعلان الثورة ضدّ يزيد بن معاوية من قبل الإمام الحسين عليه السلام. وليبيان هذه النقطة، من المهم نقل ما يذكره الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد، ج ٢ / ٨٧، إذ يقول: «وَلَمَّا رَأَى الْحُسَيْنُ نُزُولَ الْعَسَاكِرِ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بَيْنَوَى وَمَدَدَهُمْ لِقِتَالِهِ، أَنْفَذَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَلْقَاكَ. فَاجْتَمَعَا لَيْلًا فَتَنَاجَيَا طَوِيلًا، ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى مَكَانِهِ وَكَتَبَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْفَأَ النَّارَ، وَجَمَعَ الْكَلِمَةَ، وَأَصْلَحَ أَمْرَ الْأُمَّةِ. هَذَا حُسَيْنٌ قَدْ أَعْطَانِي عَهْدًا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ أَوْ أَنْ يَسِيرَ إِلَيَّ تَغَرٍّ مِنَ الثُّغُورِ، فَيَكُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مَا لَهُمْ

وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِهِ فَيَرَى
فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ رَأْيَهُ، وَفِي هَذَا لَكُمْ رِضَى وَلِلْأُمَّةِ صَلَاحٌ.

فَلَمَّا قَرَأَ عُيَيْدُ اللَّهِ الْكِتَابَ، قَالَ: هَذَا كِتَابُ نَاصِحٍ مُشْفِقٍ عَلَى
قَوْمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ: أَتَقْبَلُ هَذَا مِنْهُ وَقَدْ نَزَلَ
بِأَرْضِكَ وَإِلَى جَنْبِكَ؟، وَاللَّهِ لَئِنْ رَحَلَ مِنْ بِلَادِكَ وَلَمْ يَضَعْ يَدَهُ فِي يَدِكَ
لَيَكُونَنَّ أَوْلَى بِالْقُوَّةِ، وَلَتَكُونَنَّ أَوْلَى بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ، فَلَا تُعْطِهِ هَذِهِ
الْمَنْزِلَةَ، فَإِنَّهَا مِنَ الْوَهْنِ، وَلَكِنْ لَيَنْزِلَ عَلَى حُكْمِكَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَإِنْ
عَاقَبْتَ فَأَنْتَ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ ذَلِكَ لَكَ.

قَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: نَعَمْ، مَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ رَأْيُكَ، أَخْرَجَ بِهَذَا الْكِتَابِ
إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَلْيَعْرِضْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ النُّزُولَ عَلَى
حُكْمِي، فَإِنْ فَعَلُوا فَلْيَبْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سَلْمًا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَلْيَقَاتِلْهُمْ، فَإِنْ
فَعَلَ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، وَإِنْ أَبَى أَنْ يُقَاتِلْهُمْ فَأَنْتَ أَمِيرُ الْجَيْشِ، وَاضْرِبْ
عُنُقَهُ، وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ.

وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: أَنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ إِلَى الْحُسَيْنِ لِيَكُفَّ عَنْهُ
وَلَا لِيُطَاوِلَهُ، وَلَا لِيُثْمِنِيهِ السَّلَامَةَ وَالْبَقَاءَ، وَلَا لِيَعْتَدِرَ لَهُ، وَلَا لِيَتَكُونَ لَهُ
عِنْدِي شَافِعًا، انْظُرْ، فَإِنْ نَزَلَ حُسَيْنٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى حُكْمِي،
وَاسْتَسَلَّمُوا، فَابْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سَلْمًا، وَإِنْ أَبَوْا فَارْحَفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى
تَقْتُلَهُمْ، وَتُمَثِّلَ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لِدَلِيلِكَ مُسْتَحِقُّونَ، وَإِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَوْطِئِ
الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ، فَإِنَّهُ عَاتٍ ظُلُومٍ، وَلَيْسَ أَرَى أَنَّ هَذَا يَضُرُّ بَعْدَ
الْمَوْتِ شَيْئًا، وَلَكِنْ عَلَيَّ قَوْلٌ قَدْ قُلْتُهُ: لَوْ قَتَلْتُهُ لَفَعَلْتُ هَذَا بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ

مَضَيْتَ لِأَمْرِنَا فِيهِ جَزَاكَ السَّامِعِ الْمُطِيعِ، وَإِنْ أُبَيَّتْ فَاعْتَرِلْ
عَمَلَنَا وَجُنْدَنَا وَخَلَّ بَيْنَ شِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَبَيْنَ الْعَسْكَرِ فَإِنَّا قَدْ
أَمَرْنَاهُ بِأَمْرِنَا، وَالسَّلَامُ.

فَأَقْبَلَ شِمْرٌ بِكِتَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ
وَقَرَأَهُ، قَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا لَكَ .. وَيْلَكَ .. لَا قَرَبَ اللَّهُ دَارَكَ، قَبَّحَ اللَّهُ مَا
قَدِمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ أَنَّكَ نَهَيْتَهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ،
وَأَفْسَدْتَ عَلَيْنَا أَمْرَنَا، قَدْ كُنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَصْلُحَ، لَا يَسْتَسْلِمُ - وَاللَّهُ -
حُسَيْنٌ، إِنَّ نَفْسَ أَبِيهِ لَبَيْنَ جَنِّيهِ. فَقَالَ لَهُ شِمْرٌ: أَخْبِرْنِي مَا أَنْتَ صَاحِبُ
أَتَمُّضِي لِأَمْرِ أَمِيرِكَ وَتُقَاتِلُ عَدُوَّهُ وَإِلَّا فَخَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الْجُنْدِ
وَالْعَسْكَرِ. قَالَ: لَا، لَا، وَاللَّهُ، وَلَا كَرَامَةَ لَكَ، وَلَكِنْ أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ
فَدُونَكَ، فَكُنْ أَنْتَ عَلَى الرَّجَالَةِ. وَنَهَضَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ
عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لِيَتَسَعَ مَضِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ.

حسب هذا النص الذي ينقله الشيخ المفيد، فإن الذي حرّك الفتنة
لشتعل نيران الحرب هو شمر بن الجوشن، ويبدو أن شمراً كان في
هذا الموقف المذكور هو الشرارة الكبرى لثورة كربلاء.

والإشارة إلى هذه النقطة، مع عدم ارتباطها بصورة مباشرة
بالعباس عليه السلام، مهمة لبيان موقعية الحدث الكربلائي والظروف
الموضوعية التي أحاطت به، وبخاصة ما لا يشار إليه على المنابر من
أحداث.

العباس عليه السلام أول المعلمين للثبات مع الحسين عليه السلام

ورد في الإرشاد، ج ٢ / ٨٧، أن الإمام الحسين عليه السلام «جَمَعَ أَصْحَابَهُ عِنْدَ قُرْبِ الْمَسَاءِ .. قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام فَدَنَوْتُ مِنْهُ لِأَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَهُمْ - وَأَنَا إِذْ ذَاكَ مَرِيضٌ -، فَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَثْنِي عَلَى اللَّهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالْبُتَّةِ، وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً، فَاجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتِ آبٍ، وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا. أَلَا وَإِنِّي لِأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ، فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا.

فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنُو أَخِيهِ وَأَبْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ: لِمَ نَفْعَلُ ذَلِكَ لِنَبْقَى بَعْدَكَ، لَا أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ أَبَدًا. بَدَأَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ -، وَاتَّبَعَتْهُ الْجَمَاعَةُ عَلَيْهِ، فَتَكَلَّمُوا بِمِثْلِهِ وَنَحْوِهِ».

يمثل هذا هو الموقف سموًا في الذات من العباس عليه السلام وإخوته، وقد ذكر هذا الموقف أكثر من مؤرخ، منهم:

- تاريخ الطبري، ج ٤ / ٣١٧: «.. فقال له [الحسين عليه السلام] إخوته

وأبناءؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله ابن جعفر: لِمَ نفعل لنبقى بعدك؟، لا أَرانا الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس بن علي».

- روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ص ١٨٣: «.. فقال إخوته وأبناءؤهم وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل لنبقى بعدك؟، لا أَرانا الله ذلك اليوم أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن علي ﷺ واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه».

- مشير الأحزان لابن نما الحلبي، ص ٣٨: «.. فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: وَلِمَ نفعل ذلك لنبقى بعدك؟، لا أَرانا الله ذلك، وبدأهم العباس أخوه ثم تابعوه».

- إعلام الوري بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي، ج ١ / ٤٥٥: «.. فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك، لنبقى بعدك؟، لا أَرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن علي فأتبعه الجماعة عليه وتكلموا بمثله».

- اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، ص ٥٥: «.. فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك، لنبقى بعدك؟ لا أَرانا الله ذلك أبداً وبدأهم بذلك القول العباس بن علي ﷺ ثم تابعوه».

وقد مرّ سابقاً أن بداية شرارة الثورة كانت من كلامٍ شمر لعبيد الله بن زياد، ويظهر هنا أن بداية شرارة الثورة من قبل أصحاب الحسين ﷺ كانت من موقف العباس ﷺ السامي بقوله: «لِمَ نَفْعَلُ ذَلِكَ لِنَبْقَى بِعَدِكَ؟، لا أَرانا الله ذَلِكَ أَبداً»، ثم تبعه الأصحاب مندفعين بكلام

العباس عليه السلام.

ثم وقد وردت الحادثة في أكثر من مصدر تاريخي دون تحديد للعباس عليه السلام بأنه المبادر في الموقف، منها: طبقات ابن سعد، ج ٦ / ٤٣٦؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٠١؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤ / ٥٨؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ١٩١؛ وكتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي، ج ٥ / ٩٥.

معركة البطولة والتضحية في يوم عاشوراء

العباس عليه السلام والراية الكبرى

في صباح اليوم العاشر، أعطى الإمام الحسين عليه السلام الراية لأخيه العباس عليه السلام، كما أورد ذلك الأصفهاني في مقاتل الطالبين، ص ٥٦، فقال: «وكان .. قمر بني هاشم، وكان لواء الحسين بن علي عليه السلام معه يوم قتل».

ويؤكد ذلك الخوارزمي في المقتل، ج ٢ / ٦-٧، إذ يقول: «فجعل على ميمته زهير بن القين، وعلى مسرته حبيب بن مظاهر، ودفع اللواء إلى أخيه العباس بن علي عليه السلام».

ويؤيده ابن شهر آشوب في المناقب، ج ٣ / ٢٥٦، فيقول: «وكان عباس - السقاء قمر بني هاشم - صاحب لواء الحسين».

ومعهم ابن عتبة في عمدة الطالب، ص ٣٥٦، إذ روى بأن العباس: «كان صاحب راية الحسين عليه السلام أخيه في ذلك اليوم».

والمؤرخون، بصورة عامة، لم يختلفوا في أن الإمام الحسين عليه السلام أعطى أخاه العباس عليه السلام الراية المعركة يوم عاشوراء، وهذا دليل على

عظمة العباس ؑ وشجاعته بلا شك.

كيفية القتال

يظهر ممّا تورده المصادر التاريخية أن الإمام الحسين ؑ وأصحابه كانوا يقاتلون أعدائهم رجلاً رجلاً، ولم يقاتلوهم دفعة واحدة، وهذا ما توضحه نماذج ثلاثة من تلکم المصادر:

- الإرشاد، للشيخ المفيد، ج ٢ / ١٠٦: «ولم يزل يتقدم رجل رجل من أصحابه فيقتل، حتى لم يبقَ مع الحسين ؑ إلا أهل بيته خاصة».

- إعلام الوری بأعلام الهدی، للشيخ الطبرسي، ج ١ / ٤٦٤: «ولم يزل يتقدم رجل بعد رجل من أصحابه فيقتل، حتى لم يبقَ مع الحسين ؑ إلا أهل بيته خاصة».

- الدر النظيم، لابن حاتم العاملي، ص ٥٥٥: «ولم يزل يتقدم رجل من أصحابه فيقتل، حتى لم يبقَ مع الحسين ؑ إلا أهل بيته خاصة».

والملاحظة في الكلمات (رجل رجل) و(رجل بعد رجل) و(رجل) بمعنى واحد، والظاهر أن كلمة «رجل» الثانية في الدر النظيم سقطت من الطباعة.

ويبدو أن أهل بيته ؑ، كانوا كذلك يقاتلون رجلاً بعد رجل، وإنما جعل ؑ الدفعة الأولى من الأنصار، والدفعة الثانية من أهل

بيته عليه السلام، ولم يجعل الدفعة الأولى من يقتل رجلاً بعد رجل، والدفعة الثانية من يقاتل دفعة واحدة.

فرّقهم بمفرده عليه السلام

عُرف عن العباس بن علي عليه السلام بشجاعته وإقدامه في المعركة، وقد ظهرت هذه الشجاعة جليّة في معركة كربلاء، ويدل عليها ما تذكره المصادر التاريخية من قدرة العباس عليه السلام على تفريق فرقة عسكرية بمفرده. ومن المصادر التي تشير إلى هذه الحادثة:

- تاريخ الطبري، ج ٤ / ٣٤٠، إذ يروي الحادثة بقوله: «قاتل الصيداوي عمرو بن خالد وجابر بن الحارث السلماي وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبد الله العائذي في أول القتال، فشدوا مقدمين بأسياهم على الناس. فلما وغلوا^(١)، عطف عليهم الناس^(٢)، فأخذوا يحوزونهم^(٣) وقطعوه من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجاؤوا قد جرحوا. فلما دنا منهم عدوهم، شدوا بأسياهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قتلوا في مكان واحد».

- ما ورد في كتاب وقعة الطف، ص ٢٣٨، حول الرجال الأربعة الذين جاؤوا مع الطرماح بن عدي إلى الحسين عليه السلام، وهم: جابر

(١) وغلوا، أي: ساروا بعيداً.

(٢) عطف عليهم الناس، أي: انحرفوا عنهم.

(٣) يحوزونهم، أي: يقيمون حواجز بينهم وبين رفقاءهم.

بن الحارث السلماني، ومجمّع بن عبد الله العائذي، وعمر بن خالد الصيداي، وسعد مولى عمر بن خالد، إذ يشير إلى أنهم «شدّوا مقدمين بأسيا فهم على الناس، فلما وغلوا عطف عليهم الناس يحوزونهم وقطعوه من أصحابهم، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، [ثم] شدّوا بأسيا فهم فقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد».

- الكامل في التاريخ، ج ٤ / ٧٤: «وأما الصيداي عمرو بن خالد وجبار بن حارث السلماني وسعد مولى عمرو بن خالد ومجمع بن عبيد الله العائذي، فإنهم قاتلوا أول القتال، فلما وغلوا فيهم، عطفوا إليهم فقطعوه عن أصحابهم، فحمل العباس بن علي فاستنقذهم وقد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم حملوا عليهم، فقاتلوا فقتلوا في أول الأمر في مكان واحد».

وهذه الحادثة تظهر شجاعة العباس وهيمته وروحية الفداء عنده عليه السلام، فقد استنقذ أصحابه الذين قطعهم الأعداء عن أصحابهم، عندما استطاع أن يفرق بين جنود العدو بمفرده، ومن ثمّ الإحاطة بأصحابه الأربعة المجروحين بشجاعة عالية.

ومما يؤسف عليه أن تتمدّد الحادثة في بعض المصادر الحديثة بذكر ما لم تذكره المصادر القديمة، كما هي الحال مع كتاب إِبصار العين للسماوي، ص ١١٥، إذ ورد فيه:

«قال أبو مخنف أيضًا: ولما التحم القتال بين الحسين عليه السلام وأهل

الكوفة، شد هؤلاء مقدمين بأسياфهم في أول القتال على الناس، فلما غلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم، وقطعوه من أصحابهم، فلما نظر الحسين إلى ذلك، ندب إليهم أخاه العباس، فنهد^(١) إليهم وحمل على القوم وحده يضرب فيهم بسيفه قدمًا، حتى خلاص إليهم واستنقذهم فجاءوا وقد جرحوا، فلما كانوا في أثناء الطريق، والعباس يسوقهم رأوا القوم تدانوا إليهم ليقطعوا عليهم الطريق فانسلوا من العباس، وشدوا على القوم بأسياфهم شدة واحدة على ما بهم من الجراحات، وقتلوا حتى قتلوا في مكان واحد. فتركهم العباس ورجع إلى الحسين عليه السلام فأخبره بذلك، فترحم عليهم الحسين، وجعل يكرر ذلك».

وأما الوارد في المقتل المنسوب لأبي مخنف، ص ١٥٩، فهو: «أما الصيدائي عمرو بن خالد، وجابر بن الحارث السلماني، وسعد مولى عمرو بن خالد، ومجمع بن عبد الله العائذي، فإنهم قاتلوا في أول القتال، فشدوا مقدمين بأسياфهم على الناس، فلما غلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم وقطعوه من أصحابهم غير بعيد.

فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجاءوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم شددوا بأسياфهم فقاتلوا في أول الامر حتى قتلوا في مكان واحد».

(١) فنهد إليهم، أي: فهض إليهم.

حوارية بين العباس عليه السلام وإخوته

من العبارات التي وردت في بعض المصادر التاريخية على لسان العباس عليه السلام متوجّهاً بها إلى إخوته الأشقاء يوم عاشوراء قوله: «تقدّموا للقتال، حتى أرثكم؛ فإنه ولد لكم». وهي من الروايات التي تتوجّب دراستها وتحليلها. وقد رويت عنه بعدة صيغ في أكثر من مصدر تاريخي، منها:

- وقعة الطف لأبي مخنف (ت ١٥٨هـ)، ص ٢٤٥: «[ثم] إن العباس بن علي عليه السلام قال لإخوته من أمّه: عبد الله، وجعفر، وعثمان: يا بني أمي، تقدّموا حتى [أرثيكم]؛ فإنه لا ولد لكم، ففعلوا [وتقدّموا فقاتلوا قتالاً شديداً حتى، قتلوا]».

- تاريخ الطبري (ت ٣١٠)، ج ٤ / ٣٤٢: «وزعموا أن العباس بن علي قال لإخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان: يا بني أمي، تقدّموا حتى أرثكم؛ فإنه لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا وشد هاني بن ثابت الحضرمي على عبد الله بن علي بن أبي طالب، فقتله ثم شد على جعفر بن علي فقتله، وجاء برأسه ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي بن أبي طالب بسهم ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وجاء برأسه ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن أبي طالب، فقتله وجاء برأسه».

- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٨هـ)، ص ٨٨: «قال العباس بن علي لأخيه من أبيه وأمّه عبد الله بن علي: تقدم بين يدي حتى أرثك وأحتسبك؛ فإنه لا ولد لك، فتقدم بين يديه

- وشد عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي فقتله».
- الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، ج ٢ / ١٠٩: «فلما رأى العباس بن علي - رحمة الله عليه - كثرة القتلى في أهله، قال لإخوته من أمه - وهم عبد الله وجعفر وعثمان -: يا بني أُمي، تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله؛ فإنه لا ولد لكم. فتقدم عبد الله فقاتل قتالاً شديداً، فاختلف هو وهانئ بن ثبيت الحضرمي ضربتين فقتله هانئ، لعنه الله. وتقدم بعده جعفر بن علي ؑ فقتله أيضاً هانئ. وتعمد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي ؑ وقد قام مقام إخوته فرماه بسهم فصرعه، وشد عليه رجل من بني دارم فاحتز رأسه».
- إعلام الوری بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، ج ١ / ٤٦٦: «فلما رأى العباس بن علي كثرة القتلى في أهله، قال لإخوته من أمه - وهم: عبد الله وجعفر وعثمان -: يا بني أُمي، تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، وإنه لا ولد لكم، فقدم عبد الله فقاتل قتالاً شديداً فاختلف هو وهانئ بن ثبيت الحضرمي ضربتين فقتله هانئ، وتقدم بعده جعفر بن علي ؑ فقتله أيضاً هانئ، وتعمد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي - وقد قام مقام إخوته - فرماه فصرعه، وشد عليه رجل من بني دارم فاحتز رأسه».
- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، ج ٤ / ٧٦: «وقال العباس بن علي لإخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان تقدموا

حتى أرثكم، فإنه لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا، وحمل هاني بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي فقتله، ثم حمل على جعفر بن علي فقتله، ورمي خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي، ثم حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله، وجاء برأسه، ورمي رجل من بني أبان أيضًا محمد بن علي بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه».

- مشير الأحزان لابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، ص ٥٠: «فلما رأى العباس بن علي ؑ كثرة القتل في أهله، قال لإخوته من أمه - وهم عبد الله وجعفر وعثمان -: بأبي أنتم وأمي، تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنه لا ولد لكم، فاقدّموا على عسكر عمر ابن سعد إقدام الشجعان واملأوا صدورهم ووجوههم بالضرب والرمي والطعان».

- الدر النظيم لابن حاتم العاملي (ت ٦٦٤هـ)، ص ٥٥٦: «فلما رأى العباس بن علي كثرة القتل في أهله، قال لإخوته من أمه - وهم عبد الله وجعفر وعثمان -: يا بني أمي، تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله؛ فإنه لا ولد لكم. فتقدم عبد الله فقاتل قتالاً شديداً، واختلف هو وهاني الحضرمي ضربتين، فقتله هاني. وتقدم بعده جعفر بن علي، فقتله هاني أيضًا. وتعتمد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي، وقد قام مقام إخوته، فرماه فصرعه. وشد عليه رجل من بني دارم فاحتز رأسه».

التحليل:

النص الذي روته مجموعة من المصادر التاريخية المهمة أعلاه، يستدعي الوقوف أمام عبارتين مهمتين، هما قول العباس عليه السلام لإخوته: «أرثكم» و«لا ولد لكم».

العبارة الأولى: «أرثكم»

علّق الشيخ عبد الحسين الحلّي في كتابه النّقد النّزيه، ج ١ / ٩٩، على عبارة: «أرثكم»، إذ احتمل تصحيفها من: «أرزأ بكم» أو «أرزأكم». حيث يقال في اللغة: «أرزأ فلان ابنه»، أي: إذا أصيب به وفقده. وقد أيده السيد عبد الرزّاق المقرم مستقرباً هذا الرأي^(١).

ولعل الأقرب ما ذهب إليه الشيخ آقا بزرگ صاحب الذريعة، إذ يستقرب تصحيف (أرثكم) من (أرثيكم)، فكأنّه عليه السلام أراد أولاً: أن يفوز بالإرشاد إلى ناحية الحقّ، وثانياً: أراد تجهيز المُجاهدين، وثالثاً: البكاء عليهم ورثائهم؛ وبخاصّة أن ما يقدمون عليه نصره للحقّ الذي كانت تمثّله مبادئ الإمام الحسين ضدّ مبادئ الحكم الأموي.

إذ من المستبعد أن ترد على لسان العباس عليه السلام عبارة: «أرثكم»، وذلك لوجوه، منها:

- من المستبعد جدّاً أن يهتمّ العباس في تلك الساعات الرهيبة

(١) العباس عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرم، ص ١٨٦.

بالمال والأموال المادية، وهو من عُرفَ بتقواه وزهده، وهو من يقول الإمام الصادق ؑ في حقّه: «كان عمّا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله الحسين ؑ وأبلى بلاءً حسنًا، ومضى شهيدًا»^(١). وقد تواترت الأخبار عن سموّ نفسه ؑ وعلوّ كعبه في الدين وترفعه عن زخارف هذه الدنيا، ولو كان بهذه الدرجة من التعلّق بالمال، لقبل الأمان من عبيد الله بن زياد الذي أتى به شمر بن ذي الجوشن قبيل المعركة.

- ومن الناحية الفقهية، إن حيازة العباس لميراث إخوته مع وجود أمّهم أمّ البنين يخالف أحكام الميراث، فالأمّ من الطبقة المتقدّمة على الأخ، ومن غير المتوقع أن يجهل العباس هذا الحكم الشرعيّ.

- كما أنّ العباس ؑ لم يكن الوريث الوحيد لإخوته الأشقاء، في حال تم صرف النظر عن وجود أمّ البنين في ذلك اليوم؛ لوجود الأطراف وعبيد الله بن النّهشلية؛ فإنهما يشتركان مع العباس في الميراث، كما يُشاركهم سيّد شباب أهل الجنة وزينب العقيلة، وأمّ كلثوم ورقية، وغيرهنّ من بنات أمير المؤمنين ؑ، فكيف يختصّ العباس بالميراث وحده؟!.

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج ٣ / ١٨٤.

العبرة الثانية: «لا ولد لكم»

يضع السيد عبد الرزاق المكرم في كتابه مقتل العباس عليه السلام ثلاثة احتمالات حول هذه العبارة:

(١) لعل العباس قال هذه العبارة ليشتدّ حزنه، ومن ثم يعظم صبره، ويُرزأ بهم، ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة، إذ لا ولد لهم يُطالبون بهم.

(٢) وقد يكون ذلك بغية حصول الاطمئنان والثقة أمام سيّد الشهداء عليه السلام، ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم: «تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله؛ فإنّه لا ولد لكم». ولم يقصد بهم المخايل، وإنّما رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة؛ وهذا إرفاق بهم منه عليه السلام وحنان عليهم، وأداء لحقّ الأخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

(٣) وقد يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه، والتجهيز للجهاد بتقديم إخوته ليُناب أيضًا بأجر الصابرين، ويحوز كلتا السعادتين، وربما يدلّ عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبد الله من قول العباس له: «تقدّم بين يديّ حتّى أراك قتيلاً واحتسبك». فكان أوّل مَنْ قُتل من إخوته.

ويمكن التعليق على ما ذكره السيد المقرّم بما يلي:

ربما تضعف هذه الآراء الثلاثة للاضطراب وعدم انسجام العبارة الأولى: «تقدّموا حتّى أراكم / أرثكم»، مع العبارة الثانية: «فإنه لا ولد لكم». ولذلك قد يكون الصحيح أن عبارته وردت بهذه الصيغة: «تقدّموا حتّى أرثيكم، فإنه لا وُلدَ لكم»، وكأنّ العباس يقول: تقدّموا يا إخوتي، فإذا قتلتم فسأرثيكم بندبة كبيرة، إذ لا أولاد لكم يرثونكم ويندبونكم بعد رحيلكم.

أراجيز الحرب

أقدم مَنْ أورد رَجَزًا منسوبًا للعباس ؑ هو: أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) في كتابه الفتوح، ج ٥ / ١١٤، إذ يروي عنه ؑ:

أقسمت بالله الأعز الأعظم وبالحجور صادق وزمزم
وذو الحطيم والفنا المحرم ليخضبن اليوم جسمي بالدم
أمام ذي الفضل وذو التكرم ذاك حسين ذو الفخار الأقدم

ثم نقل ابن شهر آشوب في المناقب، ج ٣ / ٢٥٦، أرجوزة تختلف عن سابقتها، إذ يروي أن العباس: «مضى بطلب الماء، فحملوا عليه وحمل هو عليهم، وجعل يقول:

لا أهرب الموت إذ الموت رقي حتى أوارى في المصاليق لقا
نفسى لنفس المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس أغدوا بالسقا

ولا أخاف الشريوم الملتقى»

ففرقهم، فكَمَنَ له زيد بن ورقاء الجهني من وراء نخلة، وعاونه
حكيم بن طفيل السنبي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله،
وحمل عليهم وهو يرتجز:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبدا عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف، فكمن له الحكم بن الطفيل الطائي من وراء
نخلة، فضربه على شماله فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفار وابشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار قد قطعوا ببغيهم يساري

فاصلهم يا رب حر النار»

ثم نقل القندوزي (ت ١٢٩٤هـ) في (ينابيع المودة لذوي القربى)،
ج ٣ / ٦٧، عن العباس عليه السلام أبيات الرجز التالية:

يا نفس من بعد الحسين هوني فبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين شارب المنون وتشربين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

كما روى عنه الرجز التالي:

أقاتل اليوم بقلب مهتد أذب عن سبي النبي أحمد

أضربكم بالصارم المهند حتى تحيدوا عن قتال سيدي
إني أنا العباس ذو التودد نجل علي الطاهر المؤيد

ما يؤخذ على أبيات الرجز المروية عن العباس ؑ:

- ما تتناقله بعض المصادر من أبيات الرجز المروية عن العباس ؑ عليها بعض الملاحظات، يمكن سرد بعضها، وذلك كالتالي:
- بالمقارنة بين أبيات الرجز المروية في المصادر الثلاثة هذه، نجد أنها لا تتفق فيما بينها، إذ تختلف الأبيات اختلافاً واضحاً، بل يظهر عدم صحة نسبتها إلى العباس ؑ لما يتضمنه بعضها من معاني غير متعلقة.
 - ويضاف إلى ذلك: عدم وجود هذه الأبيات في مصادر مثل: الإرشاد ومقاتل الطالبين وتاريخ الطبري واللهوف وأكثر المصادر القديمة، الأمر الذي يرجح عدم صحة نسبتها إليه ؑ.
 - وبخصوص ما أورده القندوزي من أبيات، فلا يمكن اعتبارها، لعدم ورودها في مصادر سابقة، فكتاب ينابيع المودة من المصادر الحديثة، لوفاة صاحبه سنة ١٢٩٤هـ، ولا يصح اعتبار رواية فيه لم يسندها مؤلفها إلى مصدر سابق.
 - ما يتداول من أراجيز منسوبة إلى العباس يصعب التصديق بها، فما ينقل من أنه حين ضرب على يمينه، فأخذ السيف بشماله، وحمل وهو يرتجز:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف، فضرب على شماله، وهو يرتجز:

يا نفس لا تخشي من الكفار وابشري برحمة الجبار

مع النبي السيد المختار قد قطعوا ببغيهم يساري

فاصلهم يا رب حر النار

فهل الألم الفظيع وانشغاله بإيصال الماء أقل شأنًا من ضبط

القوافي وترتيب الشعر وتشويقه؟!

- بعض الأراجيز منسوبة كلها أو بعضها لأمير المؤمنين عليه السلام، كما

هي الحال مع الأبيات التالية:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة أضربكم ضربا يبين الفقرة

وكذلك الأبيات المنسوبة إلى القاسم بن الحسن عليه السلام:

إن تنكروني فأنا ابن حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة

على الأعادي مثل ربح صرصرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

- كما أن الأرجوزة المنسوبة إلى القاسم بن الحسن عليه السلام بينها

تضارب واسع بين المصادر، إذ يرويها الشيخ الصدوق في أماليه،

ص ٢٢٦، باللفظ التالي:

لا تجزعي نفسي فكل فان اليوم تلقين ذرى الجنان

بينما يرويها ابن شهر آشوب في المناقب، ص ٢٥٥، باللفظ التالي^(١):

إني أنا القاسم من نسل علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

من شمر ذي الجوشن أو ابن الدعي^(٢)

وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٤٥ / ٣٤، وردت هكذا:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن^(٣) سبط النبي المصطفى والمؤمن
هذا حسين كالأسير المرتين بين أناس لا سقوا صوب المزن

- بالغ الشعراء في وضع الأراجيز في كربلاء، لدرجة يصعب قبول أكثرها. نعم، يحتمل ثبوت قلة منها، كما هي الحال مع الرجز المنسوب إلى علي الأكبر ؑ:

(١) الأرجوزة الواردة في المناقب، ينقلها ابن شهر آشوب على لسان عبد الله بن الإمام الحسن، ولكن المتداول بين الخطباء نسبتها إلى أخيه القاسم.

(٢) الشطر: «من شمر ذي الجوشن أو ابن الدعي» لا يصح عروضياً إلا في حالة الضرورة، أو قراءة همزة الوصل في (ابن) همزة قطع، هكذا: (ابن).

(٣) الشطر: «إن تنكروني، فأنا ابن الحسن» مضطرب عروضياً، ولذلك عدل في بعض المصادر الحديثية إلى: «إن تنكروني فأنا فرع الحسن»، وورد في (المناقب)، ص ٢٥٥، هكذا: «إن تنكروني فأنا نجل الحسن».

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبیت الله أولى بالنبي

والله لا يحكم فينا ابن الدعي

كتاب المناقب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)

المؤلف:

أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨هـ)، المعروف بابن شهر آشوب. عالم إمامي إيراني، من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجريين. عبر عنه الحر العاملي في أمل الآمل، ج ٢ / ٢٨٥ بأنه «كان عالمًا فضلاً ثقةً محدثاً محققاً عارفاً بالرجال والأخبار أديباً شاعراً جامعاً للمحاسن». وقد ترك ابن شهر آشوب عدداً من المؤلفات، منها: أنساب آل أبي طالب، نخب الأخبار، الخصائص الفاطمية، مناقب آل أبي طالب، مثالب النواصب، معالم العلماء، الأوصاف.

كتاب: (مناقب آل أبي طالب):

تناول ابن شهر آشوب في هذا الكتاب الحديث عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام في فصل مستقل، فبدأ بالحديث أولاً عن فضائله ومناقبه، ثم عن معجزاته عليه السلام ومكارم أخلاقه والحوادث الخارقة للعادة التي حصلت بعد شهادته، ثم عن العلاقة الخاصة بين النبي ﷺ وبين الإمام الحسين عليه السلام، وعندها شرع بالحديث حول واقعة عاشوراء.

والكتاب، كما هو واضح من عنوانه، ليس كتابًا تاريخيًا، بل حاول فيه المؤلف أن يجمع الأخبار والروايات حول مناقب الأئمة ؑ وفضائلهم، مع الإشارة إلى شيء من وقائع عصرهم، دون مراعاة للترتيب الزمني فيها.

وقد نقل المصنّف حول سيرة الإمام الحسين ؑ ومناقبه وواقعة عاشوراء وشهادته روايات عديدة عن الإمام السّجاد والإمام الصادق والإمام الرضا ؑ، ويضاف إليها: الأخبار التي أوردها عن مصادر متعدّدة مثل: أنساب الأشراف للبلاذريّ، وتاريخ الطبري، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهانيّ، وعن رُواةٍ مثل أبي مخنف.

بعض الملاحظات على الكتاب:

ومن المهمّ الإشارة إلى بعض الملاحظات حول الأخبار والروايات التي نقلها ابن شهر آشوب، وهي كالتالي:

الأولى: نقل بعض الأخبار التي لا يمكن القبول بها عقلاً، وغير المنقولة عن المصادر القديمة المعتبرة، وكمثال على ذلك: يروي ابن شهر آشوب أن عدد من قتلهم الإمام الحسين ؑ في المعركة: ١٩٥٠ مقاتلاً، عدا الجرحى!. مع أن أكثر المؤرخين أشاروا إلى أن المقتولين ٨٨ مقاتلاً فقط. كما أنه ذكر تفاصيل شهادة أبي الفضل العباس بما يختلف عمّا رواه الشيخ المفيد في الإرشاد.

الثانية: انفراده بذكر بعض الأحداث، ومن ذلك: ما ذكره، في ج ٣ / ٢٥٦، حول استشهاد ابن للإمام الحسين ؑ، اسمه: القاسم،

ولم يذكره سواه من المؤرخين.

كما أنه يروي، أثناء الحديث عن استشهاد علي الأكبر عليه السلام، عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال، في ج ٣ / ٢٥٧: «على الدنيا بعدك العفا. وضمّه إلى صدره وأتى به إلى باب الفسطاط، فصارت أمه شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلم». وروايته هذه تشوبها مجموعة من الملاحظات، منها: أنه يجعل عليّاً الأكبر آخر من استشهد من بني هاشم، وهو خلاف ما تشير إليه معظم المصادر من أنه أول من بارز من بني هاشم. وممّا يؤخذ عليه أنه سمّى والدته علي الأكبر: «شهربانويه»، والصحيح أنها: ليلي. ومع عدم التدقيق على التسمية، فإنه لا يوجد دليل قويّ على حضورها في المعركة، وبخاصّة أن ابن شهرآشوب هو من يذكر ذلك، ولا تؤكّده بقية المصادر التاريخية أو الحديثية.

الثالثة: إنّ ابن شهرآشوب، وإن لم يصرّح بأنّ أخبار مبارزات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام والأراجيز المنقولة عن فتوح ابن الأعمش، إلّا أنّه، ومع قليل من التأمل والبحث والمقارنة بين هذين الكتابين، يتبيّن بسهولة التشابه الكبير بينهما، وأنّ ابن شهرآشوب قد نقل الكثير عن كتاب ابن الأعمش.

الرابعة: يعد الكتاب أقدم مصدر للأراجيز التي نُسبت إلى العباس عليه السلام بالخصوص.

ذهاب العباس إلى النهر كما يرويها المجلسي رحمته الله

يقول المجلسي: «وفي بعض تأليفات أصحابنا: إن العباس لما

رأى وحدته، أتى أخاه، وقال: يا أخي، هل من رخصة؟، فبكى الحسين ؑ بكاءً شديداً، ثم قال: يا أخي، أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرق عسكري. فقال العباس: قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة، وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين ؑ: فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء. فذهب العباس ووعظهم وحذرهم، فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون: العطش، العطش، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة، وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات، ورموه بالنبال فكشفهم، وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلاً حتى دخل الماء. فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء، ذكر عطش الحسين وأهل بيته، فرمى الماء وملاً القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجه نحو الخيمة»^(١).

وهذه الرواية تستحق التأمل في عدة نقاط، هي:

(١) خلوّ الرواية من السند والإشارة إلى مصدر محدّد، إذ اكتفى بعبارة: «بعض تأليفات أصحابنا»، وهذا ضعف وخلل منهجيّين.

(٢) ما يعلّق به محقّق البحار على المقطع التالي المروي على لسان الإمام الحسين ؑ: «يا أخي! أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرق عسكري» إذ يقول الشيخ محمد الباقر البهبودي: «هذه

(١) البحار، ج ٤٥ / ٤١ - ٤٢.

رواية مرسلة عن كتاب مجهول، يخالف كل المقاتل، فإن أصحاب الحسين عليه السلام كلهم قد تفانوا دون أهل بيته عليه السلام، وكان العباس عليه السلام آخر المستشهدين مع أخيه الحسين، فلم يكن هناك عسكر، حتى يقول الحسين: (إذا مضيت، تفرّق عسكري)».

وهي ملاحظة يتنبه لها السيد محمد باقر الموحّد الأبّطحي الأصفهاني في هامش كتاب العوالم ص ٢٨٤، إذ يقول ما يلي: «العسكر ليس دائماً بمعنى الجيش، بل يأتي بمعنى الكثير من كل شيء والمال والنعم، وفي المقام: إن العباس عليه السلام صاحب لواء الإمام الحسين عليه السلام كان آخر من برز إلى القوم، فبقائه ما انكسر ظهر الإمام وما انقطع رجاء أهل بيته، فصاحب اللواء يمثل عسكرياً، ويوجب ثباته وخوف العدو منه». والجواب فيه الكثير من التكلف، وكان الأولى به إنكار الرواية بدلاً عن الدفاع عنها.

٣) فيها بعض العبارات الضعيفة، مثل:

- قوله: «فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً»، والبكاء الشديد خلاف المطلوب في مثل هذا الموقف، ففي كل حرب يقوم القائد بتعبئة العسكر بالقوة والجرأة، لا اليأس والبكاء الشديد.
- قوله: «فقال العباس: سئمت من الحياة»، إذ كان المفروض أن يقول العباس: «فداء لك يا حسين» للرفع من المعنويات وشحن الهمم، لا أن يعبر عن سأمه من الحياة.
- قوله: «وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين»، إذ كان

المفروض أن يفدّي الحسين ؑ وأن يثار لمقام أخيه الشرعي، لا أن يثار لنفسه.

- قوله: «وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلاً حتى دخل الماء»، ومن الواضح أن هذه من المبالغات التي كثرت في كتب المجالس، مثل: معالي السبطين، إذ ورد أن الذين قضى عليهم: ١٥٠ ألفاً، وأشار الطريحي في المنتخب أن الإمام الحسين ؑ: «قتل ما يزيد ١٠ آلاف قتيل»، وذكر صاحب أسرار الشهادة أن «جيش الكوفة بلغ ستمئة ألف راكب ومليون راجل»، وأن «يوم عاشوراء بلغ ٧٠ ساعة».

العباس ؑ يحمل الراية بإصرار

يصف الدربندي تمسك العباس ؑ بحمل الراية، فيقول: «سمع العباس أخاه الحسين ؑ وهو يصرخ بالأعداء، فأسرع إليه، فوجد الخيل قد أحاطت به، وغشيت الرماح كأجام القصب، وقد قتل من كان معه من أهل بيته، وهو يمانع عن نفسه.

فأخذ العباس راية الحسين ؑ وجعل ينادي: يا أعداء الله، لئن قتلنا فلقد قتلنا منكم أضعافنا، ولم يزل يحمل مع أخيه ويجدل الفرسان، حتى أحالوا بينه وبين أخيه الحسين ؑ، فينما هو كذلك إذ كمن له رجل من بني زرارة يقال له: محارب بن جبير، فدار إليه وضربه على يمينه فقطعها.

وفي رواية معتبرة: إنه نوفل الأزرق، فلم يبال بها، ولم يرجع عن

قتالهم، وحمل الراية بشماله، وقال لأخيه الحسين عليه السلام: اعلم يا أخي، إن الآجال بيد الله تعالى وقد تقاربت، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. ثم أنشأ يقول:

أقدم حسينًا هاديًا مهديًا اليوم تلقى جدك النبيا
وحمزة والمرضى عليًّا وتلق حقًّا فاطمًا زكيًا

ثم حمل فيهم، حتى قتل منهم عدة رجال، وقطعت شماله من الزند، وكان القاطع لها: نوفل، لعنه الله، فأخذ الراية بأسنانه، وقيل: بساعديه، وضمها إلى صدره وحمل يقول: هكذا أحامي عن حرم رسول الله ﷺ، فعندها أحاطت به الأعداء فجدلوه صريعًا. وقيل: جاءه سهم فأصاب صدره فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين عليه السلام وقال: أدركني يا أبا عبد الله. فلما أتاه، رآه صريعًا فبكى عليه السلام وحمله إلى الخيمة^(١).

وتعليقًا على هذه الرواية، نجد فيها ملاحظات كثيرة، سندًا ومتنًا. ولعلّ من أبرزها: انفراد الدربندي بذكر بعض أحداثها، وذكر شخصيتين وهميتين، هما: نوفل الأزرق، الذي لم يتردّد ذكره إلا في زمن العلامة المجلسي، ومحارب بن جبير، الذي انفرد الدربندي بذكره.

(١) أسرار الشهادة للدربندي، ج ٢ / ٥٠٣ - ٥٠٤.

مقتل أبي الفضل العباس عليه السلام

لم يذكر الطبري في تاريخه مقتل العباس بن علي عليه السلام، وهكذا في كتاب (وقعة الطف) لأبي مخنف بتحقيق الشيخ الغروي، إذ لا ذكر لمصرعه عليه السلام فيه، وما ذكره ابن شهر آشوب من مقتل العباس عليه السلام يختلف عما في الإرشاد للشيخ المفيد، وبالموازنة بين ما ذكره الشيخ المفيد وبين ما عرضه ابن شهر آشوب، من الأولى تقديم ما ذكره الشيخ المفيد، فهو أكثر تدقيقًا، وأقرب عهدًا من الأخير.

مصرع العباس عليه السلام كما روي في الإرشاد للشيخ المفيد:

«واشتد العطش بالحسين عليه السلام، فركب المسناة^(١)، يريد الفرات وبين يديه العباس أخوه، فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم، فقال لهم: ويلكم، حوّلوا بينه وبين الفرات، ولا تمكّنوه من الماء.

(١) المسناة: تراب عالٍ يحجز بين النهر والأرض الزراعية.

فقال الحسين ؑ: (اللهم أظمئه)، فغضب الدارمي ورماه بسهم فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين ؑ السهم وبسط يده تحت حنكه، فانتزع الحسين ؑ السهم وبسط يده تحت حنكه، فامتألت راحتاه بالدم، فرمى به، ثم قال: (اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك). ثم رجع إلى مكانه وقد اشتد به العطش.

وأحاط القوم بالعباس فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده، حتى قتل، رضوان الله عليه، وكان المتولي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنسي، بعد أن أُنْخِنَ بالجراح فلم يستطع حراكًا^(١).

وقفة عند مقتل العباس ؑ:

(١) (زيد بن ورقاء الحنفي):

ورد الاختلاف في اسمه واسم أبيه ولقبه، فقد جاء في الإرشاد: زيد بن ورقاء الحنفي، وجاء في تاريخ الطبري، ج ٣ / ٣٣٥، والكامل في التاريخ، ج ٤ / ٢٤٣، ومقاتل الطالبين، ص ٨٩: زيد بن الرقاد الجَنَبي، وجاء في زيارة الناحية المنسوبة إلى الإمام الحجة ؑ في الإقبال لابن طاووس، ص ٤٩: يزيد بن الرقاد الحيتي، وجاء في مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤ / ١١٧: زيد ابن ورقاء الجهنبي.

والظاهر أن «الحنفي والحيتي والجهني» خطأ في النسخ؛ لأن

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ / ١٠٩ - ١١٠.

الطبري ذكر (زيد بن رقاد الجَنْبِي) وأنه رجل من جَنْب. كما أن (زيد) أصح من (يزيد) لشهرته عند المؤرخين، وكذلك (الرقاد) حسب الظاهر. وذكر أنه خرج مع جيش عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وشارك في قتل العباس عليه السلام كما ذكرنا، وقيل: إنه قام بقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل^(١)، وشارك في قتل سويد بن عمر ابن أبي المطاع^(٢).

(٢) (حَكِيمُ بْنُ طُفَيْلٍ السَّنْسِي):

ورد اختلاف طفيف في اسمه، إذ ورد بلفظ: «الحكم» في المناقب، ج ٣ / ٢٥٦؛ وبحار الأنوار، ج ٤٥ / ٤٠، ويبدو أنه من خطأ النساخ.

ويعد (حكيم بن طفيل) من أكثر من أُجرموا في حق الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره في كربلاء، فقد شارك في قتل العباس عليه السلام وسلب ثيابه^(٣)، كما أنه رمى الحسين عليه السلام وزعم أنه لم يصبه وأنّ السهم تعلق بسرّباله^(٤).

ورد في (الكامل لابن الأثير، ج ٤ / ٢٤٣): «أن المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي، وكان أصاب سلب العباس بن علي،

(١) الكامل في التاريخ، ج ٤ / ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٣ / ٣٣٤؛ والكامل في التاريخ، ج ٤ / ٧٩.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٤ / ٥٣٣.

(٤) تاريخ الطبري، ج ٤ / ٥٣٣؛ والكامل لابن الأثير، ج ٤ / ٢٤٣.

ورمى الحسين بسهم، وكان يقول تعلق سهمي بسرباله، وما ضره، فأتاه أصحاب المختار، فأخذوه».

ومن جرائمه ما ينقله عنه ابن طاووس في اللهوف، ص ٧٩: «ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من يتدب للحسين ؑ فيواطئ الخيل ظهره وصدره، فانتدب منهم عشرة، وهم: ... وحكيم بن طفيل السنبيسي ... فداسوا الحسين ؑ بحوافر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره».

رواية المنتخب لمصرع العباس ؑ

من الملاحظات التي تؤخذ على الطريحي فيما رواه بكتابه المنتخب حول مصرع العباس ؑ:

(١) «فلما رأى الحسين ؑ أخاه؛ وقد انصرع، صرخ: وا أخاه، وا عباساه، وا مُهَجَّة قلباه، يعز - والله - عليّ فراقك. فحملة على ظهر جواده، وأقبل به إلى الخيمة، فطرحه وهو يبكي حتى أغمي عليه»، ص ٤٣١.

ولتقييم الرواية سندًا، فإنها لم تذكر في المصادر القديمة. إما من حيث المضمون الذي، وإن يحمل فكرة قديمة، إلا أنها مرفوضة؛ لأنها مخالفة للواقع، فالحسين ؑ لم يحمل العباس ؑ على ظهر جواده، بل تركه في المسناة، أي شاطئ الفرات، ودفن في الموضع الذي استشهد فيه.

(٢) قال العباس: «يا أخي، هل من رخصة؟، فبكى الحسين ؑ بكاء

شديدًا، حتى ابتلت لحيته المباركة بالدموع»، ص ٣٠٦.

لم يذكر المؤرخون القدامى، حسب المصادر المتوفرة، بكاء الإمام الحسين عليه السلام في نعي أصحابه، فضلًا عن أن البكاء الشديد يدل على الخنوع والضعف والجزع، وهذا مخالف لما عُرِفَ عن الإمام الحسين عليه السلام من تحمّل وإقدام.

(٣) لما رأى العباس أخاه وحيدًا، أتى إليه، وقال: «يا أخي، كنت العلامة من عسكري»، ص ٣٠٦.

من الواضح أن ما ذُكِرَ في هذا المقطع يحكي حدثًا خياليًا، ولا يُتَصَوَّرُ أنه يروي حادثة واقعية، وبخاصة أنه يتعارض وما يرويه الطبري في تاريخه، ج ٤ / ٣١٢؛ والأصفهاني في مقاتله، ص ٧٨، وابن أعثم الكوفي في فتوحه، ج ٥ / ٩٢، من أن الإمام الحسين عليه السلام لما اشتد عليه وأصحابه العطش دعا أخاه العباس وبعثه في ثلاثين فارسًا وعشرين راجلًا وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً^(١). ففيما ترويه هذه المصادر، يظهر الإمام الحسين عليه السلام شخصًا مقدمًا لا يندب ويبيكي ويُظهِرُ المسكنة، خلافًا لما تصوره الرواية الأخيرة.

(٤) قال العباس عليه السلام: «يا ابن سعد، هذا الحسين بن بنت رسول الله

(١) وانظر أيضًا: الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج ٢ / ٥ - ٦؛ ومقتل الإمام الحسين، الخوارزمي، ج ١ / ٣٤٦.

يقول: (اسقوني شربةً من الماء)؛ لأن أطفاله وعياله وصلوا إلى الهلاك. وهو مع ذلك يقول: (دعوني أخرج إلى طرف الروم والهند، وأخلي لكم الحجاز والعراق، وأشرط لكم أن غداً في القيامة لا أخاصمكم عند الله)، ص ٣٠٦.

ما تظهره هذه الرواية الضعف والخنوع من قبل كل من الإمام الحسين عليه السلام، ومعه أخوه العباس عليه السلام أيضاً.

٥) يروي الطريحي في منتخبه أن العباس عليه السلام «ركب فرسه وأخذ رمحه والقرب في كتفه»، ص ٣٠٦.

وما يرويه الطريحي عن العباس عليه السلام بأنه متقلد رمحاً خلاف لما يرويه صاحب المناقب من أن العباس كان يتقلد سيفاً، إذ يروي ابن شهر آشوب في مناقبه، ج ٤ / ١٠٨: «.. فضربه على يمينه، فأخذ السيف بشماله .. فكمن له الحكم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة فضربه على شماله ..».

٦) ويروي أيضاً بأن «عمر بن سعد جعل أربعة آلاف خارجي موكلين على الماء»، ص ٣٠٦.

وهذه الرواية تخالف ما يرويه الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ٨٦، إذ يقول: «وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى عمر بن سعد: أن حُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمئة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين

وأصحابه وبين الماء أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام»^(١).

(٧) ويروي الطريحي بأن القاطع لليدين نوفل الأزرق، ص ٣٠٧. خلافاً لما ترويهِ المصادر الأخرى، إذ انفرد الطريحي والمجلسي بذكره.

(٨) وورد في المنتخب: «ثم جاء سهم آخر في صدره، فانقلب عن فرسه إلى الأرض وصاح إلى أخيه الحسين: (أدركني)، فساق الريح الكلام إلى الخيمة، فلما سمع كلامه، فرآه طريحاً، فصاح: (وا أخاه، وا عباساه، وا قرة عيناه، وا قلة ناصراه)، ثم بكى بكاء شديداً، وحمل العباس إلى الخيمة، فجددوا الأحزان وأقاموا العزاء»، ص ٣٠٧.

تشتمل هذه الرواية على ملاحظات كثيرة، يمكن الإشارة إلى ثلاثة أمور مخالفة لما في المصادر التاريخية القديمة، منها:

- ذُكِرَ في تلكم المصادر أن واحداً من أسباب استشهاد: وجود سهم في صدره.

- لم يذكر الطريحي ما رواه الخوارزمي على لسان الإمام الحسين عليه السلام من قوله: «الآن أنكسر ظهري وَقَلَّتْ حيلتي»، مع

(١) وانظر أيضاً: تاريخ الطبري، ج ٥ / ٤١٢، عن حميد بن مسلم؛ وأخبار الطوال، ص ٢٥٥؛ ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣ / ٢٤٧؛ وروضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ١٨٢.

أنه الحدث المتفق على روايته في المصادر القديمة بخصوص مصرعه.

- تخالف هذه الرواية ما تذكره تلكم المصادر من عدم نقل الحسين ؑ لأخيه من الشريعة إلى الخيمة.

رواية الدربندي لمصرع العباس ؑ

أورد كتاب (أسرار الشهادة) مصرع العباس ؑ في ٢٤ صفحة، وكل صفحة منها بحاجة إلى تدقيق ومراجعة من حيث السند والدلالة، فكان ممّا أوردته:

(١) «قال إسحق: فأتاه الحسين كالصقر إذا انحدر على فريسته، ففرقهم يميناً وشمالاً بعد أن قتل من المعروفين سبعين رجلاً، فجاء نحو العباس ؑ وهو ينادي: «وا أخاه! وا عباساه! الآن انكسر ظهري وَقَلَّتْ حيلتي»، ثم انحنى عليه ليحمله، ففتح العباس ؑ عينيه فرأى أخاه الحسين ؑ يريد أن يحمله، فقال له: إلى أين تريد يا أخي؟، فقال: إلى الخيمة، فقال: يا أخي، بحق جدك رسول الله عليك ألاّ تحمّلني، دعني في مكاني هذا. فقال ؑ: لماذا؟، قال: لأنني مستح من ابنتك سكينة وقد وعدتها بالماء ولم آتِها به، والثاني: إني كبش كتيبتك ومجمع عددك، فإذا رأي أصحابك وأنا مقتول فربما يقل عزمهم. فقال الحسين ؑ: جزيت عن أخيك خيراً حيث نصرته حياً وميتاً...».

قال: «فوضعه على مكانه ورجع إلى الخيمة يكفكف دموعه بِكُمِّهِ، فلما رأوه مقبلاً، أتت إليه ابنته سكينة ولزمت عنان جواده

وقالت: يا أبتاه، هل لك علم بعمي العباس؟، أراه أبطاً وقد أوعدني بالماء، وليس له عادة أن يخلف وعده، فهل شرب ماءً وَبَلَّ غليله ونسى ما ورائه؟، أم هو يجاهد الأعداء؟

فعندها بكى الحسين عليه السلام، وقال: يا بنتاه، إن عمك العباس قد قتل وبلغت روحه الجنان، فلما سمعت زينب رضي الله عنها صرخت ونادت: وا أخاه، وا عباساه، وا قله ناصراه، وا ضيعتنا بعدك.

فقال لها الحسين عليه السلام: إي والله، وا ضيعتنا بعده، وا انقطاع ظهره. فجعلت النساء يبكين ويندبن عليه، وبكى الحسين عليه السلام معهم ..^(١).

وتعليقاً على ما أورده الدر بندي في كتابه، فهو يُعَدُّ أول من ذكر هذا الحَدَث بهذه التفاصيل، وهذا الحدث مشهور عند الخطباء، إذ يروونه عن هذا الكتاب، مع عدم وروده في المصادر السابقة عليه، وإنما هي توسعة في قصص وأحداث ذكرت بصورة إجمالية في مصادر التاريخ والسِّيَر. نعم، يذكر الخوارزمي في (مقتل الإمام الحسين عليه السلام)، أثناء ذكره لتفاصيل مقتل أبي الفضل العباس عليه السلام ما ورد على لسان الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «الآن انكسر ظهري، وَقَلَّتْ حيلتي»^(٢).

(٢) «أتى زهير إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل، فقال

(١) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥٠٥.

(٢) مقتل الإمام الحسين، الخوارزمي، ج ٢ / ٣٤.

له: يا أخي، ناولني الراية. فقال له عبد الله: أو في قصور عن حملها؟، قال: لا، ولكن لي بها حاجة، قال: فدفعها إليه، وأخذها زهير وأتى فجأة العباس بن علي ؑ وقال: يا ابن أمير المؤمنين، أريد أن أحدثك بحديث وعيته، فقال: حَدِّثْ، فقد حلا وقت الحديث، حَدِّثْ ولا حرج عليك، فإنها تروى لنا متواتر الإسناد ..»^(١).

وما يَرِدُ على النقطة الأولى من ملاحظات، يَرِدُ على هذه النقطة أيضاً، ولذلك لسنا بحاجة إلى الإعادة.

(٣) «ثم نادى العباس: يا بني فلاح، أنا ابن أختكم أم عاصم الكلاية، وأنا عطشان .. فقال له عمر بن الحجاج: يَعْزُّ عَلَيَّ، يا ابن الأخت، ما نزل بك من العطش ... فسار العباس حتى نزل الفرات وجعل يملأ القربة ... فبلغ خبره إلى عمر بن سعد، فقال: عليّ برأس عمر بن الحجاج»^(٢) .. فبعث إليه وهو يقول: ألا تعجل عليّ، إنما عملت ذلك لأحتال على قتله»^(٣).

فيه إشكالات كثيرة، منها: أن (بني فلاح) الواردة في الرواية لم تذكر إلا في هذا المورد. كما أن قول العباس ؑ: «أنا عطشان» غير مناسبة في المقام.

(٤) يذكر الدربندي شعراً لأبي الفضل العباس لم يذكر في مصادر

(١) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٤٩٧.

(٢) اسمه - حسب مصادر تراجم الرجال -: عمرو بن الحجاج.

(٣) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٤٩٨.

قبله، ومن أمثلة ذلك^(١):

أنا الذي أعرف عند الزمجرة

وينقل أيضاً عن العباس عليه السلام:

لله عين رأت ما قد أحاط بنا

كما ينقل عن العباس عليه السلام الشعر التالي:

يا حسين بن عليّ إن يريد القوم فقدك

في هذا الشعر إشكالات، منها: أن كلمات البيت من الواضح أنها
حديثه الاستعمال، كما أن الوزن ليس من الأوزان المتداولة قديماً.

(٥) ومما يؤخذ على الدربندي نقله لقصة طويلة بين العباس عليه السلام
والمارد بن صديف التغلبي، في خمس صفحات، ومن الواضح أنها
قصة يغلب عليها جانب التخيل وعدم الواقعية، ولطولها نُعرض عن
ذكرها، ومن أراد، فليُراجعها في الكتاب بدءاً من الصفحة ٤٩٩ من
الجزء الثاني.

(٦) ما وقع فيه المؤلف من تعارض مع المصادر التاريخية
والروائية، إذ تروي تلکم المصادر أن قاطع يد العباس اليمنى رجل من
زارة يقال له: محارب بن جبیر، بينما يذكر الدربندي رواية أخرى،

(١) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٤٩٩.

تشير إلى أن قاطع يده الشريفة: نوفل الأزرق^(١).

ويؤيد الدربندي ما ينقله المجلسي في بحار الأنوار، ج ٤٥ / ٤٢، من أن القاطع لكلا يديه الشريفتين هو نوفل الأزرق. لكن هذا يخالف المؤرخين القدماء، إذ يروي الشيخ المفيد أن القوم «أحاطوا بالعباس فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده، حتى قتل، رضوان الله عليه، وكان المتولّي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنبيسي، بعد أن أُثخنَ بالجراح فلم يستطع حراكاً»^(٢).

(٧) انفراده بهذه الزيادة، يقول ؑ: «فسقط مخ رأسه على كتفيه، فهوى عن متن جواده وهو ينادي: وا أخاه وا حسينه وا أبتاه وا عليها»^(٣).

(٨) يروي الدربندي عن العباس ؑ أنه «حمل عليهم فتفرقوا عنه هاربين كما يتفرق عن الذئب الغنم، وغاص في أوساطهم، حتى قتل منهم - على ما نُقل - : ثمانمئة فارس»^(٤). وما ينقله الدربندي مبالغة ينفرد ؑ بروايتها.

(٩) كما يروي أن العباس ؑ عند مصرعه أبى إلا أن يموت عند المشرعة، وقال لأخيه الحسين ؑ: «إني مستح من ابتك سكينه وقد

(١) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥٠٣.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ / ١٠٩ - ١١٠.

(٣) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥٠٤.

(٤) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥٠٥.

وعدتها بالماء ولم آتها به»^(١)، رغم شهرة هذه القصة، إلا أنها ممّا انفرد بذكرها الدرر بندي.

(١٠) يروي عن الإمام الحسين عليه السلام بعد أن سمع أخاه العباس عليه السلام يقول: «الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي»، أنه ردّ عليه شعراً بقوله عليه السلام^(٢):

أخي يا نور عيني يا شقيقي فلي قد كنت كالركن الوثيق
.....

وهي خمسة أبيات ضعيفة في معانيها من غير المتوقع أن تكون من نظم الإمام، ويضاف إلى ذلك أنها لم ترد إلا في كتاب أسرار الشهادة.

(١١) تقول السيدة فاطمة عليها السلام في يوم القيامة: «يا أمير المؤمنين، كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العباس»^(٣)، سيأتي الحديث عن (كفي العباس عليه السلام).

(١٢) قصة حلم إعراض فاطمة الزهراء عنه لعدم زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام^(٤)، لا عبرة لمثل هذه الأحلام؛ لعدم حجيتها.

(١) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥٠٥.

(٢) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥٠٦.

(٣) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥١٤.

(٤) أسرار الشهادة، ج ٢ / ٥١٤.

إصابة حرملة لعين العباس ؑ بالسهم

يروي كتاب (تذكرة الشهداء) عن البعض: «أن العباس قال وهو على تلك الحال: أريد أن أنظر إلى وجهك مرة أخرى، ولكن حرملة ضرب عيني بالسهم».

وحول تقييم الرواية، يعترض عليها الشيخ الريشهري في (موسوعة الإمام الحسين ؑ)، ج ٤ / ٣٢٧، كما اعترض عليها قبل ذلك مؤلف (تذكرة الشهداء) الملاً حبيب الله شريف الكاشاني (ت 1340هـ)، بقوله: «في غاية الضعف، ولم تذكر في الكتب المشهورة».

تعريف بتذكرة الشهداء ومؤلفه:

للملاً حبيب الله الكاشاني مجموعة كبيرة من المؤلفات تصل إلى ٢٠٠ مؤلف، وقد كان النشاط العلمي الرئيس له الفقه والعلوم المرتبطة به، إلا أنه كتب تاريخاً مفصلاً في الترجمة لشهداء عاشوراء باللغة الفارسية بعنوان (تذكرة الشهداء)؛ لحبه الشديد للإمام الحسين ؑ. وقد نقل في هذا الكتاب من مختلف المصادر قويها وضعفها، رغم رفضه لبعض الأخبار الضعيفة - كما مر أعلاه - فقد بقي في الكتاب عدد منها، وليس لهذه الأخبار سند تاريخي ولا توجد قرائن أخرى إلى جانبها، ولذلك لا يمكن الوثوق بروايات الكتاب، بل الكتاب يحتوي على روايات انفرد بها ولم ترد في مصادر سابقة^(١).

(١) راجع: موسوعة الإمام الحسين ؑ، الشيخ محمد الريشهري، ج ١ / ١٠١.

ما ورد حول احتضار العباس عليه السلام

وحسب ما تنقله المصادر القديمة أن الإمام الحسين عليه السلام عندما افترق عن أخيه العباس عليه السلام، لم يدرك الإمام عليه السلام أخاه حيًّا، بل استشهد قبل أن يلاقي الإمام عليه السلام. وهو ما يعني أن كثيرًا من الروايات الخاصّة بلقائهما حالة الاحتضار لا أصل لها. بل إنّ بعضها يُوضع بغرض إبكاء المستمعين لمجالس التعزية. ومن أمثلة ما يروى في لقائهما عليه السلام:

(١) «جاء إليه الحسين فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، والسهم نابت في العين، والعلم ممزق إلى جنبه، والقربة مخرّقة. نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلت حيلتي، الآن شمت بي عدوي...».

(٢) «انحنى عليه الحسين ليحتمله، ففتح العباس عينيه، فرأى أخاه الحسين عليه السلام يريد أن يحمله فقال له: إلى أين تريد بي يا أخي؟، فقال: إلى الخيمة، فقال: أخي، بحق جدك رسول الله ﷺ عليك، ألاّ تحملني، دعني في مكاني هذا، فقال عليه السلام: لماذا؟، قال: لحالتين، أما الأولى، فأني وعدت ابنتك سكينة بالماء ولم آتِها به، فأني مستح منها. وأما الثانية، فإنه قد نزل بي الموت الذي لا بد منه. فقال الحسين عليه السلام: جُزيتَ عن أخيك خيرًا».

(٣) «لما وصل الحسين إلى أخيه أبي الفضل، نزل عنده، أخذ رأسه، تركه في حجره، ثم جعل ينظر إلى يديه القطيعتين، ورأسه المفلق بعمود من حديد، وجسده الذي تناثر لحمه، من ضرب

السيوف، وطعن الرماح، ورمي السهام، هو يبكي وينادي: وا أخاه، فأحس العباس بحركة عند رأسه، فظن أن رجلاً من الأعداء يريد حز رأسه، فقال: بالله عليك أمهلني حتى يأتي إليّ ابن والدي، فقال الحسين ؑ: أخي عباس، أنا أخوك الحسين».

(٤) «لَمَّا رَأَى الرَايَةَ تَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ الْعَبَّاسُ يَنَادِيهِ: يَا أَخِي، أَدْرِكُ أَخَاكَ. وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْمَنَادَاةُ بِالْأُخُوَّةِ لَمْ يَسْمَعْهَا الْحُسَيْنُ مِنَ الْعَبَّاسِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ، بَلْ كَانَ يَنَادِيهِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ احْتِرَامًا وَتَقْدِيرًا، وَالْحُسَيْنُ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَنَادِيَهُ بِ: «يَا أَخِي»، فَكَأَنَّ الْعَبَّاسَ أَرَادَ أَنْ يَفْرَحَ قَلْبَ الْحُسَيْنِ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ لَهُ».

(٥) «فَرَفَعَ الْعَبَّاسُ رَأْسَهُ، وَوَضَعَهُ عَلَى التَّرَابِ، فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ وَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ رَفَعَ الْعَبَّاسُ رَأْسَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى التَّرَابِ، ثُمَّ أَخَذَ الْحُسَيْنُ رَأْسَ الْعَبَّاسِ وَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، وَعَادَ الْعَبَّاسُ فَرَفَعَهُ ثَالِثَةً وَوَضَعَهُ عَلَى التَّرَابِ، قَالَ الْحُسَيْنُ: أَخِي عَبَّاسُ، لِمَاذَا تَصْنَعُ هَكَذَا؟، قَالَ: أَخِي يَا نُورَ عَيْنِي، كَيْفَ لَا أَصْنَعُ هَكَذَا؟ وَأَنْتَ الْآنَ جِئْتَنِي وَأَخَذْتَ بِرَأْسِي. وَلَكِنْ بَعْدَ سَاعَةٍ، مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَكَ عَنِ التَّرَابِ؟، وَمَنْ يَمْسَحُ التَّرَابَ عَنْ وَجْهِكَ؟».

(٦) «لَمَّا رَجَعَ الْحُسَيْنُ مِنْ مَصْرِعِ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ، رَجَعَ وَهُوَ يَكْفُكِفُ دُمُوعَهُ بِكُمِهِ، فَتَلَقَّتْهُ أَخْتُهُ الْحَوْرَاءُ زَيْنَبُ، وَقَالَتْ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ رَجَعْتَ وَحِيدًا فَرِيدًا؟، أَيْنَ ابْنُ وَالِدِي؟، أَيْنَ أَخِي أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ؟، قَالَ: عَظَّمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ بِأَخِيكَ أَبِي الْفَضْلِ. وَقِيلَ: مَا

كلمها بشيء، بل راح إلى خيمة العباس، فأسقط عمودها، فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، ونادت زينب: وا أخاه وا عباساه».

(٧) «وأرادت أن تذهب إلى مصرع العباس، فوضع الحسين عليه السلام يده في صدرها، وقال: أُخَيَّة زينب، إلى أين تريد؟ ارجعي إلى الخيمة ولا تشمتي بنا الأعداء».

(٨) «أقبلت سكينه إلى الحسين عليه السلام وقالت له: أين عمي العباس، أراه أبطاً بالماء علينا؟، فقال لها: إن عمك قد قتل، فصرخت ونادت: وا عماه، وا عباساه. وسمعتها العقيلة زينب، فصاحت: وا عباساه، وا ضيعته من بعدك. فقال الحسين عليه السلام: إي والله، وا ضيعتنا وا انقطاع ظهره بعدك أبا الفضل، يعز عليّ والله فراقك».

وغيرها من الروايات الكثيرة التي لا نجد مصدراً لها سوى المصادر الحديثة، بينما هي مفقودة في مصادر الرواية القديمة. ولذلك، لا بد من فرز الروايات القديمة عن الحديث، وأن تركز القراءة الحسينية على مصادر تاريخية وروائية معتمدة؛ فإن البكاء الحاصل من هذه الروايات غير المعتبرة - بلا شك - أن أهل البيت عليه السلام لا يرغبون فيه؛ لارتكازه على مصادر غير موثوقة، قد يصل النقل عنها إلى مرحلة الكذب على أهل البيت عليه السلام وعلى ما دار في الواقع من أحداث، وتلك مخالفة شرعية، لا يقبلها أئمتنا عليه السلام.

«الآن انكسر ظهري»

ممّا يذكر على لسان الإمام الحسين ؑ بعد تألمه لشهادة أخيه العباس، قوله: «الآن انكسر ظهري»، وعند البحث عن مصدر هذه المقولة، نجد أن أقدم من أوردها الخوارزمي في مقتله، إذ ورد فيه، ج ٢ / ٣٤: «ثم خرج عباس بن علي - وأمه أم البنين أيضًا - وهو السقاء، فحمل وهو يقول:

أقسمتُ بالله الأعز الأعظم وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والفناء المُحَرَّم ليخضبن اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الأقدم إمام أهل الفضل والتكرم

فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة من القوم، ثم قُتل. فقال الحسين ؑ: الآن انكسر ظهري، وَقَلَّتْ حيلتي».

ولم أجد - حسب التتبع - في المصادر التاريخية القديمة من ذكر هذه العبارة على لسان الإمام الحسين ؑ سوى الخوارزمي.

ومع كونها كذلك، إلّا أنها انتشرت بصورة لا تخلو منها أكثر المصادر الحديثة، مع التوسع في أحداث لم يذكرها الخوارزمي، مصدر الرواية الأساسي، وهو ما التفت إليه الشيخ الريشهري في (موسوعة الإمام الحسين ؑ)، إذ يقول ج ٤ / ٣٢٧: «وقد جاء الكثير من الروايات الأخرى بشأنه أيضًا من كتب مثل: معالي السبطين، ج ١ / ٢٧٥ و ٢٧٠ و ٢٧١؛ شعشة الحسيني، ج ٢ / ١٨٤؛ وأسرار

الشهادات، ج ٢ / ٤٠٢ و ٤١٢؛ وناسخ التواريخ، ص ٤٤١ و ٤٣٨؛
وعنوان الكلام، ص ١٩٤ و ١٦٢ و ٢٨٠؛ وتذكرة الشهداء، ص ٢٧٠
و ٤٤٣؛ وسوكنامه آل محمد عليه السلام، ص ٣٠٠؛ والمنتخب للطريحي،
ص ٣٠٥؛ وأمثالها، ولكنها لا توجد في الكتب المعتمدة».

وممن ذكر هذه العبارة من المصادر الحديثة: محمد مهدي
الحائري في كتابه (شجرة طوبى)، إذ ورد فيه^(١): «في رواية: لما جاء
الحسين عليه السلام إلى أخيه العباس، انتحى عليه ليحتمله ففتح العباس
عينه، فرأى أخاه الحسين يريد أن يحمله، فقال له: إلى أين تريد بي يا
أخي؟ فقال عليه السلام: إلى الخيمة. فقال: أخي، بحق جدك رسول الله ﷺ
عليك ألا تحملي، دعني في مكاني هذا. فقال الحسين عليه السلام: لماذا؟،
قال: إني مستح من ابنتك سكينه، وقد وعدتها بالماء ولم آتها به،
والثاني: أنا كبش كتيبتك ومجمع عددك، فإذا رأي أصحابك وأنا
مقتول فلربما يقلّ عزمهم، ويذل صبرهم. فقال عليه السلام: جزيت عن
أخيك خيراً حيث نصرته حياً وميتاً...

وفي بعض الكتب: أخذ الحسين عليه السلام رأسه ووضع في حجره،
وجعل يمسح الدم عن عينه، فرآه وهو يبكي، فقال الحسين عليه السلام: ما
يبكيك، يا أبا الفضل؟ قال: أخي، يا نور عيني، وكيف لا أبكي
ومثلك الآن جئتني وأخذت رأسي عن التراب، فبعد ساعة من يرفع

(١) نقلاً عن: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم،
ص ٥٦٩.

رأسك عن التراب؟ ومن يمسح التراب عن وجهك؟ وكان الحسين ؑ جالساً إذ شهق العباس شهقة وفارقت روحه الطيبة. وصاح الحسين ؑ: وا أخاه! وا عباساه!.

في أسرار الشهادة: «أتاه الحسين كالصقر إذا انحدر على فريسته، ففرّقهم يميناً وشمالاً بعد أن قتل من المعروفين سبعين رجلاً فجاء نحو العباس ؑ وهو ينادي: وا أخاه! وا عباساه!، الآن أنكسر ظهري وقلت حيلتي، ثم انحنى عليه ليحمله ففتح العباس ؑ عينه فرأى أخاه الحسين ؑ يريد أن يحمله، فقال له: إلى أين تريد يا أخي؟، فقال: إلى الخيمة، فقال: يا أخي، بحق جدك رسول الله ﷺ، عليك ألاّ تحملني، دعني في مكاني هذا، فقال ؑ: لماذا؟، قال: لأني مستح من ابنتك سكينة وقد وعدتها بالماء ولم آتها به، والثاني: إني كبش كتيبتك ومجمع عددك، فإذا رأي أصحابك وأنا مقتول فربما يقلّ عزمهم، فقال الحسين ؑ: جزيّت عن أخيك خيراً حيث نصرته حياً وميتاً، قال: فوضعه على مكانه ورجع إلى الخيمة يكفكف دموعه بكُمّه، فلما رأوه مقبلاً أتت إليه ابنته سكينة ولزمت عنان جواده وقالت: يا ابتاه، هل لك علم بعمي العباس؟، أراه أبطأ وقد أوعدني بالماء وليس له عادة أن يخلف وعده، فهل شرب ماءً وبَلّ غليله ونسى ما وراءه؟، أم هو يجاهد الأعداء؟

فعندها بكى الحسين ؑ وقال: يا ابتاه، إن عمك العباس قد قتل وبلغت روحه الجنان، فلما سمعت زينب ؑ، صرخت ونادت: وا أخاه! وا عباساه! وا قِلّة ناصراه! وا ضيعتنا بعدك!، فقال لها الحسين

عليه السلام: إني والله، وا ضيعتنا بعده! وا انقطاع ظهراه!، فجعلت النساء يبكين ويندبن عليه، وبكى الحسين عليه السلام معهن ... إلخ».

قطع الكفين والرجلين

أبلى العباس عليه السلام في معركة كربلاء بلاءً حسناً، ولكنه لم يسلم من انتقام الأعداء، فقد ورد في المصادر القديمة إقدام الأعداء على قطع رجليه، كما أنه من الأمور المتسألمة بين المؤرخين ومحدثي السير ما أصابه من قطع للكفين، فمما ورد بخصوص قطع كفيه:

- الرواية المقبولة الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام التي يقول فيها: «رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب»^(١).

- ما ورد في المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤ / ١٠٨: «.. فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله .. فكمن له الحكم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة فضربه على شماله ..».

ومما ورد حول قطع رجليه، سلام الله عليه:

- ما روي في شرح الأخبار، ج ٣ / ١٩٣: «.. وقطعوا يديه ورجليه حنقاً عليه، ولما أبلى فيهم وقتل منهم؛ فلذلك سمي السقاء».

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١ / ٦٨، ح ١٠١.

- ما روي في المناقب والمثالب، ص ٣٠٩: «وقتل بين الفرات ومصرع الحسين ؑ فَنَمَّ قبره، وقطعوا يومئذ يديه ورجليه».

وما رواه ابن شهر آشوب يمكن قبوله، وإن رُدَّتِ الأراجيز التي رواها، وكذلك روايته في كيفية قطع الكف، إذ من غير المتعقّل قطع اليد بطريقة أقرب إلى الهندسة والدقة المتناهية في القطع في ذلك الزمان.

ومن خلال التوفيق بين الروايات، يحتمل أن يكون ارتكاب هذه الجريمة (قطع الكفين والرجلين) وقع بعد استشهاد؛ لما ورد في (شرح الأخبار) من قوله: «فقتلوه كذلك بين الفرات والسرّاق، وهو يحمل الماء، وثم قبره ؑ»، وقطعوا يديه ورجليه حَقًّا عليه^(١).

فغالبًا ما يتجرّأ المجرمون على ارتكاب هذه الفظائع بعد استشهاد المقاتلين.

إبدال كفي العباس ؑ بجناحين

وردت أعلاه الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق في أماليه، ص ٥٤٧، بلفظ: «حدثنا أبو علي أحمد بن زياد الهمداني ؑ، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن يونس بن عبد الرحمن، عن ابن أسباط، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن أبي صفية، قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين ؑ

(١) السُّرّاق: خيمة النساء، والحَقَق: الغيظ.

إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر.

ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله ﷺ من يوم أحد، قُتِلَ فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً.

ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

وقد أوردتها الصدوق في الخصال، ج ١ / ٦٨، بلفظ مشابه، ولكن بكلام مختصر.

وهذه الرواية مسندة وثابتة في مصدرها وهو كتاب الأمالي للصدوق، مع ما قد يشوبها من وجود علي بن سالم وأباه في سندها، وهما راويان مجهولان، إلا أن هذين الراويين رُوِيَ عنهما روايات رفيعة المستوى، وبخاصة فيما يتعلق بالجوانب العقائدية الدقيقة.

ومن حيث المتن، فإنها تتحلّى بالنفس الخاص لألفاظ أهل البيت عليهم السلام والنبرات الإلهية المشعة بالنور.

كفا العباس ؑ يوم القيامة

قال بعض الأكابر: «إن الزهراء ؑ تأتي يوم القيامة للشفاعة ومعها بعض المصائب، التي تحملتها في سبيل الله: وتأتي وعلى كتفها الأيمن قميص الحسن ؑ، وعلى كتفها الأيسر قميص الحسين ؑ، وبين يديها طبق فيه جنينها المحسن السقط، فيأتي جبرائيل ؑ فيقول لها: يا سيدة نساء العالمين، بِمَ تبدئين بالشفاعة أبيسقاط جنينك المحسن؟، تقول: لا، فيقول: أبقتل ابن عمك علي بن أبي طالب ؑ؟، تقول: لا، فيقول: أبقتل ولدك الحسن؟، تقول: لا، فيقول: أبقتل الحسين؟، تقول: لا، فيقول: إذن بمن تبدئين، يا زهراء؟

عند ذلك تُخرج الزهراء كفي أبي الفضل العباس ؑ وتقول: يا عدل يا حكيم، احكُم بيني وبين من قطعوا هذين الكفين، ما ذنب هذين الكفين حتى يقطعوا من الزندين؟».

إن مصدر هذه الرواية هو: كنز جامع الفوائد، الذي هو مختصر لكتاب أوسع منه، هو: (تأويل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة)^(١)، للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي

(١) اختُلِفَ في اسم الكتاب، فورد بالألفاظ التالية: (الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة)، و(الآيات الظاهرة في فضل العترة الطاهرة)، و(تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة)، و(تأويل الآيات الظاهرة الباهرة في فضائل العترة الطاهرة)، و(تأويل الآيات الباهرة في العترة الطاهرة)، و(الآيات الباهرات). راجع: تأويل الآيات الباهرة للاسترآبادي ٥/١؛ والذريعة، ج١٨/ ١٤٩؛ وأعيان الشيعة، ج٧/ ٣٣٦.

(من أعلام القرن العاشر)، وهو تلميذ المحقق الكركي، وصفه الحر العاملي في أمل الآمل، ج ٢ / ١٣١، بأنه: «كان فاضلاً محدثاً صالحاً».

وقد اختصر الكتاب (تأويل الآيات الباهرة) الشيخ علم بن سيف بن منصور النجفي الحلّي، وسمّى مختصره: (كنز جامع الفوائد)، وقد يسمى، اختصاراً: (جامع الفوائد) أو: (كنز الفوائد ودافع المعاند).

وعند البحث عن الرواية في كتاب (تأويل الآيات الباهرة) لا نجد لها أثراً، مع وجود إشارات في بعض المواقع الإلكترونية إلى وجودها فيه. نعم، توجد رواية مختصرة في أسرار الشهادة ٢ / ٥١٤، تشبهها في كثير من ألفاظها، إذ ورد فيه:

«وقد سمعت عن بعض من أثق به، أنه نقل عن بعض المتبعين في كتب المقاتل أنه قال: إذا كان يوم القيامة واشتد الأمر على أهل المحشر، بعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام إلى فاطمة رضي الله عنها لتحضر مقام الشفاعة، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: يا فاطمة، ما عندك من أسباب الشفاعة؟، وما ادخرت لأجل هذا اليوم الذي فيه الفرع الأكبر؟. فتقول عليه السلام: يا أمير المؤمنين، كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العباس ..». ثم يقول المؤلف: «وهذا، وإن كان من الأمور التي لم أظفر بها في كتاب من الكتب، إلا أنه مما ليس فيه بعد».

وهذه من الروايات التي تجري على الألسنة دون مصدر معتمد لا يمكن الوثوق بها؛ لضعفها وعدم معرفة الرواة. ويبدو أن هذه الرواية

قد تكون توسعة لرواية أخرى مشابهة، وردت في مصادر الحديث بألفاظ مختلفة، نذكر منها المصدرين التاليين:

- عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق، ج ١ / ١١: قال النبي صلى الله عليه وآله: «تحشر ابنتي فاطمة عليه السلام يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تتعلق بقائمة من قوائم العرش، تقول: يا أحكم الحاكمين، احكم بيني وبين قاتل ولدي. قال علي بن أبي طالب عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وَيُحْكَمُ لابنتي فاطمة، ورب الكعبة».
- كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ): «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول: يا عدل يا جبار، احكم بيني وبين قاتلي ولدي. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فيحكم الله لابنتي ورب الكعبة».

العمود

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب، ج ٤ / ١٠٨، أن قتل العباس عليه السلام كان بعمود من حديد، فيقول: «.. فَقَتَلَهُ الْمَلْعُونُ بِعَمُودٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ مَضْرُوعًا عَلَى سَطِّ الْفُرَاتِ بَكَى».

ويؤيده محمد بن أبي طالب الحسيني الموسوي (من أعلام القرن العاشر) في كتابه (تسليية المجالس وزينة المجالس)، ج ٢ / 310؛ والعلامة المجلسي (ت 1111هـ) في بحار الأنوار، ج 45 / 41. ومن المقارنة بين نص ابن شهر آشوب ونص هذين الكتابين،

يظهر أنهما ينقلان عن المناقب لتطابق الألفاظ بصورة كبيرة. وما تذكره هذه المصادر الثلاثة حول مقتل العباس عليه السلام بعمود من حديد يخالف ما تشير إليه المصادر القديمة، ويمكن التمثيل بمصدرين، هما:

- الإرشاد للشيخ المفيد (ت 413هـ)، ج 2 / 109 - 110، الذي يقول: «وأحاط القوم بالعبّاس فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل، رضوان الله عليه. وكان المتولّي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنبسي، بعد أن أثخن بالجراح فلم يستطع حراكًا».

- المناقب والمثالب للقاضي أبي حنيفة المغربي (ت 363هـ)، ص 309، إذ ورد فيه: «وقتل بين الفرات ومصرع الحسين عليه السلام فثَمَّ قبره، وقطعوا يومئذ يديه ورجليه».

متى قتل العباس عليه السلام ؟

يصرّح بعض المؤرخين القدامى بأن كلاً من الحسين والعباس عليهما السلام بقيا وحدهما ظهر يوم عاشوراء، كما هي الحال مع الأمثلة التالية:

- ورد في الثقات لابن حبان، ج 2 / 310: «فخرج العباس وأخوه واحتال حمل إداوة ماء، ودفع إلى الحسين عليه السلام، فلما أراد الحسين عليه السلام أن يشرب من تلك الإداوة جاء سهم فدخل حلقه، فحال بينه وبين ما أراد من الشرب، فاحترشته [العباس] السيوف حتى قتل».

- وفي الأخبار الطوال، ص ٢٥٧: «وبقي العباس بن علي ؑ قائماً أمام الحسين ؑ يقاتل دونه، ويميل معه حيث مال حتى قتل، رحمة الله عليه».

- وكذلك في الإرشاد، ج ٢ / ١٠٩: «.. فانتزع الحسين ؑ السهم وبسط يده تحت حنكه فامتألت راحته من الدم، فرمى به ثم قال: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك. ثم رجع إلى مكانه وقد اشتد به العطش، وأحاط القوم بالعباس فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل، رحمة الله عليه».

- وفي اللهوف، ص ١٧٠: «واشتد العطش بالحسين ؑ فركب المسناة يريد الفرات، والعباس أخوه بين يديه فاعترضتهما خيل ابن سعد، فرمى رجلٌ من بني دارم الحسين ؑ بسهم فأثبته في حنكه الشريف .. واقتطعوا العباس عنه، وأحاطوا به من كل جانب ومكان، حتى قُتِلَ، قدس الله روحه».

ويعارض هذه الرواية ما يذكره بعض المؤرخين، إذ يشيرون إلى أن آخر قتيلين يوم عاشوراء هما: سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، وبشير بن عمرو الحضرمي. وممن يروي ذلك:

(١) تاريخ الطبري، ج ٤ / ٣٣٩، إذ يروي عن أبي مخنف، فيقول: «قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، قال: لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا وقد خلص إليه وإلى أهل بيته ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي

المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي...».

ثم يقول، ج ٤ / ٣٤٠: «قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي قال: كان آخر من بقي مع الحسين من أصحابه: سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، قال: وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ علي الأكبر بن الحسين بن علي وأمه ليلي ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وذلك أنه أخذ يشد على الناس وهو يقول:

أنا علي بن حسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي»

ثم يقول، ج ٤ / ٣٤٦: «قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صُرِعَ فَأُتِيَ فوقع بين القتلى مشخماً فسمعهم يقولون: قُتِلَ الحسين، فوجد فاقة فإذا معه سكين وقد أخذ سيفه فقاتلهم بسكينه ساعة، ثم إنه قتل قتله عروة بن بطار التغلبي وزيد بن رقاد الجنبلي، وكان آخر قتيل».

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٢٠٠: «ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا ولم يبقَ معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي مطاع الخثعمي، وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بني أبي طالب علي الأكبر بن الحسين بن علي».

كما ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن الحسن بن علي عليه السلام هو

آخر من قتل من بني هاشم غير الإمام الحسين ؑ. يذكر ذلك السيد ابن طاووس في اللهوف، ص ٧٢، إذ يقول: «قال الراوي: فاستدعى الحسين ؑ بخرقة، فشد بها رأسه واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتَمَّ. فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبد الله بن الحسن بن علي ؑ وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين، فلحقته زينب بنت علي ؑ لتحبسه فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: لا والله، لا أفارق عمي، فأهوى (بحرُ بن كعب) وقيل: (حرملة بن كاهل) إلى الحسين ؑ بالسيف. فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة، أتقتل عمي؟، فضربه بالسيف، فاتقى الغلام يده، فأطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلقة، فنادى الغلام: يا أمّاه، فأخذه الحسين ؑ وضمه إليه، وقال: يا ابن أخي على ما نزل بك، وأحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين، قال: فرماه حرملة بن كاهل بسهم، فذبحه وهو في حجر عمه الحسين ؑ».

ويذكر ذلك أيضاً الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢ / ١١٠؛ ومثير الأحران لابن نما الحلبي، ص ٥٥ - ٥٦؛ وإعلام الوري بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي، ج ١ / ٤٦٧؛ والدر النظيم لابن حاتم العاملي، ص ٥٥٧.

وبالجمع بين هذه المرويات، يمكن الخروج بأن العباس ؑ كان من أواخر من قُتِلَ من الأنصار عمومًا، ومن بني هاشم خاصّة، ولا دليل على أنه آخر من قتل بحيث لم يبقَ غيره مع الإمام، بل الدليل

قائم على خلافه.

ويظهر من كلام أبي مخنف أن العباس أول من قتل كما ذكرنا، بينما يذكر المجلسي رحمته الله أن العباس قتل قبل علي بن الحسين الأكبر، وقتل قبل القاسم^(١)، ويظهر من كلام المفيد وابن طاووس أن العباس آخر من قتل، ولم يبق بعده أحد إلا سيدنا الحسين عليه السلام، والله أعلم بحقائق الأمور.

علاقة حرملة بمصرع العباس عليه السلام

ورد في أنساب الأشراف للبلاذري، ج ٣ / ٤٠٦: «وقال بعضهم: قتل حرملة بن كاهل الأسدي ثم الوالي العباس بن علي بن أبي طالب مع جماعة وتعاوروه^(٢)، وسلب ثيابه حكيم بن طفيل الطائي، ورمى الحسين بسهم فتعلق بسراله، ورمى حرملة بن كاهل الوالي عبد الله بن حسين بسهم فذبحه».

ولم يؤكد المصدر قاتل العباس بأنه حرملة ولو لمشاركته لزيد بن ورقاء الحنفي الوالي؛ لأنه عبر بـ: «قال بعضهم».

ويحتمل أن يكون قصد الكاتب: «وقال بعضهم: قتل حرملة بن كاهل الأسدي [أبا بكر بن الحسن بن علي]، ثم قتل الوالي العباس..»؛ لأنه هو المذكور قبله في العبارة التالية:

(١) البحار، المجلسي، ج ٤٥ / ٣٩ - ٤٤.

(٢) يقال: تعاور القوم الشيء واعتوروه وتعاوروه: تعاووه وتداولوه.

«ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسن بن علي بسهم فقتله، ففي ذلك يقول ابن أبي عقبة:

وعند غني قطرة من دمائنا وفي أسدٍ أخرى تعدّ وتذكر»

وتسمية حرملة بن كاهل بالوالي لم تُعرف إلا في هذا الكتاب، فهذا اضطراب في الموضوع الثاني.

ولذلك لم يثبت أن حرملة قاتل العباس عليه السلام، ولعل قاتله، حسب المشهور بين المؤرخين - هو: زيد بن الرقاد وحكيم بن الطفيل. وتعليقاً على ربط حرملة بمصير العباس، يقول السيد الجلالي، ص ٢١٢: «الظاهر أن المقتول على يد حرملة هو العباس الأصغر، لما مضى من أنه كان يحمل رأسه، وقد علقه على فرسه، فيما نقله أبو الفرج، وسبط ابن الجوزي».

سلب ثياب العباس عليه السلام

يروي تاريخ الطبري حادثة سلب الملابس ويشير إلى مرتكبيها، إذ ورد فيه، ج ٤ / ٥٣٣: «أن (المختار) بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طفيل الطائي السنبي وقد كان أصاب سلب العباس بن علي^(١)، ورمى حسيناً بسهم، فكان يقول: تعلق سهمي بسراله وما ضره، فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به».

(١) في المصدر: (صلب) بدل (سلب)، وهو تصحيف.

ولا ينفرد الطبري في نقل هذه الحادثة، إذ يشاركه في روايتها القاضي أبو حنيفة المغربي (ت ٣٦٣هـ) في كتابه شرح الأخبار، إذ يقول، ج ٣ / ١٩١: «وكان الذي ولي قتل العباس بن علي يومئذ يزيد بن زياد الحنفي، وأخذ سلبه حكيم بن طفيل الطائي، وقيل إنه شرك في قتله يزيد».

وقد أشار إلى هذه الحادثة ابن خلدون في تاريخه، ج ٣ / ٢٦، نقلًا عن الطبري؛ كما ينقلها عنه من المعاصرين الشيخ الريشهري في (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام)، ج ٤ / ٣٣٧.

الخلط بين العباس وأخيه عثمان في رواية الأصفهاني

أورد الأصفهاني في (مقاتل الطالبين)، ص ٧٨: «قال المدائني: حدثني أبو غسان هارون بن سعد، عن القاسم بن الأصبع بن نباتة، قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم، أسود الوجه، وكنتُ أعرفه جميلاً شديداً البياض، فقلت له: ما كدتُ أعرفك، قال: إني قتلتُ شاباً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمتُ ليلةً، منذ قتلته، إلا أتاني، فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح فما يبقى في الحيّ إلا سمع صياحي. قال: والمقتول هو العباس بن علي عليه السلام».

تعريف بالمؤلف:

أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصفهاني (٢٨٤ - ٣٥٦هـ)، من المؤرخين المكثرين وغزيري التأليف في القرن الرابع، وكان له تأليفات كثيرة، ولكن لم يصلنا منها سوى ثلاثة كتب، هي: (الأغاني)

الذي يعد كتابًا شاملاً للأدباء منذ العصر الجاهلي حتى عصر الأصفهاني، و(أدب الغرباء)، و(مقاتل الطالبين).

قال ابن حجر في قول الذهبي: «أبو فرج الأموي صاحب كتاب الأغاني شيعي، وهذا نادر في أموي. كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات، يأتي بأعاجيب يحدثنا. وكان كتبه في حدود الثلاث مئة، فكتب ما لا يوصف كثرةً حتى لقد اتَّهمَ والظاهر أنه صدوق»^(١).

وقد أخذ أبو الفرج نفسه بالجد في طلب العلم فنبغ وتفوق، وكان له من توقُّد ذكائه وسرعة حفظه وشغفه بالمعرفة ما مكن له من ناحية التفوق وذلكَّ له من شماس النبوغ وجعله ينهض بتأليف كتاب الأغاني، ولما بلغ الثلاثين من عمره، فإذا ما بلغها أو جاوزها بعام أو ببعض عام، ألَّف كتابه مقاتل الطالبين.

ويرجع نسب أبي الفرج الأصفهاني للأمويين، إلا أن لديه ميولاً شيعية في الحب، وإن كان سني المذهب، مما دفع ابن تيمية إلى الطعن فيه. ولكن الذهبي، تلميذ ابن تيمية، يقول فيه: «وما علمت فيه جرحاً إلا قول ابن أبي الفوارس: خلط قبل أن يموت، وقد أثنى على كتابه الأغاني جماعة من جلة الأدباء»^(٢).

(١) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ج ٤ / ٢٢١.

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٣ / ١٢٣.

الكتاب:

ألف أبو الفرج كتاب مقاتل الطالبين سنة ٣١٣هـ، وذكر وترجم أكثر من مئتي قتيل من آل أبي طالب خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، كما تناول القتلى الطالبين في نهضة عاشوراء والذين يتجاوز عددهم العشرين، ثم عمد بشكل مفصّل إلى الترجمة لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، واستعرض جوانب من ثورته وسبي أسرته.

وهو ينقل في كتابه الحكايات التاريخية بأسلوب المحدثين، فيذكر سندها في الغالب، وبذلك يتيح للباحثين قابلية دراستها، وهذا ما يرفع من قيمة الكتاب، وقد رفع طرقة إلى المؤرخين قبله، مثل: المدائني، وأبي مخنف، بل وحميد بن مسلم الراوي الذي شهد كربلاء، ومن الملفت إلى النظر أن له طرقاً إلى الإمام السجاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام.

وقد يمزج أحياناً بين روايات نصر ابن مزاحم والمدائني وروايات عمار الدُّهني وجابر الجعفي، ويذكر حصيلتها على أسلوب المؤرخين، إلا أنه لا يعتمد إلى النقد والتحليل إلا نادراً، ويغلب الطابع التاريخي على تسلسل وترتيب كتاب أبي الفرج، وعند ترجمته للأفراد أو بيانه لحالهم لا يعتمد منزلة الأفراد ومكانتهم وفضائلهم^(١).

(١) اقرأ حول المؤلف والكتاب: موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الريشهري، ج ١/

التعليق على الرواية:

وبعد التعريف بالمؤلف والكتاب، من المهمّ التعليق على الرواية
بالتالي:

الذي ذكرته الرواية أن قاتل العباس ؑ رجل من بني أبان من دارم، وهو خلاف ما اتفقت عليه المصادر الحديثية والتاريخية من أن قاتله هو: (زيد بن الرقاد) وشاركه: (حكيم بن طفيل). لذلك قد يكون الرجل القاتل من بني أبان من دارم هو من أقدم على قتل أخي العباس ؑ: عثمان بن علي ؑ وليس العباس، وما يدعو إلى ذلك بعض القرائن، نشير إلى ثلاثٍ منها:

القرينة الأولى:

ما تفيده عبارة: «شاب أمرد»: الشاب الذي طلع شاربه ولم تنبت لحيته بعد. وهي صفة لمن بلغ من العمر ١٧ سنة إلى ١٩ سنة تقريباً، وهو ما لا ينطبق على العباس ؑ البالغ في واقعة كربلاء ٣٤ سنة، وهذا ما يصرف الرواية إلى شخصية أخرى، نرجّح أن تكون أخاه: (عثمان) الذي بلغ يوم عاشوراء ٢١ سنة، إلا أن عمره أقرب من عمر أخيه العباس ؑ.

القرينة الثانية:

يصرّح الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه، ج ٤ / ٣٤٣، بذكر قاتل عثمان، فيقول: «.. وجاء برأسه ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان

بن علي بن أبي طالب بسهم ثم شدَّ عليه رجل من بني أبان بن دارم، فقتله».

وكذلك أبو الفرج نفسه في المقاتل، ص ٥٥، إذ قال: «قُتِلَ عثمان بن علي وهو ابن إحدى وعشرين سنة .. إن خولي بن يزيد رمى عثمان بن علي بسهم فأوهطه^(١) وشد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وأخذ رأسه».

والشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في الإرشاد، ج ٢ / ١٠٩، إذ ورد فيه: «.. وتعمد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي ؑ، وقد قام مقام إخوته فرماه بسهم فصرعه، وشد عليه رجل من بني دارم فاحتز رأسه».

ويؤيدهم ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في الكامل في التاريخ، ج ٤ / ٧٦، إذ يقول: «... ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي، ثم حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم، فقتله وجاء برأسه».

ويشاركهم الرواية ابن حاتم العاملي (ت ٦٦٤هـ) في الدر النظيم، ص ٥٥٦، إذ وردت بالنص التالي: «.. وتعمد خولي بن يزيد الأصبحي عثمان بن علي، وقد قام مقام إخوته، فرماه فصرعه. وشد عليه رجل من بني دارم فاحتز رأسه».

(١) أوهطه بمعنى: أضعفه.

القرينة الثالثة:

ورد اسم العباس ؑ في الرواية من كلام القاسم بن الأصبع بن نباتة وهو الراوي، لا الرجل القاتل الذي يعلم أكثر من غيره مَنْ قَتَلَ، ولذا قد يكون الاشتباه حاصلًا من الراوي.

القرينة الرابعة:

ورد في (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق، ص ٢١٨: «بهذا الإسناد، عن عمر بن سعد عن القاسم بن الأصبع بن نباتة، قال: قدم علينا رجل من بني دارم ممن شهد قتل الحسين ؑ مسود الوجه، وكان رجلًا جميلًا شديد البياض، فقلت له: ما كدُّ أَعْرَفُكَ لتغير لونك. فقال: قتلْتُ رجلًا من أصحاب الحسين يبصر بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه. فقال القاسم: لقد رأيته على فرس له مرحا وقد علق الرأس بلبانها وهو يصيب ركبته، قال: فقلت لأبي: لو أنه رفع الرأس قليلًا، أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها؟

فقال لي: يا بني، ما يصنع بي أشد، لقد حدثني، قال: ما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني في منامي حتى يأخذ بكتفي فيقودني ويقول: انطلق، فينطلق بي إلى جهنم فيقذف بي فأصبح، قال: فسمعت بذلك جارة له، فقال: ما يدعنا ننام شيئًا من الليل من صياحه. قال: فقممت في شباب من الحي، فأتينا امرأته، فسألناها، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقكم».

إننا لو دققنا النظر في هذه الرواية، لرأينا أنها لا تحتوي على

الوصف بـ (الأمرد)، ولا يوجد بها ذكر للعباس عليه السلام، فيحتمل هو المقصود، ويبقى احتمال عثمان بن علي عليه السلام أقوى من غيره؛ لعدم ذكر في هذه الرواية، فلو كان المقصود (العباس)، فهذا إخفاء لشخصيته وسترها.

أحداث ما بعد المعركة

دفن جسد الإمام الحسين عليه السلام وبقية أجساد الشهداء عليهم السلام

من المسائل التاريخية المهمة التي وردت حولها العديد من الروايات المتعارضة: حادثة دفن أجساد شهداء كربلاء. ولذلك من المهم الحديث عنها بشيء من التفصيل. ومن المهم البدء باستعراض الأقوال حولها، وهي - حسب التبع:

(١) دُفِنَ الشهداء عليهم السلام بإعانة من رسول الله ﷺ. يذكر ذلك الشيخ الصدوق في أماليه، ص ٣١٥، إذ يقول: «قال ابن عباس: في رواية سعيد بن جبير عنه، قال: فلمّا كانت الليلة، رأيت رسول الله ﷺ في منامي أغبر أشعث، فذكرتُ له ذلك وسألته عن شأنه، فقال لي: ألم تعلم أني فرغت من دفن الحسين وأصحابه؟».

(٢) دُفِنَ الشهداء بإعانة من الملائكة، يذكره الصفار في بصائر الدرجات، ص ٢٤٥: «حتى إذا مات الحسين رأى علي بن الحسين منه مثل ذلك، ورأى النبي ﷺ وعلياً والحسن يعينون الملائكة».

- ٣) دفنهم الإمام زين العابدين ؑ، وهي الرواية المشهورة.
- ٤) دفنهم رجالٌ من بني أشد، يذكر ذلك الشيخ المفيد في الإرشاد، ج٢/ ١١٤: «لما رحل ابن سعد، خرج قوم من بني أسد، كانوا نزلوا بالغاصرية إلى الحسين وأصحابه، رحمة الله عليهم، فصلوا عليهم، ودفنوا الحسين ؑ حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجله، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين ؑ، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معصاً، ودفنوا العباس بن علي ؑ في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاشرية، حيث قبره الآن».
- ٥) دفنهم ذكوان (أبو خالد)، ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته في ترجمة الإمام الحسين ؑ: «فقال ذكوان أبو خالد: خلّ بيني وبين هذه الرؤوس، فأدفنها، ففعل، فكفّنها ودفنها بالجبانة، وركب إلى أجسادهم فكفّنها ودفنهم».
- ٦) دفنهم غلامٌ لزهير بن القين الشهيد، يذكر ذلك ابن سعد أيضاً، في ترجمة الإمام الحسين ؑ، إذ يري بأن «زهيراً بن القين كان قد قتل مع الحسين، فقالت امرأته لغلام له يقال له: (شجرة): انطلق فكفّن مولاك، قال: فجئتُ فرأيت حسيناً ملقى، فقلت: أكفن مولاي وأدع حسينا، فكفّنت حسينا، ثم رجعتُ فقلت لها، فقالت: أحسنت، وأعطتني كفناً آخر، وقالت: انطلق فكفّن مولاك، ففعلت».

ومن بين هذه الأقوال، اشتهرت رواية دفن الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد لاقت هذا الانتشار إيماناً بمسألة عقائدية متداولة، هي القول بأن الإمام لا يلي أمره في التغسيل والصلاة والدفن إلا إمام. ونظرًا لتداول هذه المسألة العقائدية، ارتأيت بحثها قبل مناقشة الأقوال:

«الإمام لا يلي أمره إلا الإمام»:

في مقابل رواية دفن الإمام زين العابدين عليه السلام لأجساد الشهداء، تتعارض بقية الروايات الأخرى مع تولي المعصوم لتغسيل ودفن المعصوم، باستثناء الرواية الأولى (دفن النبي ﷺ للشهداء).

وحين ترفض بقية الأقوال لمعارضتها هذه المقولة العقائدية، فإنّ لذلك سوابق، فقد رفضت روايتان للسبب عينه، هما:

الأولى: «أوصى الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن تغسله أم ولد إذا مات، فغسلته».

- فقد رفضها الشيخ يوسف البحراني في الحقائق الناضرة، ج ٣/ ٣٩١، بقوله: «ولا يخفى أن الرواية المذكورة لا تخلو من الإشكال؛ لما تحقّق عندنا من أنّ الإمام لا يغسله إلا إمام مثله، فلا بدّ من تأويل الخبر المذكور».

- ووافقه الشيخ مرتضى الأنصاري، في كتاب الطهارة، ج ٢/ ٢٨٤، إذ يقول: «رواية إسحاق بن عمار الواردة في إيصال علي بن الحسين عليه السلام بأن تغسله أم ولد له .. مع مخالفتها لما ثبت أن الإمام

لا يغسله إلا الإمام، إلا أن يحمل على المعاونة .. والمسألة محل إشكال».

- ويعضدهما السيد محسن الحكيم في مستمسك العروة، ج ٤/ ٨٩، إذ يقول: «الرواية - مع ضعف في نفسها - مخالفة لما دلّ على أن الإمام لا يغسله إلا الإمام، وما تقدّم من أن فاطمة ؑ صديقة، ولا يغسلها إلا صديق».

الثانية: تغسيل الإمام الرضا ؑ، إذ توجد شهرة روائية بأن من غسله ودفنه مجموعة من المؤمنين وليس ابنه الإمام الجواد ؑ. إلا أن مجموعة من العلماء يعالج ذلك بما ورد من روايات تشير إلى أن تغسيلهم للإمام الرضا ؑ كان أمرًا ظاهريًا فقط، وذلك اعتمادًا على الرواية التالية:

«عن هرثمة بن أعين، وفيه أنه قال الرضا ؑ لهرثمة: فإنه سيشرف عليك المأمون ويقول لك: يا هرثمة، أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله؟، فمن يغسل أبا الحسن علي بن موسى، وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس؟. فإذا قال ذلك: فأجبه وقل له: إنا نقول: إن الإمام يجب أن يغسله الإمام، فإن تعدى متعدّ، فغسل الإمام، لم تبطل إمام الإمام لتعدّي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلبَ على غسل أبيه، ولو ترك أبا الحسن علي بن موسى بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً، ولا يغسله الآن أيضاً إلا وهو من حيث يخفى». يريد بأن الإمام الجواد يغسل أباه خفيةً.

روايات «الإمام لا يغسّله إلا الإمام»:

وما يدعو العلماء، رحم الله الماضين منهم وأيّد الباقيين، هو وجود مجموعة من الروايات الخاصة بذلك، كما هي الحال مع الرواية الأخيرة، ويضاف إليها:

ما أورده الشيخ الكليني في الكافي، ج ٨ / ٢٠٦: «عن أبي عبد الله عليه السلام: فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام، جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسّله ويكفنه ويحنّطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليه السلام، ولا يلي الوصي إلا الوصي».

ما أورده الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال، ج ٢ / ٧٦٤: «قال علي بن أبي حمزة: إنا رويناه عن آبائك أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله؟، فقال له أبو الحسن عليه السلام: فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام كان إماماً أو كان غير غمام؟، فقال: كان إماماً. قال: فمن ولي أمره؟، قال: علي بن الحسن».

قال: وأين كان علي بن الحسين عليه السلام؟، قال: كان محبوباً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد، قال: خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه، ثم انصرف. فقال له أبو الحسن عليه السلام: إن هذا أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه، فهو يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف، وليس في حبس ولا في إسمار».

ما أورده الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة، ص ٥٧: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لأبي الحسن عليه السلام غيبتين، إحداهما تقل والأخرى

تطول، حتي يجيئكم من يزعم أنه مات وصلى عليه ودفنه ونفض تراب القبر من يده. فهو في ذلك كاذب ليس يكموت وصي حتي يقيم وصياً، ولا يلي الوصي إلا الوصي. فإن وَلِيَهُ غَيْرُ وَصِيٍّ، عَمِي، لا يلي الوصي إلا الوصي».

ويقابل هذه الروايات، روايات أخرى تخصّص ذلك في التغسيل فقط، منها:

(١) ما أورده الشيخ الكليني في الكافي، ج ١ / ٣٨٤: «عن الرضا ؑ قال: قلتُ له: إنهم يحاجّونا يقولون: إنّ الإمام لا يغسّله إلّا الإمام، قال: فقال: ما يدريهم من غسّله؟، فما قلتُ لهم؟، قال: جعلتُ فدام قلتُ لهم: إنّ مولاي إنه غسّله تحت عرش ربي، فقد صدق، وإن قال: غسّله في تخوم الأرض، فقد صدق. قال: لا هكذا. قال: فقلت: فما أقول لهم؟، قال: قل لهم: إني غسلته، فقلت: أقول لهم إنك غسلته؟، فقال: نعم».

(٢) ما ورد في الكافي، ج ١ / ٣٨٤: «عن أبي معمر قال: سألتُ الرضا ؑ عن الإمام يغسّله الإمام، قال: سنة موسى بن عمران ؑ».

(٣) ما جاء في الكافي، ج ١ / ٣٨٤: «عن طلحة قال: قلتُ للرضا ؑ: إنّ الإمام لا يغسّله إلّا الإمام؟، فقال: أما تدرون من حضر لغسله، قد حضره خير ممّن غاب عنه: الذين حضروا يوسف في الجبّ حين غاب عنه أبواه وأهل بيته»^(١).

(١) وانظر: عيون أخبار الرضا ؑ، الشيخ الصدوق، ج ٢ / ٩٧ - ٩٨؛ ومختصر بصائر

٤) ما جاء في الخرائج وكشف الغمّة: «روى أبو بصير، عن أبي جعفر، قال: كان فيما أوصى به إليّ علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: يا بني، إذا متّ فلا يلي غسلني غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام بعده».

٥) ما أوردنا من رواية هرثمة عن الإمام الرضا عليه السلام، إذ ورد فيها: «ولو ترك أبا الحسن علي بن موسى بالمدينة، لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً، ولا يغسله الآن أيضاً إلا وهو من حيث يخفى».

وما أوردناه من الروايات، فإن الثلاث الأولى منها الخاصة بتولي أمر الإمام بصورة عامّة، فهي محلّ البحث ومحوره؛ لما يذكره الفقهاء من وجوب تكفين الشهداء في حال عريهم، ومن ثمّ دفنهم، إذ إنّ تولي أمر الإمام الحسين عليه السلام وبقية الشهداء عليهم السلام يشمل تكفينهم، بناء على ما ورد من روايات تثبت سلب ملابسهم من قبل الأعداء، وبعد ذلك دفنهم.

أما الروايات الخمس الأخريات، فليست محلّ البحث؛ لأنها تتحدّث عن التغسيل، والإمام الحسين عليه السلام رحل مع رفقائه شهداء، ما يسقط وجوب تغسيلهم.

التعليق على الروايات:

(١) يظهر أن روايات «لا يلي الإمام إلا الإمام» شاعت وانتشرت في

الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي، ص ١٣.

عهد الإمام الرضا عليه السلام. وهو العصر الذي ظهر فيه انشقاق عن مذهب أهل البيت عليه السلام، وهو مذهب الواقفية الذين وقفوا على إمامة الإمام الكاظم عليه السلام، وادّعوا بأنه حيّ يرزق وأنه القائم من آل محمّد ﷺ، فغيبته - حسبما يدّعون - كغيبه نبي الله موسى عليه السلام عن قومه. ويلزم - على هذا الادعاء - عدم انتقال الإمامة إلى ابنه الرضا. وأول من ابتدع هذه الفكر وأظهر الاعتقاد بها وروج لها بين أوساط الشيعة بعض الكبار من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، كعلي بن أبي حمزة البطائني، وزيد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، ويعدّ هؤلاء الثلاثة أول من ابتدع هذا المذهب وأظهر الاعتقاد به والدعوة إليه^(١).

ويظهر أنهم روجوا لهذه الفكرة ليشبّثوا عدم إمامة الإمام الرضا، لعدم تغسيله للإمام الكاظم لو صحّت وفاته، حسبما روجوا، فقالوا بحياة الإمام الكاظم وأنه القائم من آل البيت عليه السلام.

ويجاب عن ذلك:

- بأنه - استنادًا إلى ما أورده الشيخ الصدوق - أن تغسيل الإمام للإمام الذي قبله هو وجوب شرعي للأئمة عليه السلام، بحيث يجب على كل إمام أن يغسّل من سبقه ويحرم تولي ذلك من قبل غير الإمام. ولكن لو ارتكب ذلك غير الإمام، فإنه لا يقتضي بطلان

(١) انظر: النحلة الواقفية، حسين الشاكري، ص ١٦.

إمامة أيّ منهما: السابق أو اللاحق.

- كما أنّ الشيخ الصدوق عليه السلام يردّ بقوله: «على أنّا قد روينا في بعض هذه الأخبار أن الرضا عليه السلام غسل أباه موسى بن جعفر عليه السلام من حيث خفي على الحاضرين لغسله غير من اطلع عليه، ولا تنكر الواقعة أن الإمام يجوز أن يطوي الله له البُعد حتى يقطع المسافة البعيدة في المدّة اليسيرة».

(٢) قد يُعْتَرَض على هذه الروايات بأنها ضعيفة سنداً، ويجاب عن ذلك: بأن اعتماد الرواية لا يرتكز على السند فقط، إذ قد تقبل الرواية بما يحقّها من القرائن العقلائية والموضوعية المحيطة بالرواية. وبخصوص هذه الروايات يُطْمَأَنِّ إليها لكثرة الروايات الخاصّة بالمعنى الذي تتضمّنه.

(٣) ما يمكن الخروج به من هذه الروايات هو: الوجوب الشرعي على الإمام بأن يغسل الإمام الذي سبقه، وحرمة ذلك على غيره. وهذا في حال الاختيار، وفي حال عدم حضور الإمام اضطراراً، يجوز لغيره القيام بذلك. كما هي الحال مع دفن جسد الإمام الحسين عليه السلام، إذ كان الإمام زين العابدين مغللاً بالسلاسل في الكوفة، ما اضطر بني أسد للقيام بالعمل.

(٤) يفهم من بعض الروايات أنّ الإمام يحضر عند موت الإمام الذي سبقه في تغسيله والصلاة عليه ودفنه، وقد لا يعرف الناس عن ذلك. وهو ما يفاد من مجموعة من الروايات، منها ما يرويه أبو

الصلت الهروي الذي كان خادماً للإمام الرضا ؑ، يقول: «عندما تناول الإمام الرضا السمّ، دخلتُ معه إلى البيت وأمرني أن أغلق الباب، فغلقتُه وعدت إلى وسط الدار، فرأيت غلاماً عليه وفرة، ظننته ابن الرضا، ولم أك قد رأيته من قبل ذلك، فجلس مع الرضا مدةً تناجياً فيها، ثم ضمّه إلى صدره. بعدها تمّدّد الإمام الرضا على السرير وغطّاه ابنه محمد بالرداء، وقال: يا أبا الصلت، عظمَ الله أجرك في الرضا، فقط مضى. فبكيْتُ. قال: لا تبكِ، هاتِ الماء لنقوم في تغسيله. ثم امرني بالخروج، فقام بتغسيله وحده وكفّنه وحنّطه إلى أن قام الإمام بجميع مراسيم الوفاة، ثم عاد في نفس تلك الليلة إلى المدينة»^(١).

ومن خلال الجمع بين النقطة الثالثة والرابعة، يظهر أن الدافن للإمام الحسين هم رجال بني أسد، والمُعِين لهم: الإمام زين العابدين ؑ، بحيث حضر دون أن يعرفه أحد منهم.

(٥) يبدو أن الوجوب الشرعي ينصبّ على حضور الإمام حال احتضر الإمام الذي سبقه؛ ليوصيه ما يجب عليه ممّا يختصّ بأمور الإمامة والقيادة، وبعد ذلك الإشراف على مراسيم التغسيل والصلاة والدفن. وهو معنى يذكره محقّق كتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق في هامش ص ٧١، إذ يقول: «يمكن

(١) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج ١ / ٣٥٣.

أن يقال أن الأخبار التي وردت بأن الإمام لا يغسله إلا الإمام - مع ضعف سندها - لا تدلّ على وجوب المباشرة، إنما دلّلته على أن وليّ الإمام في التجهيز هو الإمام الذي بعده، سواء باشر ذلك بنفسه أو أمر من يفعل بإذنه أو برضاه إن غاب».

مَن دفن الإمام الحسين عليه السلام؟

حول دفن الإمام الحسين عليه السلام، ترد روايتان مشهورتان، الأولى منهما تشير إلى قيام بني أسد بذلك، وممّن يذهب إلى هذا الرأي:

- البلاذري في أنساب الأشراف، ج ٣ / ٤١١.
 - الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ١ / ١١٤.
 - الطبرسي في إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٢٩٠.
 - الطبري في تاريخه، ج ٣ / ٣٣٥.
 - المسعودي في مروج الذهب، ج ٣ / ٦٣.
 - الخوارزمي في المناقب، ج ٤ / ١١٢، وفي مقتل الحسين، ج ٢ / ٤٤.
 - ابن الأثير في الكامل في التاريخ، ج ٣ / ٤٣٣.
 - ابن طاووس في اللهوف، ص ٨٤.
 - العلامة المجلسي في البحار، ج ٤٥ / ١٠٧.
- بينما تشير الرواية الثانية أن الإمام زين العابدين عليه السلام هو من تولى ذلك، وهي محلّ خلاف بين علماء الإمامية.

وممّن يروي هذه الرواية الدربندي في أسرار الشهادة، ج ٣ /

٢٢٥، إذ يقول: «فاعلم أنه ذكر بعض الثقات أنه روى السيد نعمة الله الجزائري في كتاب (مدينة العلم) عن رجاله، عن عبد الله الأسدي أنه قال: وكان إلى جنب العلقمي حي من بني أسد، فمشت نساء ذلك الحي إلى المعركة، فرأين جثث أولاد الرسول، وأفلاذ حشاشة الزهراء البتول، وأولاد علي أمير المؤمنين ؑ، فحل الفحول، وجثث أولادهم في تلك الأصحار وهاتيك القفار، تشخب الدماء من جراحاتهم، كأنهم قتلوا في تلك الساعة!

فتداخل النساء من ذلك المقام العجب، فابتدرن إلى حييهن، وقلن لأزواجهن ما شاهدنه، ثم قلن لهم: بماذا تعتذرون من رسول الله ﷺ وأmir المؤمنين ؑ وفاطمة الزهراء، إذا أوردتم عليهم؛ حيث إنكم لم تنصروا أولاده، ولا دافعتم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح ولا بحذفة سهم؟!، فقالوا لهن: إنا نخاف من بني أمية!

وقد لحقتهم الذلة وشملتهم الندامة من حيث لا تنفعهم، وبقيت النسوة يجلن حولهم ويقلن لهم: إن فاتكم نصرة تلك العصابة النبوية، والذب عن هاتيك الشنشنة العلية العلوية، فقوموا الآن إلى أجسادهم الزكية فواروها، فإن اللعين ابن سعد قد وارى أجساد من أراد مواراته من قومه، فبادروا إلى مواراة أجساد آل رسول الله، وارفعوا عنكم بذلك العار، فماذا تقولون إذ قالت العرب لكم: إنكم لم تنصروا ابن بنت نبيكم مع قربه وحلوله بناديكم؟، فقوموا واغسلوا بعض الدرن عنكم.

قالوا: نفعل ذلك.

فأتوا إلى المعركة، وصارت همّتهم أوّلاً أن يواروا جثّة الحسين عليه السلام ثمّ الباقيين، فجعلوا ينظرون الجثث في المعركة، فلم يعرفوا جثّة الحسين عليه السلام من بين تلك الجثث؛ لأنّها بلا رؤوس وقد غيرتها الشموس، فبينا هم كذلك، وإذا بفارس أقبل إليهم حتّى إذا قاربهم قال: أتى بكم؟ قالوا: إنّنا أتينا لنواري جثّة الحسين عليه السلام وجثث ولده وأنصاره، ولم نعرف جثّة الحسين عليه السلام.

فلما سمع ذلك، حنّ وأنّ وجعل يُنادي: وا أبتاه، وا أبا عبد الله، ليتك حاضرًا وتراني أسيرًا ذليلاً. ثمّ قال لهم: أنا أرشدكم.

فنزّل عن جواده، وجعل يتخطّى القتلى، فوقع نظره على جسد الحسين عليه السلام، فاحتضنه وهو يبكي ويقول: يا أبتاه، بقتلك قرّت عيون الشامتين، يا أبتاه، بقتلك فرحت بنو أميّة، يا أبتاه، بعدك طال حزننا، بعدك طال كربنا.

قال: ثمّ إنّّه مشى قريباً من محلّ جثّته فأهال يسيراً من التراب، فبان قبر محفور ولحد مشقوق، فأنزل الجثّة الشريفة وواراها في ذلك المرقّد الشريف كما هو الآن. قال: ثمّ إنّّه عليه السلام جعل يقول: هذا فلان، وهذا فلان.

هذا، والأسديّون يوارونهم، فلما فرغ، مشى إلى جثّة العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام فانحنى عليها، وجعل ينتحب ويقول: يا عمّاه، ليتك تنظر حال الحرم والبنات وهنّ يُنادين: واعطشاه، واغربتاه.

ثم أمر بحفر لحده وواراه هنا، ثم عطف على جث الأنصار وحفر حفيرة واحدة وواراهم فيها، إلّا حبيب بن مظاهر، حيث أبى بعض بني عمّه ذلك، ودفنه ناحية عن الشهداء.

قال: فلما فرغ الأسديون من مواراتهم، قال لهم: هلمّوا لنوار جثة الحرّ الرياحي. قال: فتمشّى وهم خلفه، حتى وقف عليه فقال: أمّا أنت، فقد قبل الله توبتك، وزاد في سعادتك ببذلك نفسك أمام ابن رسول الله ﷺ.

قال: وأراد الأسديون حمّله إلى محلّ الشهداء، فقال: لا، بل في مكانه واروه. قال: فلما فرغوا من مواراته، ركب ذلك الفارس جواده، فتعلّق به الأسديون، فقالوا: بحقّ من واريته بيدك، من أنت؟

فقال: أنا حجة الله عليكم، أنا عليّ بن الحسين عليه السلام، جئت لأواري جثة أبي ومن معه من إخواني وأعمامي وأولاد عمومتي وأنصارهم، الذين بذلوا مهبّهم دونه، وأنا الآن راجع إلى سجن ابن زياد لعنه الله، وأمّا أنتم فهنيئاً لكم، لا تجزعوا إذ تُضاموا فينا.

فودّعهم وانصرف عنهم. وأمّا الأسديون، فإنّهم رجعوا مع نسائهم إلى حيّهم.

التعليق على رواية الدرّبندي:

- تعدّ الرواية الي ذكرها الدرّبندي من الروايات الحديثة، فقد نقلها عن السيد نعمة الجزائري المتوفى سنة ١١١٢هـ. ولا يمكن اعتمادها ما لم يكن مصدرها من كتب الحديث او التاريخ

- القديمة قرية العهد بالمعصومين عليه السلام.
- كما أن كتاب (مدينة العلم) المنسوب للسيد نعمة الله الجزائري لم نعثر عليه، وغير مذكور ضمن كتبه فيمن ترجم للسيد الجزائري.
 - والرواية - إذا صُرفَ النظر عن حداثتها - تحتوي على رجال مجهولين، كما هي الحال مع عبد الله الأسدي.
 - كما أن المتن مضطرب أيضًا، إذ يحتوي على بعض المغالطات، ويمكن الإشارة إلى ما ذكر حول دفن الشهيد الحرّ بن يزيد الرياحي، فهل يعقل أن جماعة من قبيلة الحر نقلوه من كربلاء إلى مكان قبره، فتركوه جثة مهملة، ثم واره الإمام زين العابدين عليه السلام؟

دفن جسد العباس عليه السلام

حينما أقبل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام من الكوفة إلى كربلاء في اليوم الثالث عشر من المحرم لدفن الجثث الشهداء، ومعه جماعة من بني أسد .. قالوا له عليه السلام:

يا أخا العرب، بقي بطل مطروح حول المسنّة .. فلما رآه انكب عليه يقبله، وهو يقول: «على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته».

ما ورد أعلاه بعض من رواية طويلة عن دفن الشهداء وردت في كتاب (تاريخ المراقد)، ج ٥ / ١٦٣، للشيخ محمد صادق الكرباسي،

وفي أول الرواية يقول: «ونشفع ما نقلناه عن السيد الجزائري بما أورده السيد الشاه عبد العظيمي .. يقول: وروي أنه لما ارتحل عسكر ابن سعد من كربلاء .. إلخ»

ومن المظنون قوياً أن المؤلف نقلها عن كتاب (أسرار الشهادة) مع تغيير يسير في بعض الألفاظ؛ لأن المؤلف السيد الشاه عبد العظيمي (١٢٥٨ - ١٣٣٤هـ) متأخر عن الدربندي (١٢٠٨ - ١٢٨٥هـ). ولو صرفنا النظر عن أن يكون المؤلف نقلها عن (أسرار الشهادة)، فإن الرواية تعدّ حديثة العهد؛ لعدم وجودها في الكتب القديمة المعتبرة.

تعريف بمؤلف تاريخ المراقد^(١):

هو السيّد محمّد علي ابن السيّد محمّد بن هداية الله الحسيني الشاه عبد العظيمي (١٢٥٨ - ١٣٣٤هـ): ولد بمدينة الري إلى الجنوب من طهران، وقد نشأ ودرس ؑ فيها قسطاً من مقدّمات العلوم الدينية. وفي عام ١٢٧٢هـ سافر إلى النجف الأشرف وهو ابن أربع عشرة سنة، فأتمّ المقدّمات والسطوح فيها، وفي عام ١٢٩٧هـ سافر إلى سامراء لإكمال دراسته العليا، وبعد عدّة سنين عاد إلى النجف الأشرف.

اشتهر ؑ بالورع والتقوى، وصار موثقاً عند العامّة والخاصّة،

(١) انظر في ترجمته: الإيقاد: ٧، وتاريخ المراقد: ١٦١.

قال عنه السيّد محسن الأمين رحمه الله في الأعيان، ج ٩ / ٤٤٢: «كان عالمًا فاضلاً تقيّاً نقيّاً ورعاً زاهداً عابداً، آيةً في حسن الأخلاق وسعة الصدر، محدثاً».

له مؤلفات تتجاوز السبعين، منها: الإيقاد، وشرح نهج البلاغة، ولب التفسير، ومنتخب كتاب سليم بن قيس، منتخب كتب الرجال الأربعة، منتخب الخلاصة في الرجال.

توفي رحمه الله في شهر رمضان ١٣٣٤ هـ، ودُفن بجوار مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف.

عدد القتلى في جيش عمر بن سعد

ورغبةً في تجلية الواقع، من المهم التدقيق في العدد الفعلي للقتلى في جيش عمر بن سعد، وذلك من خلال استعراض ما أوردته المصادر التاريخية:

- إذ يذكر صاحب مروج الذهب، ج ٣ / ٧٢، بأن «عدد من قتل من أصحاب عمر بن سعد في حرب الحسين عليه السلام كان ثمانية وثمانين رجلاً».

- وفي شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي، ج ٣ / ١٥٥: «وقيل .. قتلوا في المعركة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانين رجلاً غير من أدركته الجراحة بعد ذلك، فمات منها».

- وفي سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٠٢ - ٣٠٣: «ووجد

بالحسين ثلاث وثلاثون جراحة، وقتل من جيش عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفساً».

- وفي تاريخ الطبري، ج ٤ / ٣٤٨: «قال: فقتل من أصحاب الحسين ؑ اثنان وسبعون رجلاً ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً».

- وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤ / ٨٠: «وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلى عليهم عمر ودفنهم».

- وفي البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٢٠٥: «وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفساً».

- وفي مقتل الحسين ؑ لأبي مخنف الأزدي، ص ٢٠٢: «ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفنهم».

- وفي ترجمة الإمام الحسين ؑ من طبقات ابن سعد، ص ٧٥: «وكان جعفر بن محمد يقول: قتل الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وقتل مع الحسين اثنان وسبعون رجلاً، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً».

ويظهر من الجمع بين مرويات هذه المصادر أن قتلى أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى من أدركته الجراحة بعد ذلك، فمات منها، ويعدّ هذا الرقم شبه إجماع من قبل هذه المصادر، ما يجعل المتابع يتأمل كثيراً حول الروايات المبالغة في تقدير قتلى جيش عمر بن سعد.

أمثلة للروايات المبالغة في تحديد قتلى معسكر ابن سعد:

يفهم من رواية يروها الشيخ الصدوق رحمته الله أن عدد قتلى معسكر عمر بن سعد يفوق العدد الذي ذكرته المصادر أعلاه، ولأن الرواية طويلة، نقتطع منها ما هو مراد:

ورد في أمالي الشيخ الصدوق، ص ٢١٥: «حدثنا الشيخ الجليل الفاضل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رحمته الله، قال: حدثنا محمد بن عمر البغدادي الحافظ رحمته الله، قال: حدثنا أبو سعيد الحسن بن عثمان بن زياد التستري من كتابه، قال: حدثنا إبراهيم بن عبيد الله بن موسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قاضي بلخ، قال: حدثني مريسة بنت موسى بن يونس بن أبي إسحاق وكانت عمتي، قالت: حدثني صفية بنت يونس بن أبي إسحاق الهمدانية وكانت عمتي، قالت: حدثني بهجة بنت الحارث بن عبد الله التغلبي، عن خالها عبد الله بن منصور وكان رضيعاً لبعض ولد زيد بن علي عليه السلام.

قال: سألت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، فقلت:

حدثني عن مقتل ابن رسول الله ﷺ، فقال: حدثني أبي، عن أبيه، قال: .. فقتل [الحر] منهم ثمانية عشر رجلاً، ثم قتل، فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب .. فقتل [زهير بن القين] منهم تسعة عشر رجلاً، ثم صرع .. فقتل [حبيب بن مظهر] منهم أحدًا وثلاثين رجلاً .. فقتل [عبد الله بن أبي عروة] منهم عشرين رجلاً .. فقتل [برير بن خضير] منهم ثلاثين رجلاً .. فقتل [القاسم بن الحسن] منهم ثلاثة .. إلخ».

وأول ما يؤخذ على هذه الرواية أن رواتها مجاهيل، فلم يذكروا في كتب الرجال. وهو ما يجعل الرواية غير معتمدة من ناحية سندها، ويضاف إلى ذلك مخالفة متنها لما ذكرته مصادر التاريخ السابقة.

حرملة حامل رأس العباس عليه السلام:

بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام والثلة المؤمنة من أنصاره وأهل بيته، لم يكتفِ جيش بني أمية بقتلهم، وإنما حرص أفراد الجيش على حمل رؤوسهم الشريفة، وذلك رغبةً في الحصول على جائزة من عبيد الله بن زياد أو من يزيد بن معاوية.

وعند مطالعة المصادر، يظهر أن حامل رأس العباس عليه السلام كان حرملة بن الكاهل الأسدي. إذ يورد ذلك سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص)، ص ٢٨١ - ٢٨٢، فيقول: «وحكي عن هشام بن محمد، عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي، قال: لما أتى بالرؤوس إلى الكوفة، وإذا بفارس أحسن الناس وجهًا قد علق في لب فرسه رأس غلام أمرد، كأنه القمر ليلة تمامه، والفرس يمرح، فإذا طأطأ رأسه، لحق

الرأس بالأرض، فقلت: رأس من هذا؟ فقال: هذا رأس العباس بن علي، قلت: ومن أنت؟ قال: حرملة بن الكاهل الأسدي، قال: فلبثت أياماً وإذا بحرملة وجهه أشدّ سواداً من القار، فقلت: لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضُرَّ وجهًا منك، وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهًا منك؟، فبكى وقال: والله منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمرّ عليّ ليلة إلاّ واثنان يأخذان بضبعي، ثمّ يتتهيان بي إلى نار تؤجج، فيدفعاني فيها وأنا أنكص، فتسفعني كما ترى، ثمّ مات على أقبح حال».

وتتأكد هذه المعلومة بما يذكره البلاذري في (أنساب الأشراف)، ج ١٣ / ٢٥٦، إذ يقول: «الأسديّ حرملة بن الكاهل، الذي جاء برأس عباس بن عليّ بن أبي طالب، وهو قتله مع الحسين عليه السلام بالطّف».

وبالمقارنة بين ما يذكره سبط ابن الجوزي عن حمل حرملة لرأس العباس عليه السلام وبين الرواية السابقة التي ذكرناها عن أبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين، نجد تشابهاً كبيراً في بعض التفاصيل، ومن الملفت للانتباه أنهما عن راوٍ واحد، هو: (القاسم بن الأصبع بن نباتة)، مع أن محور الأولى: تخيل قتل العباس عليه السلام أو أخيه في حلم الدارمي وهو في بيته، ومحور الثانية: حمل رأس العباس عليه السلام في الكوفة.

ندبة أم البنين ؑ في المدينة

يروى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتله، ص ٥٦، الرواية التالية: «حدثني أحمد بن عيسى، عن حسين بن نصر، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر ؑ: أن زيد بن رقاد وحكيم بن الطفيل الطائي قتلا العباس بن علي، وكانت أم البنين أم هؤلاء الأربعة الإخوة القتلى تخرج إلى البقيع فتندب بنيتها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها. فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي.

ذكر ذلك محمد بن علي بن حمزة، عن النوفلي، عن حماد بن عيسى الجهنني، عن معاوية بن عمار، عن جعفر بن محمد ؑ.

والرواية مقبولة في متنها، ما عدا مقطعها الأخير: «فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي»، فلا يبعد اختلاقه وإضافته إلى الرواية؛ لتخفيف ظلم مروان وما صنعه، خاصة والرواية تثبت أن مجيء مروان متكررًا، وهذا بعيدٌ جدًّا بالنظر إلى سيرة الحكام الأمويين.

ويؤيد هذه الرواية ما يذكره العلامة المامقاني ؑ (١٢٩٠ - ١٣٥١هـ) في تنقيح المقال، ج ٣٦ / ٧٠، باب الهمزة من فصل النساء، إذ يذكر القصة التالية:

«قال بشر بن حذلم: رأيت امرأة كبيرة تحمل على عاتقها طفلًا وهي تشق الصفوف نحوي، فلما وصلت، قالت: يا هذا، أخبرني عن

سيدي الحسين، فعلمتُ أنها ذاهلة؛ لأنني أنادي: قتل الحسين، وهي تسألني عنه، فسألت عنها، فقليل لي: هذه أم البنين، فأشفقت عليها، وخفت أن أخبرها بأولادها مرة واحدة. فقلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله. فقالت: ما سألتك عن عبد الله، أخبرني عن الحسين، قال، فقلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك عثمان. فقالت: ما سألتك عن عثمان، أخبرني عن الحسين. قلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك جعفر.

قالت: ما سألتك عن جعفر، فإن وُلدي - وما أظلمته السماء - فداء للحسين، أخبرني عن الحسين. قلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك أبي الفضل العباس. قال بشر: لقد رأيتها وقد وضعت يديها على خاصرتها، وسقط الطفل من على عاتقها، وقالت: لقد والله قطعَ نياط قلبي، أخبرني عن الحسين. قال، فقلت لها: عظم الله لك الأجر بمصاب مولانا أبي عبد الله الحسين).

ثم يقول الشيخ المامقاني بعدها: «فقلت ما معناه: أخبرني عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلمّا نعى إليها الأربعة. قالت: قطعَ نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلّهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّ علّقَها بالحسين ليس إلّا لإمامته عليه السلام، وتهوينها على نفسها موت مثل هؤلاء الأشبال الأربعة إن سلّم الحسين عليه السلام يكشف عن مرتبة في الديانة رفيعة، وإني اعتبرها لذلك من الحسان إن لم نعتبرها من الثقات».

وما يرويه المامقاني لم ترد في مصادر التاريخ والحديث، بل لم يُر لها أثر قبل الشيخ المامقاني. وما ورد عن بشر بن حذلم أمران يخصّان كربلاء وما حولها، هما:

- روايته لخطبة السيدة زينب ؑ أمام يزيد وتأجيج الناس ضد الباطل.

- دخوله إلى المدينة والنعي بقتل الإمام الحسين ؑ، وتهيئة قلوب أهلها لدخول الإمام زين العابدين ؑ:

قال بشير بن حذلم: «فلما قربنا منها، أنزل علي بن الحسين ؑ فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نسائه وقال: يا بشر (بشير)، رحم الله أباك، لقد كان شاعرًا، فهل تقدر على شيء منه؟، فقال: بلى يا ابن رسول الله، إني شاعر. فقال ؑ: ادخل المدينة وأنع أبا عبد الله ؑ، قال بشير: فركبتُ فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي ﷺ، رفعتُ صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منع على القناة يدار»

قال: «ثم قلت: هذا علي بن الحسين ؑ مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه»، قال: «فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن ضاربات خدودهن يدعون

بالويل والثبور، فلم أرَ بأكثراً من ذلك اليوم ولا يوماً أمراً على المسلمين منه»^(١).

- وقد اختلف المؤرخون في ضبط اسم (بشر بن حذلم):
- ففي خطبة السيدة زينب عليها السلام الواردة في تاريخ ابن أعثم، ج ٥ / ٢٢١ - ٢٢٦؛ ومقتل الخوارزمي، ج ٢ / ٤٠ - ٤٢، ورد اسمه: بشير بن حذيم الأسدي.
 - وفي خطبة السيدة زينب عليها السلام، كما وردت في اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، ص ٨٦، ورد اسمه: بشير بن خزيم الأسدي.
 - أما خطبة السيدة زينب عليها السلام، كما رواها الطبرسي في الاحتجاج، ج ٢ / ٢٩، فقد ورد اسمه: حذيم ابن شريك الأسدي.
 - وفي النعي لأهل المدينة لمقتل الحسين عليه السلام؛ ومثير الأحزان لابن نما الحلبي، ص ٩٠ - ٩١؛ واللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، ص ١١٥، روي اسمه: بشير بن حذلم.
 - وفي رواية يسأل فيها عن كيفية خروج الإمام المنتظر عليه السلام في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٤٣، ورد اسمه هكذا: حذلم بن بشير.
 - وفي خطبة السيدة زينب عليها السلام الواردة في أمالي الشيخ المفيد، ص

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ص ١١٥؛ ومثير الأحزان، ابن نما الحلبي، ص ٩٠.

٣٢١؛ وأمالى الشيخ الطوسي، ص ٩١، ورد الاسم هكذا: حذلم بن ستير.

- وفي أمالي الشيخ الطوسي، هامش ص ٩١، ورد باسم: حذلم بن كثير.

- وفي خطبة أم كلثوم، وهي نفس الخطبة التي خطبتها السيدة زينب ؑ الواردة في بلاغات النساء لابن طيفور، ص ٢٣، ورد الاسم بهذه الصورة: حذام الأسدي.

- وفي خطبة السيدة زينب ؑ برواية الدر النظيم لابن حاتم العاملي، ص ٥٥٩، ورد هكذا: حذيم الأسدي.

- وفي حادثة النعي لأهل المدينة لقتل الحسين ؑ التي رواها المجلسي في بحار الأنوار، ج ٤٥ / ١١٣، ورد هكذا: حذيم بن بشير.

- وورد اسمه في حادثة النعي لأهل المدينة لقتل الحسين ؑ، نسخة في اللهوف للسيد ابن طاووس، ص ١١٥؛ وتنقيح المقال، ج ٣٦ / ٧٠، باب الهمزة من فصل النساء؛ ووفيات الأئمة لأحد علماء البحرين؛ ووفاة الإمام السجاد ؑ، الشيخ علي البلادي البحراني، ص ١٦٨، هكذا: بشر بن حذلم.

رثاء أم البنين ؑ لشهداء واقعة كربلاء شعراً

كما ينقل في كتاب إبصار العين في أنصار الحسين ؑ للشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، ص ٦٤؛ وأعيان الشيعة للسيد الأمين، ج ٨ / ٣٩٠، الرواية التالية:

«وأنا أسترّق جدًّا من رثاء أمه فاطمة أم البنين الذي أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل: وقد كانت تخرج إلى البقيع في كل يوم ترثيه وتحمل ولده عبيد الله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، وفيهم مروان بن الحكم، فيكون لشجي الندبة، قولها:

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد
ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لبـد
أنبت أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أما ل برأسه ضرب العمـد
لو كان سيفك في يديـك لما دنا منه أحد

وقولها:

لا تدعوني ويك أم البنين تذكرني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلائهم فكلهم أمسى صريعا طعين
ياليت شعري أكما أخبروا بأن عباسا قطيع اليمين

ومن المهم الإشارة إلى بعض الملاحظات الخاصة بهذه الأبيات، وهي كالتالي:

تدلّ الأبيات الواردة أعلاه على شاعرية وأدبية عالية، وممارسة طويلة في الشعر، فهي في غاية الروعة وجمال المعاني وسيولة الألفاظ.

ذُكِرَ بأن القصيدتين مرويتان عن شرح الكامل للمبرّد، لمؤلفه أبي الحسن الأخفش، وهو ما يفرض ثبوت نسبة الكتاب إليه، وهو ما تطلّب البحث عن مؤلّفات من لُقّب بالأخفش وكُنّي بأبي الحسن؛ ذلك أن الأخفش لقب اشتهر به أحد عشر عالمًا في اللغة والأدب، أبرزهم ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد وقد عُرِفَ بالأخفش الأكبر (ت ١٧٧هـ)، وأبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، وشهرته الأخفش الأوسط (ت ٢٢١هـ)، وأبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل وشهرته الأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ).

وعند البحث عن مؤلّفات كلّ منهم، لا نجد في تلكم القوائم شرحًا لكتاب الكامل للمبرّد.

وكذلك عندما نطالع كتاب (الكامل في اللغة والأدب) لمؤلفه أبو العباس بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرّد (ت ٢٨٦هـ)، الذي يعدّ من الكتب الرائدة في فن الأدب، وقد طبع مرات عديدة، وعليه مجموعة من الشروح، منها: شرح (سيد بن علي المرصفي) في ثمانية أجزاء كبيرة بعنوان: (رغبة الآمل في شرح الكامل)، لا نجد عند مطالعة فهارس المصنفات العربية أو مقدّمات تحقيقات الكامل، من بين الشروح شرحًا لأبي الحسن الأخفش كما هو مدعى، ولذلك قد يكون اشتباهًا؛ لعدم وجود المصدر المدعى النقل عنه.

كما أنّ الأبيات لم تُرَوِّ في مصادر سابقة أخرى؛ ذلك أنّ أقرب مصدر للقصيدتين: كتاب (إبصار العين في أنصار الحسين ؑ)

للشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، وهو ما يدعو إلى عدم قبول نسبتها إلى أم البنين، مع الإشارة إلى جودة الأبيات من الناحية الأدبية.

ومما يدل على عدم صحّة الأبيات الرواية المنقولة في (مقتل الحسين عليه السلام) المنسوب إلى أبي مخنف الأزدي، وهي: «وأنا أسترّق من رثاء أمه فاطمة أم البنين الذي أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل»^(١)، إذ من غير المنطقي أن ينقل أبو مخنف هاتين القصتين وهو المتوفى سنة ١٥٨هـ عن أبي الحسن الأخفش المتوفى سنة ٣١٥هـ.

ويظهر أن بعض مؤلّفي المجالس الحسينية وسع ما ذكره (مقاتل الطالبين) في ندبة أم البنين بالخيالات فتفتشت هذه عند الناس، والمُعَصَّد لذلك المقارنة بين نصّ (مقاتل الطالبين) التالي: «.. فتندب بنيتها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها»، ونصّ (إبصار العين) التالي: «في كل يوم ترثيه .. فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة .. فيكون لشجي الندبة، قولها ﷺ: يا من رأى العباس كرّ ..»، إذ أضاف الأبيات على تفاصيل الحادثة.

بل إن بعض كتب المجالس تُكثر من تفاصيل غير ما يرويه صاحب المقاتل ولا الكتب التي تلتها، كما هي الحال مع النص التالي: «كانت أم البنين تأتي إلى البقيع وتعمل صور أربعة قبور وبين يديها يتيمة قمر بني هاشم العباس بن علي عليه السلام، وهما: عبيد الله والفضل،

وتندب بينهما أشجى ندبة وترثيهم»^(١)، وهذه كلها خيالات لا تمتُّ إلى الواقع الحقيقي بصلة.

ويضاف إلى ندب أم البنين لشهداء كربلاء، يذكر المؤرخون أن «أم جعفر الكلابية كانت تندب الحسين وتبكيه، وقد كُفَّ بصرها، فكان مروان - وهو والي المدينة - يجيء متنكرًا بالليل حتى يقف، فيسمع بكاءها وندبها»^(٢).

وما يضعف متن هذا الخبر هو مجيء مروان؛ لأن النساء عادة لا يذهبن إلى المقابر في الليل، بل حتى الرجال؛ لكراهة زيارة الميت في الليل.

(١) شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، ج ٢ / ٤٠٦.

(٢) أمالي ابن الشجري (ت ٤٦٦هـ)، ج ١ / ١٧٥.

زيارته عليه السلام برواية معتبرة

«حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري بالعسكر، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الشمالي، قال: قال الصادق عليه السلام:

إذا أردت زيارة قبر العباس بن علي عليه السلام، وهو على شط الفرات بحذاء الحائر، فقف على باب السقيفة، وقل:

سَلَامُ اللَّهِ وَسَلَامُ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَجَمِيعِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّادِقِينَ، وَالزَّكَايَاتِ الطَّيِّبَاتِ فِيمَا تَغْتَدِي وَتَرُوحُ، عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصْدِيقِ وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِحَلْفِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ ... إلخ».

رويت هذه الزيارة في كتاب (كامل الزيارات) لمؤلفه جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٤٤٠ - ٤٤٣، وهي من حيث السند المذكور، يعدّ سنداً معتبراً وذات قيمة علمية عالية؛ إذ يعدّ كل راوي في سلسلة

السند من الرواة الأجلاء.

ويضاف إلى موثوقية الرواة، وجود الزيارة في أكثر من مصدر حديثي قديم، إذ وردت في المزار للشيخ المفيد، ص ١٢١؛ وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج ٦ / ٦٥.

كما أنّ كتاب (كامل الزيارات) لابن قولويه عليه السلام من المصادر القديمة القيّمة، إذ يقول مؤلفه في ديباجة الكتاب: «وقد علمنا بأننا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجت فيه حديثاً روى عن الشذاذ من الرجال يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم...».

زيارة الناحية المقدسة

ترد في المصادر الحديثية زيارتان باسم: (زيارة الناحية المقدسة): أما الأولى، فهي المتداولة في كتب الأدعية باسم: «زيارة الناحية المقدسة»، وهذا الاسم يعدّ إشارة إلى الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، وتتميّز هذه الزيارة بذكر العديد من المضامين التي لا تجتمع في بقية الزيارات، كأن تبدأ بتعداد أسماء بعض الأنبياء والأحداث المهمّة في مسيرة دعواتهم.

ومن المصادر التي وردت في هذه الزيارة: المزار لمحمد بن جعفر المشهدي، ص ٤٩٦، إذ ورد فيه: «ومما خرج من الناحية عليه السلام إلى أحد الأبواب، قال: تقف عليه [الحسين]، صلى الله عليه، وتقول:

السَّلَامُ عَلَى آدَمَ صَفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلِيقَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى شَيْثَ وَلِيِّ اللَّهِ وَ خَيْرَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى إِدْرِيسَ الْقَائِمِ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى نُوحِ الْمُجَابِ فِي دَعْوَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى هُودِ الْمَمْدُودِ مِنَ اللَّهِ بِمَعُونَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى صَالِحِ الَّذِي تَوَجَّهَ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ...».

وعند تأمل ما تحويه من مضامين، ففيها العديد من المضامين العالية، ولكنها من حيث السند، مرسلة، إذ لم ترد سلسلة روايتها.

أما الثانية: وهي التي يعدد فيها الإمام الحجة عليه السلام أسماء الشهداء الذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وقاتليهم، إذ يرد فيها، مثلاً، بخصوص العباس، كشهيد من شهداء كربلاء: «السَّلَامُ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمَوَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، الْآخِذَ لِعَدُوِّهِ مِنْ أَمْسِهِ^(١)، الْفَادِي لَهُ الْوَاقِي، السَّاعِي إِلَيْهِ بِمَائِهِ، الْمَقْطُوعَةَ يَدَاهُ، لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلِيهِ يَزِيدَ بْنَ الرُّقَادِ، وَ حَكِيمَ بْنَ الطَّفَّيْلِ الطَّائِي»^(٢).

وهذه الزيارة المنسوبة للإمام الحجة، عجل الله فرجه، تعد وثيقة تاريخية مهمة؛ لأنها تتضمن تعداداً لشهداء كربلاء وتحديد أسماء قاتليهم. ولأهميتها، لا بد من ذكر سندها وبيانها، فقد وردت في إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس، ج ٣ / ٧٣: «رويناها بإسنادنا إلى جدي أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمة الله عليه، قال: حدثنا

(١) من أمسه: أي يومه؛ لأنه أمس بالنسبة إلى الغد، أو يكون المراد: أمس بالنسبة إلى يوم المخاطبة والزيارة.

(٢) المزار الكبير، لابن المشهدي، ص ٤٨٩.

الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش، قال: حدثني الشيخ الصالح أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي، رحمة الله عليه، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي ؑ، وكنت حديث السن، وكتبت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله ؑ وزيارة الشهداء، رضوان الله عليهم، فخرج إلي منه:

بسم الله الرحمن الرحيم: إذا أردت زيارة الشهداء، رضوان الله عليهم، فقف عند رجلي الحسين ؑ، وهو قبر علي بن الحسين، صلوات الله عليهما، فاستقبل القبلة بوجهك فإن هناك حومة الشهداء ؑ، وأوم وأشر إلى علي بن الحسين ؑ، وقل:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنْ نَسْلِ خَيْرِ سَلِيلٍ مِنْ سُلَالَةِ إِبْرَاهِيمَ
الْحَلِيلِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آبِكَ ...».

مناقشة السند:

(١) رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) ؑ، من أعظم العلماء الزهاد العباد الثقات.

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ؑ، شيخ الطائفة، وهو أشهر من أن يذكر. وقد رواها ابن طاووس بإسناده إلى جده أبي جعفر ؑ، ولم يُتَّخَ لنا الاطلاع على رجال طريق ابن طاووس إلى الشيخ الطوسي، وهو ما يجعل سلسلة السند ناقصة.

٣) أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عياش الجوهري (ت ٤٠١هـ)، كان معاصراً للشيخ الصدوق. وكان من أهل العلم والأدب، ولكن النجاشي يضعفه، إذ يقول: «.. ورأيت شيوخنا يضعفونه، فلم أزو عنه وتجنبته»^(١).

٤) أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي: لم نجد مترجماً بهذا الاسم، والمذكور في (المزار للمشهدي، ص ٤٨٦) العبادي بدلاً من البغدادي، كما ذكر أحمد بن عياش الجوهري (ت ٤٠١هـ) في (مقتضب الأثر)، ص ٤٩: «وأنشدني أبو منصور عبد المنعم بن النعمان العبادي».

٥) الشيخ محمد بن طالب الأصفهاني: يعدّ مجهولاً لعدم ذكره في كتب تراجم الرواة.

ولذلك، فإن الزيارة من حيث السند، تعدّ ضعيفة؛ لأنها تنتهي إلى ابن عياش الضعيف، وإلى المجهولين: أبي منصور ومحمد بن غالب. ويضاف إلى ذلك أن التاريخ المذكور للزيارة، وهو سنة ٢٥٢هـ، لا يتفق مع نسبتها إلى الناحية، أي إلى الإمام المهدي عليه السلام، الذي ولد سنة ٢٥٦هـ أو ٢٥٥هـ، وتوفي والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ، وقد تنبه الشيخ المجلسي إلى هذه المفارقة، فقال في البيان الذي عقب به على الزيارة: «واعلم أن في

(١) الرجال للنجاشي، ص ٦٧.

تاريخ الخبر إشكالاً، لتقدمها على ولادة القائم ؑ بأربع سنين. لعلها كانت اثنتين وستين ومئتين، ويحتمل أن يكون خروجه - الخبر - عن أبي محمد العسكري ؑ»^(١).

ويسهل هذا الأمر أن بعض الفقهاء يذهبون إلى اعتبار التسامح في أدلة السنن، كما أن السيد السيستاني يرى أن العبرة في الزيارات والأدعية ليس صحة السند، بل مضمون الزيارات والأدعية، ولكن هذا، وإن كان كافياً في قراءة الزيارات بقصد الثواب، إلا أنه غير كافٍ في مجال اعتماد الرواية في تثبيت في بعض الأحداث التاريخية.

ولعل من أسباب عدم وجود أسانيد كثير من الأدعية والزيارات إلى عدم اهتمام مصادر الأدعية القديمة، مثل: المزار للشيخ المفيد ومصباح المتجهد للشيخ الطوسي، بذكر الأسانيد.

(١) راجع: أنصار الحسين ؑ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص ١٦٧ - ١٧٠.

ثبت المصادر

- (١) أحسن الوديعه في تراجم مشاهير مجتهدى الشيعة، السيد محمد مهدي الموسوي الإصفهاني الكاظمي، المطبعة الحيدرية - النجف، ط٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- (٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، دار المفيد - بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- (٣) إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت - قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- (٤) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ط١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- (٥) إكسير العبادات في أسرار الشهادات، الفاضل الدربندي (ت ١٢٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد جمعة بادى وعباس الملا عطية الجمري، شركة المصطفى - المنامة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- (٦) الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه، الشيخ فضل علي القزويني (ت

- ١٢٩٠هـ)، طبعة باقري - قم.
- (٧) أمل الآمل، الحر العاملي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مؤسسة الوفاء - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٨) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- (٩) أهل البيت في المكتبة العربية، السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت ؑ - قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- (١٠) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير - دمشق، ط٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- (١١) تاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (١٢) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ جمال الدين يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (١٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء - بيروت، ط٣،

- ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٥) تظلم الزهراء عليها السلام من إهراق دماء آل العباء، السيد رضي بن نبي القزويني، بدون ناشر، ط٢، بدون تاريخ.
- ١٦) ثمرات الأعواد، السيد علي الهاشمي النجفي، اتشارات الشريف الرضي - قم، ط١، ١٤١٢هـ.
- ١٧) جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي، بدون ناشر، قم، ط١٤٢٢هـ.
- ١٨) جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، إعداد: الشيخ حيدر حب الله، دار الهادي-بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ١٩) جمهرة النسب، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، رواية الشكري بن حبيب، تحقيق: الدكتور ناجي حسن، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ٢٠) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي - قم، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ٢١) الخصال، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط٩، ١٤٣٤هـ.
- ٢٢) الخصائص العباسية، الشيخ محمد إبراهيم الكلbasي النجفي (ت ١٣٦٢هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية - قم، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢٣) الدائرة الاصطفائية الثانية لأهل البيت ؑ: أبو الفضل العباس أنموذجاً، الشيخ محمد سند، منشورات العتبة العباسية - كربلاء، ط١، ٢٠١٥م.

(٢٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الدتركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية - القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، مطبعة الغري - النجف، ط١، ١٣٥٥هـ.

(٢٦) رجال النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط٦، ١٤١٨هـ.

(٢٧) رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي (ت ٧٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، دار القلم - دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢٨) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الرضي - قم، بدون تاريخ.

(٢٩) سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري (ت ٣٤١هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية - النجف، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(٣٠) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى، ابن إدريس الحلبي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، مكتبة الروضة

- الحيدرية - النجف، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- (٣١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، القاضي نعمان التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ٢، ١٤٣١ هـ.
- (٣٢) الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي، الشيخ عبد الحسين الحلبي، مكتبة الطف - الطف، ط ٢، ١٩٩٥ م.
- (٣٣) الصحيح من سيرة سيد الشهداء وأصحابه، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث - طهران، ط ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- (٣٤) الطبقات الكبرى، محمد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- (٣٥) العباس عليه السلام، السيد عبد الرزاق المكرم، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، منشورات الاجتهاد - قم، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- (٣٦) العباس أبو الفضل ابن أمير المؤمنين سماته وسيرته، السيد محمد رضا الجلاي، مكتبة العتبة العباسية المقدسة - كربلاء، ط ١، ٢٠١٣.
- (٣٧) عمدة عيون صحاح الأخبار، الحافظ ابن البطريق (ت ٥٢٣ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي والشيخ إبراهيم البهادري، ممثلة السيد الخامنئي في الحج - طهران، ط ٣، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٣.

(٣٨) الغدير في الكتاب والسنة والدب، الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط١، الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٣٩) فوائد لغوية، الشيخ حمزة السلمي، منشورات العتبة العباسية المقدسة - كربلاء، ط١، ١٤٣٣ هـ ت ٢٠١٢ م.

(٤٠) قرب الاسناد، أبو العباس الحميري (من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت - قم، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٤١) الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط٥، ١٣٦٣ هـ. ش.

(٤٢) كامل الزيارات، ابن قولويه القمي (ت ٣٦٩ هـ)، دار الحجة - قم، ط١، ١٤٣٥ هـ.

(٤٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٤٤) كشف الأستار عن وجه الكتب والأسفار، السيد أحمد بن محمد رضا الخوانساري (ت ١٢٩١ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت - قم، ط١، ١٤٠٩ هـ.

(٤٥) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق:

- علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- (٤٦) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ١٤٢٩ هـ.
- (٤٧) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط ٤، ٢٠٠٥ م.
- (٤٨) اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، الشيخ حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٣٠ هـ)، تعريب: الشيخ إبراهيم البدوي، دار البلاغة - بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٤٩) المجدي في أنساب الطالبين، علي بن أبي الغنائم العمري، تحقيق: أحمد المهدي الدامغاني، مكتبة المرعشي النجفي العامة - قم، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
- (٥٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، تحقيق: يوسف أسعد داغر، دار الهجرة - قم، ط ٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- (٥١) مستدرك سفينة سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- (٥٢) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- (٥٣) معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، الشيخ محمد مهدي الحائري، منشورات صبح الصادق - قم، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

- ٥٤) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي - لندن، ط ١، بدون تاريخ.
- ٥٥) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، محمد هادي الأميني، بدون ناشر، ط ٢، ١٤١٣ هـ ت ١٩٩٢ م.
- ٥٦) معجم المطبوعات النجفية، محمد هادي الأميني، مطبعة الآداب - النجف، ط ١، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٥٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٥٨) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) - القاهرة، ط ١، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.
- ٥٩) مقباس الهداية في علم الدراية، الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت - قم، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٦٠) مقتل الحسين، أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، أنوار الهدى - قم، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٦١) مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، أبو مخنف

- يحيى بن لوط الأزدي (ت ١٥٧هـ)، مكتبة الألفين - الكويت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٦٢) الملحمة الحسينية، الشيخ مرتضى المطهري، الدار الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٦٣) مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، تحقيق: الدكتور يوسف اليقاعي، دار الأضواء - بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٦٤) المنتخب، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: نضال علي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٦٥) المنمق في أخبار قریش، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٦) موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث - طهران، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٦٧) موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية - النجف ومؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٦٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بركات وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١،

١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٦٩) نسب قریش، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري (ت ٢٣٦هـ)، تحقيق: إ. ليفي بروفسال، دار المعارف - القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م.

٧٠) وقعة الطف، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط١، ١٣٦٧هـ. ش.

المحتويات

مقدمة.....	٧
التمهيد: واقعة كربلاء .. قراءة في مصادرها	١١
الفصل الأول: دراسة تعريفية بالعباس عليه السلام	٢٧
أم البنين من الخطبة إلى الرحيل	٢٩
لمحات من السيرة الشخصية للعباس عليه السلام	٦٣
الفصل الثاني: العباس عليه السلام .. دراسة في ظروف النشأة	١١٧
العباس عليه السلام مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام	١١٩
العباس عليه السلام مع أخويه الحسنين رضي الله عنهما	١٥٥
الفصل الثالث: معركة التضحية والفداء	١٦١
من مكة إلى كربلاء	١٦٣
كربلاء محطّ الرحال	١٧٥
معركة البطولة والتضحية في يوم عاشوراء	٢١٥
استشهاد العباس عليه السلام	٢٣٩

أحداث ما بعد المعركة	٢٧٩
زيارة العباس ؑ	٣٠٩
ثبت المصادر	٣١٥
المحتويات	٣٢٥

هذا الكتاب

نتيجة ما تعودّ عليه أبنائنا من استعراض دائم لما يطرح من تساؤلات وشبهات عقائدية وردّها بالدليل والبرهان على هذه المنابر طوال هذه السنين، فقد كان لذلك تأثيره الإيجابي في تنمية حالة الوعي وربط الفكرة والإيمان بها بما تحمله من دليل وبما تتضمنه من قيم تتفق والفطرة الإنسانية السليمة.

وفي مقابل ذلك، لا يخفى وجود بعض التساؤلات من داخل المجتمعات الموالية حول العديد من القضايا والأحداث التاريخية التي يعالجها المنبر الحسيني، حيث ترد بعض التساؤلات حول النهضة الحسينية المباركة وما دار فيها من أحداث، وطرح هذه التساؤلات والإجابة عنها برحابة صدر له دور مكمل في تنمية حالة الوعي التي يتسم بها أبنائنا. وقد أحبيت مشاركة المؤمنين مجموعة من هذه التساؤلات حول النهضة الحسينية، مخصّصًا ذلك بما ورد ويورده مجموعة من خطباء هذا المنبر المبارك حول شخصية العباس عليه السلام.

